إسرائيل فنكلشتاين

# العهد القديم

## بين علم الآثار وعلم نقد العهد القديم





ترجمة عمرو زكريا خليل

إسرائيل فنوهل

# العهد القديم

## بين علم الآثار وعلم نقد العهد القديم

ترجمة

**عمرو زكريا خليل**

مراجعة

**أ.د.أحمد هويدي**
أستاذ الدراسات اليهودية

**أ.د. علاء الدين شاهين**
أستاذ تاريخ مصر القديم والشرق الأدنى

Israel Knohl

**HOW THE BIBLE WAS BORN**

Translated by **Amr Zakarya Khalil**



*قنوهل، إسرائيل*

نشأة العهد القديم.

ترجمة: عمرو زكريا خليل،

ط ١، القاهرة،

مقاس : ١٧ * ٢٤ سم –٣٤٣ صفحة

أ. خليل، عمرو زكريا (مترجم)

ب. العنوان: العهد القديم بين علم الآثار وعلم نقد العهد القديم

رقم الإيداع: ١٩٤٣٦ التاريخ: ٢٠١٩/٠٩/٣٠

يطلب من المترجم: **zakaryaamr@yahoo.com**

**https://www.facebook.com/amrzakaryakhalil/?ref=bookmarks**

# الفهرس

مقدمة

# من روما إلى القدس

في اليوم الأخير من عام ٢٠١٦ تلقيت رسالة في بريدي الإلكتروني تدعو إلى القلق:

"بروفسور قنوهل،

تحية طيبة وبعد،،،،

أنا مواظب على قراءة كتبك بنهم؛ غير أن ذلك أصاب إيماني بشرخ كبير؛ حيث أشعر أن كل ما نشأت عليه يتحطم إلى قطع صغيرة. فهل توافق على مقابلتي لرأب هذا الصدع؟"

وكنت قبلها بيومين قد عدت إلى القدس بعد شهرين قضيتهما في روما؛ حيث وجدت هناك راحة النفس أخيرا. وإذا بهذه الرسالة تهدد بقض مضجعي من جديد. كاتب الرسالة هو شموئيل - شموليك - شير شخص لا أعرفه، وشيء ما في داخلي قال لي: تجاهله ولا تجبه، حافظ على راحة البال التي هنأت بها في روما.

وفي الشهرين اللذين أمضيتهما في روما قمت بالتدريس في برنامج خاص الغرض منه تعريف القادة والمعلمين الكاثوليك من جميع أنحاء العالم بمصادر الديانة اليهودية. وكان من بين طلابي رجال ونساء من جميع أنحاء المعمورة: من أيرلنده والمجر وإندونيسيا والهند والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية. وكان من بين الطلاب شخصيات رائعة ربطتني بهم صداقات وطيدة خاصة رافي الذي له قصة مثيرة.ولد رافي في الهند في طائفة المنبوذين[١]، ثم اعتنق المسيحية وانتقل

[١] ينقسم الناس في هذا النظام حسب الطبقة (فارنا) والفئة (جاتي)، و"المنبوذين" إحدى هذه الطبقات.

إلى الولايات المتحدة، وفي حرب الخليج خدم في سلاح البحرية وهو يكتب الآن أطروحة الدكتوراه في جامعة كاثوليكية بواشنطن. ومن منطلق المعاناة الكبرى التي مر بها في صغره يشعر رافي بالتضامن الشديد مع مر به اليهود في أحداث النازي. حافظنا على الاتصال فيما بيننا، وقبل أسبوع حضر رافي من واشنطن إلى جامعة هارفارد؛ حيث أقوم بالتدريس هناك كأستاذ زائر (وهذه المقدمة أكتبها وأنا هناك). جاء لزيارتي قبل دخول ليلة السبت. وفي يوم السبت ذهبنا معا إلى كنيس الطلاب بالجامعة.

لكن، لنعد إلى روما: فالبرنامج الذي أقوم بالتدريس فيه هو برعاية أنجليكا بري من عائلة كاثوليكية في الفلبين تهودت بعد زواجها برجل أعمال يهودي من نيويورك وهو: راسل بري. وكان حاخام الزوجين بري هو الحاخام جاك باومفارد المولود في إيطاليا الذي نجحت عائلته في الهروب من الاحتلال النازي بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية. والحاخام باومفارد هو الذي بادر بتأسيس البرنامج الذي يهدف إلى خلق نظرة أكثر إيجابية إلى الديانة اليهودية عند الكنيسة الكاثوليكية، وإمكانية البدء في إقامة حوار ديني بين الكنيسة الكاثوليكية واليهودية.

كنت أسكن في روما في حي دي مونطي الفني بجوار الكولوسيوم. وفي صباح أول يوم بعد وصولي الحي خرجت لشراء بعض الطعام، وإذا بمنظر مألوف بجوار البيت الذي كنت أسكنه عبر الطريق؛حيث سلسلة من الأقواس التي تؤدي إلى الكنيسة التي بها التمثال الشهير لموسى (عليه السلام) الذي صنعه مايكل أنجلو!

بيوت حي دي مونتي قديمة ومتصدعة لكنها مفعمة بروح الشباب. فعشرات الشباب يجتمعون كل مساء حول النافورة الموجودة في وسط الميدان بالحي. وهناك مقهى عند طرف الميدان كنت أمضي فيه أوقاتا طويلة منذ الصباح. وعرف النادلون الظرفاء والودودون إنني أحتسي القهوة بالحليب. وكان يجلس

حولي رجال ونساء يتحدثون بحماس في موضوعات كثيرة. وأنا لا أتحدث الإيطالية لكن أحيانا كنت أفهم موضوع الحديث. فكانت تلك الفترة فترة الانتخابات في إيطاليا، وكانت تدور النقاشات كثيرا حول موضوعات متعلقة بالانتخابات بصوت مرتفع.

غير أن هذا الحديث الصاخب لم يكن يزعجني، فقد كنت أجلس مع كتاب العهد القديم، واللاب توب، أقرأ وأكتب؛ فالسياسة الإيطالية تحديد لم تكن تثير اهتمامي. والتلفزيون في شقتي كان يبث باللغة الإيطالية فقط فلم أشاهده. لقد نجحت في الانعزال التام عن الجو المتوتر في إسرائيل، وأن أجد راحة البال.

وفي أيام السبت كنت أذهب إلى كنيس الحي اللطيف، وكانت الطائفة اليهودية تستقبلني بترحاب، وكنت ألقي من حين لآخر بعض دروس التوراة. وأحيانا كنت أتناول طعام السبت على مائدة الزوجين أرفيف اللذين اعتادا استضافة الكثيرين كل سبت في بيتهما الكبير. كانت الإقامة في روما بالنسبة لي بمثابة الحلم. فقد عشقت المدينة الجميلة الرائعة كما عشقت ثقافتها الجميلة، وآثارها القديمة، والمفاجآت التي تفاجئنيها عندما أتجول في أزقتها. وساهم كذلك الدفء واللطف الذي لاقيته من طلابي وجيراني في شعوري بهذا الإحساس اللطيف، وبهذا الهدوء الذي منحتني إياه هذه المدينة الرائعة.

ربما كان ذلك سبب انزعاجي الكبير من الكلمات التي وجدتها في بريدي الإلكتروني فور عودتي من روما إلى القدس. ورغم عدم ذكر كاتب الرسالة ذلك صراحة إلا أن هناك اتهام خفي بين السطور. فأنا ذلك الشخص الذي حطمت بكتبي عقيدته الدينية إلى شظايا صغيرة وهذا اتهام خطير، فماذا أقول له عندما ألقاه؟ رددت عليه بعد تردد بأني عدت للتو إلى البيت بعد فترة غياب لعدة شهور، وطلبت أن يكتب لي ثانية بعد أسبوع. وفي داخلي كنت أتمنى أن يثبط هذا التأجيل من عزيمته، أو أن ينسى الأمر؟ لكن ذلك لم يحدث، فبعد

أسبوع بالضبط عاد وكتب لي. حددنا موعدا للقاء في القدس. قابلت شموليك شير لأول مرة، وقد أصبح فيما بعد شريكي في هذا الكتاب. درس شموليك تاريخ إسرائيل لكنه يعمل الآن في مجالات مختلفة. وعلى عكس مخاوفي دار اللقاء في جو من الود. حاولت أن أشرح له موقفي الديني المعقد والملابسات الشخصية التي أدت بي إليه.

وبعد مرور أيام قليلة كتب لي شموليك ثانية وعرض علي أن نكتب معا كتابا عن ظروف وملابسات نشأة العهد القديم. وكانت الفكرة في أن يكون الكتاب في شكل حوار، هو يسأل وأنا أجيب. ونقوم بتسجيل هذه الحوارات ثم نقوم بتفريغها وتحريرها. وافقت على إجراء لقاء تجريبي وكان ناجحا. بعدها واصلنا لقاءاتنا وحواراتنا التي هي أساس هذا الكتاب.

وكنت قد بدأت، قبل عام من كتابة هذا الكتاب، الاطلاع على كتابات مصرية قديمة مرتبطة ببدايات إسرائيل. اكتشافات حديثة في نصوص لم تفهم في رأيي بشكل صحيح جعلتني أكوِن رؤية جديدة حول تاريخ إسرائيل ونشأة العهد القديم. فهذه المصادر المصرية تلقي، في رأيي، ضوءا جديدا على قصص يعقوب وعيسو، وشخصية يوسف التاريخية، وقصة الخروج من مصر بقيادة موسى.

وتناولت أيضا لحظة نشأة وبلورة ديانة بني إسرائيل في عصر المقرا[1]. فهل تأثر موسى بالفعل - بحسب مقترح زيجموند فرويد - بفكر الفرعون أخناتون، حاكم مصر والثوري الديني الذي أوجد عبادة توحيدية حتى قبل ظهور ديانة بني إسرائيل في عصر المقرا؟ وربما يجدر البحث عن جذور عقيدة العهد القديم في موضع آخر؟

---

[1] المقرا = العهد القديم، كتاب اليهود المقدس.

حاولت في نهاية الكتاب الإجابة عن أسئلة شموليك وشكوكه التي كانت سببا في تأليف هذا الكتاب.

لقد دفعتني الحوارات مع شموليك إلى رسم صورة لقصة الرحلة التاريخية التي أدت في النهاية إلى ظهور العهد القديموبنائه الأدبي. وأدعوكم لمصاحبتي في هذه الرحلة المثيرة والممتعة.

الحوار الأول

# مصادر العصر التوراتي

**بروفسور! ما هي مصادر المعلومات التي يملكها المؤرخ عندما يشرع في دراسة وبحث العالم القديم بشكل عام وتاريخ بني إسرائيل بشكل خاص؟ وأظن أن من المصادر العلمية الرئيسية المصادر النصية والكتابات القديمة على الأواني الفخارية وأوراق البردي والأختام والوثائق والرسائل. وسؤالي هو: هل يعد العهد القديم مصدرا تاريخيا موثوقا بالنسبة لنا. أم هل تجب قراءته على أنه قصة نشأة بني إسرائيل: أي أنه قصص تم نسجها وانتقلت من الآباء للأبناء؟**

الإجابة عن هذا السؤال معقدة وغير بسيطة وهناك الكثير من الجدل حولها، لكني سأخبرك بموقفي: أود أن أفرِق هنا بين أقسام العهد القديم المختلفة. فأنا أعتقد أننا في اللحظة التي نصل فيها إلى سفر القضاة ونواصل حتى أسفار صموئيل وسفري الملوك سنصبح موجودين في داخل كتابة تأريخية الغرض منها وصف الأشياء كما حدثت: كتابة تحاول أن تخبرنا الأحداث الرئيسية التي وقعت في وقت وجود بني إسرائيل في أرضهم بأمانة تاريخية. وذلك ابتداء بعصر تكوين الاستيطان الاسرائيلي في أرض كنعان وحتى السبي البابلي الحديث. وهذا هو الغرض من مجموعة أسفار القضاة وصموئيل والملوك. أما فيما يخص التوراة وسفر يشوع فلا أعتقد بإمكانية اعتبارهما تأريخا بالمفهوم البسيط للكلمة، كما لا أظن أيضا أن الهدف الرئيس منها هو سرد التاريخ. لكني أؤمن أن غرض التوارة الرئيس في بعض قصصها هو تقديم برنامج قصصي بخطوط عريضة للحدث المهم في سيناء وهو نزول التوراة: فلا يمكن اعتبارها مصدرا تاريخيا ومحاولة التحقق من كل تفاصيلها تاريخيا.

مع ذلك، وبخلاف موقف باحثين كثيرين، فموقفي هو أن قصة التوراة ليس لها قيمة أو سياق تاريخي. وسأعرض ماذا أقصد بالضبط: أنا أتفق تماما مع الراحل البروفسور ليبوفيتش بأن الغرض من التوراة لم يكن تعليمنا التاريخ، لذلك لا يجب الحكم عليها كما نحكم على القصة التاريخية. والسؤال المهم هو ليس إن كانت القصة قد حدثت أو لم تحدث، لكن ما المغزى الروحي والديني منها؟ مع ذلك، فرأيي إن القصة التوراتية تقدم لنا ما كنت سأسميه "ميثولوجيا[1] إسرائيلية لبداية جماعية بني إسرائيل". وسأوضح ماذا أقصد بهذا المصطلح.

**ونحن لا ندخل هنا في توتر ديني في هذا الموضوع؟**

كلا، لن ندخل في توتر ديني؛ فنحن سنناقش مسألة التوتر الديني لاحقا. أود تفسير معنى التعبير الذي استخدمته "ميثولوجيا إسرائيلية". ففي اللحظة التي قلت فيها "ميثولوجيا إسرائيلية"، اختلفت مع رأي كبار باحثي العهد القديم من اليهود وهو البروفسور: حزقيال قويفمان، الذي أعمل في قسم يحمل اسمه في الجامعة العبرية. والاختلاف مع قويفمان ليس بالأمر الهين بالنسبة لي. ففيما اختلافي معه؟

يزعم قويفمان أن أحد الفروق الكبيرة بين العهد القديم وبين ثقافات الشعوب القديمة الأخرى في منطقة الشرق القديم هو وجود ميثولوجيا في الثقافات الأخرى لكنها غير موجودة في العهد القديم. لذلك ففي اللحظة التي ذكرت فيها "ميثولوجيا إسرائيلية" اختلفت مع قويفمان. وسأشرح ما أقبله كما هو، بحسب قويفمان، وما أهذ به في هذه المسألة. إن قويفمان محق بالطبع في ملاحظته الأساسية بأن أساس ميثولوجيا الشعوب الأخرى في العصر القديم هو

---

[1] مجموعة أساطير خاصة بالثقافات التي يعتقد أنها صحيحة وخارقة، تستخدم لتفسير الأحداث الطبيعية وشرح الطبيعة الإنسانية.

قصة أسرة المعبودات. أي أن هناك أسرة من المعبودات: ذكور وإناث وزواج ونسل. وهذه هي طبيعة الميثولوجية الإلهية والقصص الأولى لخلق العالم متعدد المعبودات. وبأن هناك منافسة بين المعبودات في الأسرة على الحكم، وهناك بالطبع الموضوع الجنسي – الحب والشهوة والتزاوج والإنجاب. كل هذا أمر عادي جدا في ميثولوجيا المنطقة – حتى البابلية والكنعانية والمصرية. وأقول إذا بالعهد القديم يأتي ويقطع كل هذه الثقافة بحد السيف؛ وذلك من منطلق مفهوم عدم وجود أسرة من المعبودات في العالم الإلهي، وعدم وجود حروب وتزاوج بين المعبودات.

**لماذا؟ هل لضرورة أن يأتي العهد القديم بإلهٍ جديدٍ أفضل وأقوى من المعبودات البابلية أو المصرية بكثير؟**

ليس هذا هو السبب، لكن أساس ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم – وهنا أتبع قويفمان – هو الانفصال والفصل التام بين الإنسان الذي يخضع كمخلوق بيولوجي لقوانين بيولوجية مثل: الإنجاب والجنس والشهوة والولادة والموت، وبين الإله الذي هو أسمى وأعز من كل ذلك. فصورة الإله في العهد القديم أنه لم يلد ولم يولد ولا زوجة ولا يموت. وفي اللحظة التي تضع فيها هذا الأساس العظيم غير المصاغ حقيقة بشكل عقدي في أي موضع في العهد القديم؛ لكني اتفق مع قويفمان تماما بأن هذا الأساس يسيطر تماما على العهد القديم من أول صفحة فيه حتى آخر صفحة – فأنت في حقيقة الأمر قد عزلت نفسك تماما عن الديانات المحيطة التي تتحدث بصورة أخرى؛ حيث يختلف الحوار الديني فيها عن حوارك تماما. وعندما تستهل بالقول: في البداية خلق الله السماوات والأرض، ولا تحكي أي شيء عن أخبار هذا الإله، وما أصله؟ وكيف وجد؟ فإنك بذلك عزلت نفسك عن الثقافات الوثنية للشرق الأدنى القديم.

وعندما تحكي أسطورة قصة الخلق البابلية "إنوما إليش"[1] عن خلق العالم الذي يحدث أثناء الحرب بين مردوخ، المعبود الخالق، وبين تيامات، تنين البحر، فهي لا تبدأ بمردوخ؛ فمردوخ هو سليل أسرة من المعبودات من أجيال كثيرة. لذلك تحكي الأسطورة البابلية تاريخ الأجيال الأولى من أسرة المعبودات ثم بعدها فقط تصف الحرب: كيف قتل مردوخ تيامات وشطرها نصفين، وخلق من الجسد المشطور السماوات والأرض.

وتيامات هي رمز البحر والمياه المالحة ويشير اسمها إلى ما يوزاي في العبرية תהום təhôm "تهوم" (المياه). وتشير قصة الخلق في سفر التكوين في رأي كثير من الباحثين إلى القصة البابلية على ما يبدو. وإن استخدام كلمة "المياه" في الفقرة الثانية من سفر التكوين وتقسيم المياه إلى مياه عليا وسفلى في اليوم الثاني من الخلق، يشير إلى الأسطورة البابلية أيضا. هناك نقاط توافق لكن تختلف قصة العهد القديم كثيرا. فليس هناك ما يوزاي مفهوم الأسرة البشرية للمعبودات، ولا سيرة ذاتية للإله ولا حروب بين المعبودات.

**هذا على الرغم من أنه خطر ببالي على الفور الفقرة التي تقول: "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" والتي ربما تشير هي أيضا إلى نوعٍ ما من عائلات المعبودات في القصة في العهد القديم، كما هو في قصة إنوميا إليش؟**

كلا البته، فصيغة الجمع هنا كانت على ما يبدو طريقا من الإجلال الذي يسلكه الراوي في تطرقه إلى الرب. فضلا عن رغبتي في التمييز بين أمرين مختلفين: بين مسألة صورة الإله والوجود البيولوجي للألوهية. وأنا موافق على أن الشبه بين الإنسان والإله فيه معنى تجسيدي. ويرغب البعض في تفسير

---

[1] قصة الخلق البابلية أو إنوما إليش اكتشفها هنري لايارد في ١٨٤٩ في آثار مكتبة آشور بانيبال في نينوى العراق وطبعه اجورج سميث في ١٨٦٧ تتألف من ألف سطر تقريبا على سبعة ألواح فخارية باللغة البابلية القديمة، في كل لوح ١١٥ إلى ١٧٠ سطرا.

ذلك بالشكل الروحاني فقط، كمااتفق مع أن كلمة "صورة" لا تذكر فقط السمو الروحاني لكن تشير أيضا إلى الشكل الجسدي.

إلا أني اتفق كذلك مع أن هناك - على الأقل في مواضع كثيرة في العهد القديم - افتراض بأن للرب شكل ما - وإن كان هذا الشكل غير معروف لنا بشكل كامل – لكن وجود الشكل الإلهي لا يعني أن للإله وجود بيولوجي. فليس هناك موضع واحد في العهد القديم يوصف فيه الإله كإله بيولوجي بالمفهوم الوثني. فليس هناك حكاية عن مولده، كما أنه لا يحب ولا يشتهي في صورة إلهية أنثوية، كما أنه لا يلد. ولا توجد في العهد القديم صور إلهية أنثوية، فأين الوثنية؟ طردت جميعا! لا يوجد! لا يوجد! لقد طردت ليس فقط من الإحصاء الإلهي الأعلى، لكن حتى من المكانة المتوسطة للعائلة الإلهية. ألا نجد في العهد القديم أبناء الرب لكن ليس بنات الرب؟ لدينا ملائكة ذكورا وليس إناثا، لدينا السرافيم[١] ذكورا وليس إناثا.

**إشكالية تعريفية صعبة ...**

أجل، فلدينا الكروبيم[٢] في جنة عدن في الخيمة[١] وفي الهيكل، وفي مركبة حزقيال، ولا توجد كروب واحدة مؤنثة صغيرة. بالفعل، إشكالية تعريفية

---

[١] مجموعة من الملائكة موجودة في الأديان الإبراهيمية خصوصا اليهودية والمسيحية، ذكرت في سفر إشعياء بوصفها تتلو نشيد التقديس " قدوس، قدوس، قدوس" محيطة بالعرش؛ وهو ما دخل على الطقوس المسيحية ومنها القداس الإلهي. والسرافيم حسب التقليد اليهودي مجنحة بستة أجنحة.

[٢] ملائكة يرسلون من قبل الرب أو يقيمون في حضرته، أقامهم على أبواب جنة عدن عندما طرد أدم وحواء منها (تك ٣: ٢٤) ويقال أن لهم جناحين؛ أما أشباهها فكانت من ذهب ووضعت على غطاء تابوت العهد (خروج ٢٥: ١٨ و١٩ و٢ أخبار ٣: ١٠-١٣). وكان جناحا الكروبيم يظللان التابوت.

صعبة، لأن هذا الاستبعاد للشخصيات الأنثوية من الأسرة العليا له تأثير على المقدس الأرضي.

كانت المعابد في العالم القديم هي المكان الذي تتم فيه محاكاة الأسطورة. فنجد على سبيل المثال في معبد عشتار البابلية المعروفة كذلك باسم إينانا أنهم يقيمون مراسم الزواج المقس بين إينانا التي كانت تمثلها الكاهنة الكبرى لإينانا، وبين الملك الذي يمثل المعبود دوموزي[2] - تموز، الذي ورد ذكره في سفر حزقيال (٨: ١٤) ويسمى شهر تموز باسمه، وكان معبود الحصاد البابلي. ويعد هذا التزاوج بين دوموزي - تموز، وإينانا؛ مفتاح الخصوبة والبركة والوفرة طوال العام.

ولا يمكن لديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم احتمال هذه الأشياء وعلى أثر ذلك استبعدت النساء تماما من عالم العبادات. فلا يوجد في الهيكل الإسرائيلي كاهنات، فهن غير قادرات على الدخول إلى الهيكل للعبادة. ولم يوجد في الشرق الأدنى القديم كله معبد كان فيه كهنة من الرجال فقط دون النساء.

---

[1] الخيمة الأصلية التي كان يجتمع فيها الرب بشعبه (خروج ٣٣: ٧ - ١٠)، ولذلك سميت "خيمة الاجتماع" وأطلقت (الخيمة) على بيت آخر وضع فيه داود التابوت (٢ صموئيل ٦: ١٧ وأخبار الأيام الأول ١٦: ١). أما الخيمة الأصلية فهي التي أمر الله موسى أن يقيمها في البرية لكي يسكن فيها بين شعبه (خروج ٢٥: ٨ و٩) ؛ ولذلك سميت "المسكن". وكانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة ولذلك سميت "مسكن الشهادة" (خروج ٣٨: ٢١). وقد أطلق عليها اسم "بيت الرب". ولقد صنعت من المواد الأولية من شجر السنط الذي كان ينبت في البرية، وجلود الحيوانات، والذهب، والفضة، والنحاس وأدوات الزينة.

[2] تموز أو دموزي - Tammuz - Dumuzi - ومعناه الابن المخلص، وهو أحد حراس بوابة السماء والمسؤول عن دورة الفصول عندما يبعث حيا كل ستة أشهر عند شهر تموز رابع شهور التقويم البابلي. ومن ألقابه: الراعي والثور الوحشي. ومن وظائفه الأخرى الإشراف على المراعي. وهو إله الحظائر ويمثل عنصر الذكورة في الطبيعة وزوجته هي الإلهة عشتار.

فأين يوجد ذلك؟ من البديهي أن استبعاد النساء من الكهانة يمنع إقامة طقس زواج كهذا الذي يجسد التزاوج الإلهي داخل الهيكل. فالهيكل في العهد القديم هو منطقة ذكورية خالصة وعند بناء المعبد اليهودي، أصبح بديلا عنالهيكل، فماذا يعني ذلك؟ النساء من وراء حجاب.

**أو في الأعلى، في مصلى النساء، وليس في نفس المستوى مع الرجال ...**

النساء في الأعلى أو من وراء حجاب. فلا دور لهن في الشعائر والعبادة. مما يعني أن ثورة ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم قد أدت في نهاية المطاف إلى استبعاد النساء من الهيكل، وعلى أثره من المعبد أو الكنيس. وكل الجدل الدائر اليوم في الديانة اليهودية بمختلف تياراتها حول مدى مشاركة النساء مصدره الفكرة الأولية لاستبعاد الشخصيات الأنثوية من العائلة العليا، وكل شيء متسلسل.

**هل يمكننا هنا ملاحظة، باستثناء الجانب الديني ومسألة الوجود البيولوجي، رغبة الكهنة في السيطرة الحصرية على الهيكل؟**

كلا. فقد كان هناك الجانب الديني قبل أي شيء، وهو أحد التجديدات المركزية لهذه الديانة وهو: ألوهية غير جنسية. ورغم حديثهم الفعلي عن الإله على أنه ذكر، إلا أنه ليس ذكرا من ناحية الذكورة الجنسية. وهناك أنواع كثيرة من الاستعارات التشبيهية التي تتطرق إليه كما لو كان رجلا لكن لا يتضح مع ذلك وصفه بالضبط. هناك باحث يدعى هاوارد شفارتس طرح سؤالا جيدا في هذا السياق: هل للإله في العهد القديم لِحية؟ وماذا كان الرد؟ لا نعلم. ففي سفر دانيال وصف لشعر رأسه يقول بأن شعر رأسه مثل الصوف الأبيض أو الناصع النقي (دانيال ٧: ٩). لكن لحية، ألديه لحية أم لا؟

**في رسومات الكنيسة الكاثوليكية لديه.**

في الرسومات نعم. إذا ذهبت إلى كنيسة سيستينيا[1] سترى كيف رسم مايكل أنجلو الرب خالق الإنسان بلحية طويلة.

**وشعر أبيض كثيف ..**

أجل، أجل، لكن العهد القديم لا يقدم أي إشارة بخصوص اللحية. ويزعم نفس الباحث، شفارتس، أن ذلك ليس امتناعا عن طريق المصادفة، لكن عن عمد. فهم لا يرغبون في التحديد الدقيق للهوية الوصفية للإله، بأن لا جنس له وأنه لا يتزاوج ولا يلد، لذلك من الأفضل عدم التحديد الدقيق لهويته الوصفية. نحن هنا بصدد رغبة في الإرتقاء بالإله؛ فالوجود الإنساني أو الحياة كما نعرفها بشكل عام يتم التعبير عنها في وظائف الجنس والتزاوج وعلى الرب أن يسمو فوق كل ذلك. وذلك في رأيي هو مفتاح الأمر كله؛ لذلك اتفق مع قويفمان بأن العهد القديم ليس به ميثولوجيا بمفهوم حياة الرب وولادته وحروبه وشهواته وغرامياته في العالم الإلهي. الرب لديه شهوة فهو يحب بني إسرائيل لكنه لا يشتهي واحدة من أسرته. فلا توجد إناث في العائلة بالأعلى، ولا قصص غرامية. ويحكي الإصحاح السادس من سفر التكوين عن "أبناء وبنات الرب". أبناء الرب ليسوا أبناءه البيولوجيين، فرب العهد القديم ليس له صاحبة ولا ولد، لكنهم مخلوقات إلهية من مرتبة ثانوية. كما أن "أبناء الأنبياء" في العهد القديم ليسوا بأبنائهم البيولوجيين لكن تلاميذهم لديهم قدرات نبوية أقل مرتبة. وأبناء الرب وفقا لما ورد في سفر التكوين هم الملائكة الذين بقوا بدون زوجات سماوية، فاتخذوا لهم نساء من بنات الإنسان (التكوين ٦: ١-٤). لكن الرب نفسه ليست لديه شهوة جنسية ولا يشتهي بنات الإنسان.

**ألم يعشق دبوره النبية؟**

---

[1] أكبر كنيسة موجودة بالقصر البابوي الذي يعتبر المقر الرسمي للبابا في مدينة الفاتيكان.

كلا. كلا. لقد أحب بني إسرائيل بحسب مصادر العهد القديم، وكان حبا خائبا بحسب الأنبياء هوشع وإرميا وحزقيال. لكنها استعارات بالطبع؛ فهو ليس حبا فيه تجسيد بيولوجي جنسي.

إن كان الأمر كذلك فلماذا رغم كل ذلك استخدم مصطلح "ميثولوجيا إسرائيلية"؟ لأني أقول: يا معلمنا وسيدنا حزقيال قويفمان! أنت محق؛ فالإله في العهد القديم ليس ميثولوجيا بهذا المفهوم، فلا توجد عنه قصة ولادة وتزاوج وإنجاب. لكني مع ذلك اعتبر سفر التكوين كتابا ميثولوجيا أيضا، بمفهوم ما.

فماذا أقصد؟ إنه ميثولوجي بالمفهوم الذي جاء فيه ليحكي لنا قصة غير تاريخية بالتفصيل. أي عندما يحكى لنا عن إبراهيم وإسحق ويعقوب والخروج من مصر وسيناء والدخول إلى أرض كنعان – تكون كل هذه الحكايات عبارة عن قصص افتتاحية الغرض منها ليس وصف الأشخاص والأحداث بالشكل التاريخي الدقيق، لكن وضع إطار لخلفية السؤال "من أين جئنا"؛ أي: ما هي بداياتنا؟ لذلك أقول: عندما أنظر إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب - دون رفض إمكانية وجود شخصيات محددة بهذه الأسماء – فإني أميل أكثر إلى اعتبارهم ممثلين لعناصر قبلية في إسرائيل في عصر العهد القديم، تعرض علينا قصصهم كقصص أفراد لكني أعتقد أنها تمثل الجماعة. أي أن سفر التكوين ومن بعده أسفار التوراة الأخرى هي أسفار عن المجموعة الأولى لبني إسرائيل. وإذا أردت تفسير مقصدهم عندما يخبروننا عن هذه الجماعة الأولى، فيجب وضعها في إطار تاريخي ومحاولة ترسيخها عبر اكتشافات من العصر الذي وقعت فيه الأحداث تقريبا، سواء فيالعصور البرونزية أو بداية العصر الحديدي الذي تلاه.

ومسألة ماذا تمثل؟ أي ماذا يمكن أن تقدم لنا قصة إبراهيم القادم من حاران[1] إلى كنعان، وقصة يعقوب وعيسو؟ أعتقد أن كل شخصية من هذه

---

[1] عند منبع نهر البليخ، أحد روافد نهر الفرات.

الشخصيات تمثل جماعة. وهي الوحيدة التي يمكنها أن تحكي لنا قصة عن الشعب. هكذا أقرأ سفر التكوين.

**لكن بروفسور، أتدري ماذا خطر ببالي؟**

ماذا خطر ببالك؟

**أذكر إني قرأت قليلا عن الفرعون تحتمس الثالث في حملته على مجدو[١] وهو يعبر نهر عيرون[٢] بجيشه لمهاجمة ملوك كنعان المتمردين، ثم نقش حكاية المعركة على جدران معبد الكرنك. هذا نقبله كحقيقة تاريخية ولا نقول عنه إنه أسطورة. فما الفرق إذن بين المنقوش على جدران معبد الكرنك وبين المكتوب لدينا في العهد القديم؟**

هذا ما أقوله: إن ما كتبه تحتمس الثالث عن حملته في كنعان وعن معركة مجدو هو أقدم وصف تفصيلي لدينا لحرب في التاريخ، وصف من القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وصف دونه ملك مصري أو دونه في وقت يقارب الحدث التاريخي. ولم أكن لأتفق معك بأننا في حاجة من البداية إلى التطرق لكل ما هو مكتوب على أنه حقيقة خالصة، فالكتابة في بلاط الحاكم عادة ما يكون لها توجهات سياسية معينة. لذلك أقول: لنقرأ أيضا نص تحتمس بنوع من الريبة. فمن المحتمل أن تكون فيه مبالغة بغرض تعظيم الحاكم. لكني أتفق معك بشكل مبدئي بأن ذلك مصدر يجب التعامل معه على أنه مصدر تاريخي.

وفي المقابل، قصص سفر التكوين بحسب فهمي تم تدوينها بعد مئات السنين من بداية بني إسرائيل، عندما أصبحت الحقائق الأساسية شبه منسية. فنقرأ على سبيل المثال قصص الآباء وكذلك سفر يشوع حول احتلال أرض كنعان،

---

[١] تل المتسلم، بشمال فلسطين.

[٢] ممر عارونا الجبلي الضيق.

كما نقابل شعوبا مختلفة كانت موجودة في أرض كنعان في تلك الفترة، قابلهم الآباء في كنعان ...

**لدينا هنا مفارقة تاريخية.**

لحظة! دعنا نشير إلى بعض الأسماء. نحن نتحدث إذن عن فلسطينيين وحويين وكنعانيين - كثيرا عن الكنعانيين - وكذلك عن حثيين. وللقاء المصريين عليك السفر إلى مصر. فإبراهيم يهبط إلى مصر، و هناك يلتقي الملك هو وسارة. ويباع يوسف كعبد في مصر، ويهبط يعقوب وأبناؤه إليها. هذا هو السياق الذي تلتقي فيه المصريين بحسب سفر التكوين. لكن المشكلة إننا نعرف من الكتابات المصرية أن نفس الشخصية التي أشرت إليها بالضبط وهي تحتمس الثالث، هو الذي أقام الحكم المصري في أرض كنعان. ومنذ هذا العصر بالفعل، القرن الخامس عشر قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كانت أرض كنعان خاضعة للحكم المصري بشكل كامل، وآثار الحكم المصري[1] في كنعان موثقة كذلك في الوثائق المصرية، وفي العديد من الكتابات التي اكتشفت في مواضع مختلفة في فلسطين أيضا، وكل شخص يستطيع زيارتها ومشاهدتها. وفي حفائر حديقة "هابسجا" في يافا القديمة تم اكتشاف جزء من بوابة من عصر رمسيس الثاني. وهو الفرعون الذي بنى مدينة رعمسيس المذكورة "رعمسيس[2]" في الإصحاح الأول من سفر الخروج. كان رمسيس الثاني ملكا مصريا عظيما حكم سنوات طويلة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وحكم أيضا كل أرض كنعان وشيد في يافا بوابة كبيرة عليها نقش كبير يحمل اسمه عثر عليه مكتوبا على بقاياها.

---

[1] ضمن الامبراطورية المصرية آنذاك.

[2] بر رعمسو

لكن انظر العجيب في الأمر! حيث لم يرد في سفر الخروج أو التكوين أو التثنية، و لا حتى في سفر يشوع أي ذكر للحكم المصري في كنعان. لذا ينقصنا هنا شيء أساسي جدا. فلو أن هذه الأسفار دونت في وقت وقوع الأحداث التي تصفها، لتوقعت أن تعكس شيئا ما كان موجودا في تلك الفترة. لكن ذلك غير موجود. ويبدو أنه عند تدوين الأسفار[1] كان الحكم المصري لكنعان قد طواه النسيان.

أنا لا أرغب في الذهاب نحو الطرف الآخر كما يصنع الكثير من الباحثين خاصة التقليليين منهم وأرفض القيمة التاريخية لسفر التكوين أو سفر يشوع تماما. فأظن أن في هذه الأسفار أشياء تعكس واقع فترة بداية إسرائيل بالفعل، وأن هناك ما يمكن الاستفادة به؛ لكن لا يمكننا قبولها كمصدر تاريخي على غرار كتابات تحتمس الثالث. فلا أعتقد أن الغرض منها هو استخدام القصة التاريخية بهذا الشكل.

**السؤال هو: إلى أي مدى يمكننا الاعتماد على قصة العهد القديم المكتوبة في القرن السابع قبل الميلاد على وجه الافتراض، عندما تصف أحداثا حدثت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. فإلى أي درجة يمكنني الاعتماد على ذلك؟**

أنا لا يمكنني الاعتماد عليها كمصدر تاريخي موثوق به. لكن توجد أشياء هنا وهناك تعكس الحدث التاريخي، أو كنت لأقول، تعكس ذاكرة الحقائق التاريخية الراسخة. لنأخذ على سبيل المثال سفر يشوع؛ فعلى الرغم من أنه يبدو أن هذا السفر قد دوِّن بعد مئات السنين من الأحداث التي يصفها، وعلى الرغم من أن التواجد الإسرائيلي في أرض كنعان لم يبدأ بمعركة تقليدية وشاملة كما يصفها؛ إلا أنه كانت هناك عملية أكثر تعقيدا من التي تعرضها

---

[1] تعددت النظريات حول نقطة البدء للتدوين إما من ٧٠٠ ق.م خلال الأسر البابلي الكلداني، أو ٧٠ ق.م، أو ١٠٠م.

الإصحاحات الأولى لسفر القضاة بشكل موثوق أكثر؛ مع ذلك يحتوي سفر يشوع على عدة أشياء يبدو أنه احتفظ بها في الذاكرة على مدار مئات السنين منذ وصول بني إسرائيل إلى كنعان. مثال على ذلك احتلال حصور[1]؛ حيث ورد أن حصور هي "رأس الممالك"؛ أي أنها أهم مملكة في كنعان، وأن يشوع حرقها بالنار (يشوع ١١: ١٠-١١). وكانت حصور بالفعل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، قبل خرابها، أهم مدينة في كنعان. وكانت مساحتها أكبر عدة مرات من أي مدينة أخرى في كنعان، وشاهد على أهميتها حقيقة ورود ذكرها في المصادر التي تم اكتشافها في أماكن بعيدة عنها بكثير، مثل ماري[2] في منطقة الفرات، وأنها كانت رأس الممالك في كنعان بالفعل. ولقد كشفت الحفريات التي تجري منذ عدة سنوات في منطقة حصور ، أن المدينة شهدت حريقا كبيرا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي أن عدم قبولي سفر يشوع كمصدر تاريخي لا ينزع عنه قيمته التاريخية.

**بروفسور! تهمني للغاية مسألة التقسيم إلى عصور في العالم القديم. فإذا أردت تحديد عصر بني إسرائيل في العهد القديم، فبمن أو بماذا عليّ أن أبدأ؟ ربما بأبينا إبراهيم؟ أول من وضع أسس الديانة التوحيدية القديمة، أو بالخروج من مصر، الحدث الأكبر الذي مهد طريقنا نحو جبل سيناء، أو بتلقي الشرائع التي أصبحت فيما بعد الأساس الأخلاقي للعالم الغربي؟**

أعتقد أن الإطار التاريخي للنظر إلى بداية بني إسرائيل يأخذنا إلى الفترة التي نسميها "العصر البرونزي المتأخر"، والتي ذكرناها من قبل. فنحن نقسم التاريخ

---

[1] مدينة كنعانية قديمة مهمة كانت عاصمة مملكة الكنعانيين، تل القضاة، الجليل الأعلى، في شمال فلسطين.

[2] مملكة ماري إحدى ممالك الحضارات السورية القديمة التي ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد. تل الحريري حاليا.

في مجمله في الحضارة البشرية إلى عصور بحسب الأدوات التي استخدمها الإنسان. العصر الحجري الذي استخدم فيه الأدوات الحجرية، والعصر البرونزي الذي استخدم فيه أدوات مصنوعة من البرونز وهو النحاس المخلوط بالرصاص، ثم يليه العصر الحديدي. والأفق التاريخي الذي تجب فيه مناقشة بداية بني إسرائيل يكون في إطار العصر البرونزي المتأخر. ومن المتبع الإشارة إلى بداية العصر البرونزي المتأخر بداية من سنة ١٥٥٠ قبل ا لميلاد تقريبا، منذ العصر الذي تخلص فيه المصريون من حكم الهكسوس. والهكسوس مجموعات بشريةجاءت من كنعان واستوطنت في مصر. ومن بينهم على ما يبدو أناس جاءوا إلى مصر كتجار مع من جاءوا من كنعان كأسرى حرب، وزاد عددهم وتزايدت قوتهم تدريجيا واستولوا في نهاية الأمر على القسم الشمالي من مصر[١] وحكموه لحوالي مائة وخمسين سنة وأسسوا عاصمتهم في مدينة تسمى أواريس[٢] التي كانت تقع بالفعل في المكان الذي سيؤسس فيه رمسيس الثاني فيما بعد عاصمته. (نضطر هنا إلى التساؤل لماذا اختار رمسيس الثاني، أعظم ملوك مصر، الذي حكم طوال القرن الثالث عشر قبل الميلاد تقريبا، تشييد عاصمته الجديدة التي أسماها بر-رعمسيس أي بيت رمسيس في نفس المكان على الأرجح الذي كانت فيه عاصمة الهكسوس؟ هذا سؤال مهم سنتناوله فيما بعد). لكن دعنا نتحدث أكثر عن الهكسوس، الذين شيدوا عاصمتهم هناك.

**بروفسور! هل يمكنني القول بناء على ما سمعته منك إنه إذا ورد في سفر الخروج أن عدد بني إسرائيل القادمين إلى مصر كان سبعين نفسا ثم زاد وكثر كثيرا، وأن في ذلك ما يمكن مقارنته بتاريخ الهكسوس؟ أي أن بني إسرائيل أصلهم من الهكسوس في الأصل؟**

---

[١] أسسوا لهم دويلة في شرق نهر الدلتا في حت وعرت (الختاعنة، قنيطر الحالية)

[٢] في المصرية القديمة حت وعرت.

هناك رأي يحاول ربط قصة العهد القديم حول الخروج من مصر بقصة الهكسوس. وهذا موجود بالفعل في المصادر المصرية واليهودية أيضا التي تعود إلى نهاية عصر الهيكل الثاني، ومن الممكن أن يكون الأمر كذلك[1]. ومن المحتمل أيضا أن تقوم القصة في بعضها على هذه الذكرى؛ لأنه توجد هنا في واقع الأمر بعض العناصر المشتركة؛ فالكنعانيون يأتون من كنعان إلى مصر ويكثرون ويزداد عددهم بسبب الزيادة الطبيعية على ما يبدو وكذلك عبر قدوم مهاجرين أو أسرى آخرين، وتصبح أعدادهم هي الغالبة بكل بساطة. فيستغلون ذلك ويسيطرون ويبنون هذه العاصمة لهم ويؤسسون أسرة مالكة، أسرة جديدة من حكام غير المصريين في الأصل.

**ومن أين جاءوا هم إلى كنعان؟ أم أنهم كانوا في حقيقة الأمر السكان الذين سكنوا كنعان؟**

كانوا كنعانيين. وفي مستهل البحث عن أصلهم كانت هناك تكهنات كثيرة تقول بأنهم جاءوا من أماكن مختلفة، لكن يبدو أن معظمهم جاء إلى مصر من كنعان. ومن أجل الاندماج والتواصل مع الديانة المصرية كان عليهم القيام بأي تزاوج بين العالم الديني الكنعاني والعالم الديني المصري. وككنعانيون كان إلههم الرئيس هو "بعل" الذي هو إله العواصف والأمطار. لذلك بحثوا عن نظير له في العالم الديني المصري. فمن من الممكن أن يصبح نظيرا لـبعل؟ مصر فيها أيضا إله للعواصف اسمه "ست" وهو شخصية سلبية وتسبب المشاكل؛ فاتخذوه إلههم الرئيس.

---

[1] الربط خاطئ أثريا وتاريخيا بين الهكسوس واليهود خلال تلك الفترة الزمنية المبكرة واستندت الي روايات غير موثقة للكاتب اليهودي يوسف في صراعاته اللغوية دفاعا عن جاليته اليهودية التى خانت المجتمع السكندري في صراعاته وانتفاضته ضد الحكم الروماني علي مصر.

**إله العواصف؟**

أجل، "ست" المصري و"بعل" الكنعاني كلاهما إلهان للعواصف. وأشير فقط إلى ملحوظة مبكرة بخصوص رمسيس الثاني: من المثير للاهتمام أن أباه كان يدعى"ستي"، وأنت ذكرت لي في حوار آخر بيننا عن ابنته، ماذا كان اسمها؟ ابنة رمسيس الثاني؟ ابنة عنات!

**بنت عنات**

بنت عنات! من تكون "عنات"؟ عنات هي أيضا من الأسطورة الكنعانية، أخت الإله بعل وزوجته. لقد بدأنا ندرك فجأة أن شخصية رمسيس الثاني محاطة بالتراث الكنعاني الإلهي للهكسوس. فأبوه ست - ستي، وابنته بنت عنات. أمر مثير للاهتمام للغاية[1].

**هذا بالفعل مثير للاهتمام جدا، لكن يهمني أيضا كيف من الممكن أن يحتل الهكسوس مصر السفلى. نحن نتحدث عن إمبراطورية عظيمة وهي مصر، التي تدخلها فجأة قبائل رحل وتحتل كل مصر السفلى[2]؟ ذلك ما يجعل من الصعب على شخص غير خبير مثلي في هذا الموضوع أن يفهمه. فالهكسوس ليسوا بإمبراطورية. والبابليون كانوا إمبراطورية، والأشوريون إمبراطورية، والحيثيون إمبراطورية. لكن فجأة تدخلها قبيلة ما وتحتلها.**

---

[1] الأمر ليس بغريب في العقيدة المصرية التى تقبلت العديد من المعبودات من أصول أجنبية من مراكز حضارات شرق حوض البحر المتوسط ومن ميزوبوتاميا (العراق القديم) ومن ليبيا والنوبة القديمة.

[2] الواقع الأثري يناقض ذلك الرأي ولم تتعد الآثار ذات الصلة بالأصل أو التقليد لمظاهر حضارة دويلة المدينة الهكسوسية في شرق دلتا نهر النيل ما يوازي حاليا محافظتى الشرقية والدقهلية،، كل ما كان هناك أن الحكومة المركزية المصرية آنذاك كانت منهارة خلال ما عرف باسم عصر الانتقال الثاني وبالتالي تسللت تلك المجموعات البشرية من أصول أسيوية وأقامت لها مجتمعا محليا بمواصفات حضارتها بالمكان وحتى حين.

لا أعتقد إننا نتحدث هنا عن قبيلة فهم سكان كنعانيون. والمصريون يفرقون بينهم وبين بقية السكان، لأنهم أسيويون، لأنهم جاءوا من آسيا. وذلك على ما يبدو عبر عملية لا يمكننا تتبع تفاصيلها الدقيقة بالضبط، وزاد عددهم ونجحوا في تولي مناصب في الحكم.

**إلى هذا الحد؟**

أجل. ينجحون إلى هذا الحد على مدى مائة وخمسين سنة في أن يصبحوا حكام فراعنة وتأسيس أسرة. وبنظرة شاملة إلى تاريخ مصر سنجد أن ذلك ليس ظاهرة فريدة. فسنجد على مدى التاريخ المصري أن هناك أسرة أسستها عناصر جاءت من الجنوب من النوبة بالسودان[١]، وكذلك أسرة أسستها قبائل جاءت من الغرب من ليبيا[٢]. هكذا لم يكن استيلاء الكنعانيين الذي جاءوا من الشمال بأمرٍ شاذٍ[٣]، واستمر على ما يبدو حوالي مائة وخمسين سنة حتى جاء أمير مصري من الجنوب اسمه أحمس وينجح في طردهم. جاء من مكان نسميه نحن مصر العليا[٤]؛ أي الأعلى بكثير، في المكان الذي توجد فيه مدينة طيبة، الأقصر حاليا. فيعيد أحمس مصر إلى مجدها وعظمتها. لقد كان طرد الهكسوس، وصد الكنعانيين ومطاردتهم داخل كنعان، واحتلال[٥] مدينة تل الفارعة[٦] في النقب التي كانت مدينة مهمة من مدن الهكسوس؛ نقطة تحول

---

١ المقصود الأسرة الخامسة والعشرون الكوشية في منتصف الألف الأول قبل الميلاد تقريبا.

٢ او ما يعرف بالأسرة الليبية الحادية والعشرون من الأسرات المصرية

٣ لم تبسط تلك المجموعات البشرية (الهكسوس) السيادة العسكرية او الادارية علي كامل تراب مصر آنذاك ، وبالتالي ليس هناك مجال للمقارنة والمقاربة مع تلك الأسرات اللاحقة التى بسطت نفوذها السياسي علي كامل تراب مصر !!

٤ (صعيد مصر) في مقابل مصر السفلي (الدلتا).

٥ شاروهين.

٦ العجول أو الفرعه الحالية

يُشار فيها بشكل عام إلى التحول إلى العصر البرونزي المتأخر في منطقتنا. وهو العصر الذي يجب البحث فيه في رأيي عن الخطوات الأولى التي أدت بشكل غير مباشر إلى وجود إسرائيل ونشأة كتاب الكتب، العهد القديم.

**أود أن أتطرق إلى عملية الكتابة. كيف تطورت الكتابة في العالم القديم؟ من الكتابة التصويرية حتى الكتابة التي نستخدمها اليوم؟ ومن كان أول من عرفوا الكتابة؟ وأي كتابات حفظت من كتاباتهم؟**

ذكرت من قبل النقش الذي كتبه تحتمس الثالث الذي يصور معركة مجدو. كُتِب هذا النقش مثل النقوش المصرية الأخرى بالخط الهيروغليفي الذي كان عبارة عن كتابة تصويرية تطورت في مصر. ونحن نعرف هذه الكتابة منذ الألف الرابع قبل الميلاد. ولفهم الكتابة بالصور عليك تعلم الكثير من الرموز. لأنه لا يوجد تمييز بين العلامة المكتوبة وبين النطق الصوتي؛ لكن الرموز تمثل الأغراض أو الحالات أو الشخصيات وما إلي ذلك. لذلك عليك معرفة الرموز.

وفي مقابل تطور هذه الكتابة، نجد أنه على الجانب الآخر من الشرق الأدنى القديم، في بلاد النهرين، تطورت كتابة عرفت بالكتابة المسمارية، وذلك في العصر القديم جدا من حضارة بلاد النهرين، وهو العصر السومري. وهي في الأساس عبارة عن صور شهدت عملية من التجريد مع مرور الوقت، لكنها لاتزال كتابة تصويرية. ولتعلم قراءة الخط المسماري وكتابته عليك تذكر الكثير من الرموز. وهذا العصر هو نفس العصر تقريبا – الألف الرابع قبل الميلاد، وهو عصر بداية الكتابة المسمارية.

إذن فالحضرتان العظيمتان والقويتان في الشرق الأدنى القديم: ثقافة بلاد النهرين في الشمال الشرقي والثقافة المصرية في الجنوب الغربي، قد طورتا

كتاباتيهما الخاصة في فترة مشابهة. وتحتاج هذه الكتابة، كتابة الصور والرموز، إلى تذكر الكثير من الرموز. ولقد كتبت الرموز في كل مكان بحسب طريقته.

والكتابة المسمارية تكتب نقشا على ألواح من الطين الطري ثم تجف وتحرق بعد ذلك، أما الكتابة المصرية فقد كتبت بالقلم والحبر على ورق البردي بشكل عام.

**إذن، عندما يريد حاكم مصر إرسال رسالة إلى أي مملكة صغيرة خاضعة له في كنعان، فبأي لغة يكتب الرسالة؟ أو كيف يفهم من يتلقى الرسالة ما كتب بالخط الهيروغليفي؟**

لم تكن هذه الكتابات منذ نشأتها الأولى من أجل شعبك، فمن لديه الوقت والقدرة على تعلم هذا العدد الكبير من الرموز؟ لذلك توجد مجموعتان من النخب التي تعرف فن القراءة والكتابة. وهما موجودتان بشكل عام حول البلاط الملكي: كتبة الملك، وفي المعابد. ففي المعابد الكبرى أيضا كانت هناك كتابة، كتابة القوانين والعادات الدينية. ولهاتين المجموعتين مدارس؛ لأن عليك تعلم الكتابة بشكل منتظم في المدرسة ويحصل من تكون هذه هي مهنته على أجر في مقابل الكتابة. ويعيش كتبة الملك على خزينته، ويعيش كتبة المعبد على خزينة المعبد. أما الشخص العادي فلا يعرف القراءة والكتابة.

والعصر الذي نتحدث عنه، العصر البرونزي المتأخر، كانت فيه عمليات لتبادل رسائل مكتوبة بين الممالك: بين بلاد النهرين ومصر، على سبيل المثال، أو بينهما وبين مملكة الحثيين - مملكة كبيرة لم نتحدث عنها بعد ظهرت في العصر البرونزي المتأخر في منطقة الأناضول، تركيا اليوم - كما يرغب مختلف الحكام في تبادل الرسائل فيما بينهم.

وتوجد أيضا مراسلات داخلية بشكل أكبر: فقد كانت أرض كنعان كما ذكرنا تحت حكم مصر طوال فترة العصر البرونزي المتأخر، وكان الهيكل السياسي في

أرض كنعان عبارة عن ملوك للمدن. (وهوما نجد له إنعكاسا في سفر يشوع؛ أي أن سفر يشوع يصور لنا ليس فقط حقيقة أن مدينة صور هي رأس الممالك، لكن المدن الأخرى في كنعان هي أيضا مدن ملكية لكل منها ملِكها الخاص). راسل هؤلاء الملوك البلاط الملكي المصري؛ لأنهم كانوا خاضعين له. فلم يكونوا مستقلين حيث كانوا ملوكا تحت الوصاية، أي ملوكا من مرتبة ثانوية يخضعون للفرعون في مصر. ومن حسن الحظ أنه تم الحفاظ على أرشيف مهم ومثير جدا عُثر عليه في مكان يُسمى تل العمارنة في وسط مصر[1]؛ حيث كان عاصمة لشخصية شيقة سنتحدث عنها فيما بعد، وهي الفرعون أخناتون، فرعون الإصلاح الديني الذي حكم مصر في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ولكونه تجديديا في كل شيء، فقد مقت المراكز المصرية القديمة الموجودة في منطقة دلتا النيل، حيث مركز مصر السفلى، ولم يرغب كذلك أن يكون في الجنوب، في مصر العليا، حيث مدينة طيبة المدينة الرئيسية فيها - الأقصر اليوم؛ فشيد هناك مدينة في الرمال في مكان غير مأهول أطلق عليها "أخيتاتون"؛ أي أفق قرص الشمس[2]. وآتون هو الإله الذي يرمز إلى ضوء الشمس، وجعله الإله الأوحد – حيث كان توحيديا بصورة أو بأخرى. وسنعود إلى ذلك عندما نتحدث عن بداية ديانة العهد القديم. وبنى أخناتون في هذه المدينة المعابد والقصور، وأرشيفا. فقد كان لديه الكتبة الذين يدونون كافة المراسلات التي قام بها الملك، كما احتفظ هناك كذلك بمراسلاته مع أبيه أمنحتب الثالث الذي كان أيضا ملكا عظيما. إنه أرشيف أخيتاتون، أو تل العمارنة بالمسمى الحالي. مات أخناتون بعد أن حكم خمس عشرة سنة تقريبا، وكان في الخامسة والأربعين عند وفاته. ولا نعلم بالضبط سبب وفاته فهل

---

[1] بمحافظة المنيا حاليا.

[2] كعاصمة سياسية ومركزا دينيا لمعبوده الجديد آتون.

قتلوه، أم كانت وفاة طبيعية. على أي حال، فقد اضمحلت عملية الإصلاح الديني بموته. فقد قام ابنه توت عنخ آمون الذي تولى العرش من بعده في الثامنة أو العاشرة من عمره، وكان متأثرا بشخصيات رفيعة في البلاط؛ بإلغاء هذه الإصلاحات تماما، فعادوا إلى الديانة القديمة، والإقامة في المراكز القديمة في عواصم مصر القديمة، وإلى إقامة العبادات في المعابد. بعدها هجرت مدينة أخيتاتون وأصبحت أطلالا وغمرتها الرمال. وتم اكتشاف المدنية فقط عندما وصل الأثريون إلى المكان قبل حوالي مائة وخمسين سنة وبدأوا التنقيب فيها، حيث اكتشف فجأة ...

**كنز عظيم –**

كنز عظيم. كل قصة الثورة الدينية التي تم محوها من الذاكرة. فقد محي تماما اسم أخناتون من قائمة أسماء الملوك. فلم يرغبوا في تخليد اسمه، لا هو ولا ورثته؛ فأزالوه بكل بساطة. هو المرتد، فمحوه.

**هل الحديث هنا عن صراعات دينية في داخل مصر؟**

أجل! صراعات دينية بالطبع. حيث قاموا بحذفه من قائمة الفراعنة وهدموا ما شيده من مباني. ومن خلال الحفريات الأثرية فقط تم اكتشاف هذه القصة المدهشة لهذه الثورة. كما تم اكتشاف فن هذا العصر الرائع. كان أخناتون نفسه ثوريا من الناحية الفنية. فالكثيرون يعرفون تمثال رأس زوجته نفرتيتي الموجود في مجموعة الآثار المصرية في برلين. ومن يزور متحف برلين، يرى الدليل على فن عصر أخناتون. إنها ثورة حقيقية مقارنة بالفن المصري القديم الذي كان محافظ جدا؛ فالفن في عصر أخناتون واقعي للغاية. وأخناتون نفسه كانت لديه جمجمة غريبة جدا، وتمثاله يصوره بملامح جسده الحقيقية وليس كما ينبغي أن يكون بمثالية – الأمر غير الموجود في الفن المصري القديم، فلطالما صوروا فرعون بلا عيوب.

كما قام كذلك بتغيير خط اللغة المصرية الكلاسيكية. ولقد جمد استخدام هذه اللغة تدريجيا وحل محلها لغة شعبية جديدة. لقد قام أخناتون بثورة في هذا المضمار فترك اللغة القديمة الجامدة وحول اللغة الدارجة في عصره إلى اللغة الرسمية والملكية.

ونظرا لمحو اسمه فقد سلبوه هذا الإنجاز في هذا التغيير وأطلقوا على اللغة المصرية الأحدث "المصرية الرعمسيسية" على اسم الملوك الرعامسة الذين حكموا من بعده. لكن هذه اللغة المصرية أخناتونية في حقيقة الأمر!

ويأتي مع كل هذه الاكتشافات الاكتشاف الأكثر إثارة وهو الأرشيف الملكي. إذ نرى فجأة في هذا الأرشيف كل مراسلات الفراعنة المصريين[1] – والد أخناتون وأخناتون نفسه وكذلك ابنه توت، في بداية مشواره على الأقل – مع حكام البلدان المحيطة، والحكام الخاضعين لهم في مدن أرض كنعان.

سألت بأي لغة كانت تتم هذه المراسلات. ما ثبت في تلك الفترة – ويبدو أنه ظهر قبل ذلك، لكن الشواهد التي لدينا تأتي في الأساس من هذا المكان، لأنه احتفظ هناك فقط بالمراسلات الدولية بشكل مبهر للغاية – هو أن اللغة الدولية كانت اللغة الأكدية؛ أي أنهم اختاروا اللغة الأكدية، لغة بلاد النهرين، كلغة دولية؛ أي أن الكتبة في بلاط الملوك، وكذلك في مصر...

**وفي كنعان ...**

وفي كنعان أيضا تعلموا كتابة لغة أخرى غير اللغات المحلية التي عرفوها. فمن كان يرغب بالعمل في وظيفة كاتب، وبالطبع كاتب مراسلات دولية، كان عليه إتقان اللغة الأكدية لأنها اللغة الدولية. وعندما كان يريد حاكم أورشليم،

---

[1] من أواخر الأسرة الثامنة عشر (أسرة التحامسة)

عبدي خيبا[1]، أن يكتب للحكام المصريين كان يكتب باللغة الأكدية ويتلقى الرد بنفس اللغة؛ لذلك فالجزء الأكبر من وثائق أرشيف رسائل تل العمارنة كان مكتوبا باللغة الأكدية.

أي أنهم في مصر القديمة كانوا دائما يطلبون إتقان اللغة الأكدية في إعلانات "مطلوب للعمل". وإذا كنت ترغب في أن تصبح كاتبا في بلاط الملك، فعليك معرفة اللغة الأكدية أيضا.

**والكتابة كانت بالخط المسماري؟**

نعم، بالخط المسماري.

**ذلك يعني أن الكتبة المصريين عرفوا الخط المسماري.**

لا أقول جميع الكتبة، لكن الكتبة الذين خدموا الملك في المراسلات الدولية كانوا في حاجة إلى معرفة الخط المسماري. وكان هناك في أورشليم كاتب يعرف الكتابة بالخط المسماري وكتب به. وكذلك أيضا في شكيم[2]، كان لدى لابعيا[3] ملك شكيم كاتب عرف الكتابة باللغة الأكدية.

وكما ذكرنا فإن اللغة المصرية، وكذلك الأكدية قد كتبتا بطريقة كتابة تصويرية التي تحوي رموزا كثيرة كما ذكرت، والنخبة فقط هي التي أتقنتها.

---

[1] عبدي هيبا (Abdi-Heba) أو (Abdi-Hebat) أو عبدو خيبا... هو أحد ملوك (حكام) مدينة أورشليم والمناطق المحيطة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. نعلم عنه من الرسائل التي وجهها إلى الملك المصري إخناتون، وعددها ستة رسائل وجدت ضمن أرشيف رسائل تل العمارنة ، كما يذكر في رسالتين أخريين.

[2] نابلس.

[3] لابعيا (Lab'ya) أو لا بايا (Labaja) أو ليبعايو (Lib'ayu) أو لابعيو (Lab'yu) أحد ملوك (حكام) مدينة شكيم الكنعانية (نابلس حاليا) عرفنا به من الرسائل التي تبادلها مع إخناتون ملك مصر والتي وجدت في أرشيف تل العمارنة من القرن ١٤ ق.م.

وهاهنا في مكان ما، وفي وقت ما – الوقت والمكان الدقيقان محل خلاف – حدثت الثورة. ثورة تظهر فيها الكتابة الأبجدية التي نعرفها، الكتابة التي تقوم عليها اللغة العبرية، الكتابة التي تبناها الكنعانيون والفينيقيون القادمون من البحر. وانتقلت عبر الفينيقيين[1] إلى العالم اليوناني والروماني، وقامت عليها في النهاية كل أشكال الكتابة المعروفة في العالم الغربي.

**وهل تطور ذلك من الخط الهيروغليفي؟**

كانت العملية معقدة. فقد حدث ذلك في حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد في مكان ما في أراضي الإقليم المصري. يزعم البعض أن هذه الكتابة ظهرت في مصر نفسها، ويقول البعض في سيناء في منطقة مناجم الفيروز في سرابيط الخادم[2]. شخص ما من أصل كنعاني يشاهد الكتابة الهيروغليفية – وهناك جدل إن كان قد عرف أو لم يعرف قراءة الهيروغليفية – وقرر تبسيط الأمر أكثر، فاختار خطا يعبر عن الصوتيات في اللغة على أن يكون فيها بين ٢٢ و٣٠ علامة، لأن هذا هو مجمل الأصوات التي نصدرها. وأن يكون لكل صوت صورة مرسومة: فحرف الباء يكون على شكل بيت، وحرف الألف على شكل ثور. لكن شكل البيت في هذه الكتابة الثورية لا يمثل البيت أو المأوى فقط لكن حرف الباء أيضا. أي أن هذا الصوت، الذي يبدأ به الكلمة "بيت" يكتب على شكل بيت، ويكتب كذلك في أي كلمة تبدأ أو تنتهي بحرف الباء.

وهذا هو أعظم تجديد في الكتابة الأبجدية. ولقد قام به الفينيقيون على ما يبدو سواء في مصر أو حولها. قبل عشرين سنة، اكتشف باحث من جامعة

---

[1] من خلال دورهم في تحويل الكتابة التصويرية الي صوتبة من خلال تلك الكتابات المعروفة بالنقوش السينائية من شبه جزيرة سيناء المصرية.

[2] تقع في جنوب غرب شبه جزيرة سيناء بجوار مدينة أبو زنيمة. أشهر الآثار في تلك المنطقة هو معبد حتحور، والنقوش السينائية الأخرى التي اكتشف فيها عام ١٩٠٥ وعرفت فيما بعد باسم النقوش السينائية وهي أصل الأبجديات.

"ييل" بالولايات المتحدة،يدعى جون درنل كتابات أبجدية قديمة في موقع مصري اسمه وادي الحول، وزعم أن هذه الكتابات هي بداية الكتابة الأبجدية.

ويتصادف أنه في نهاية شهر نوفمبر عام ١٩٩٩ أن قمت بزيارة أحد كبار باحثي الأبجديات من الجيل السابق وهو البروفسور فرانك مور كروس من جامعة هارفارد، في بيته بحي لكسنجتون، أحد أحياء بوسطون. ولقد تأثر كروس للغاية بأنه حصل في نفس اليوم من درنل على صور من الحفريات التي يقوم بها، وهو يميل إلى الاتفاق معه بأن هذا هو أقدم دليل على الكتابة الأبجدية.

من ناحية أخرى، توجد كما أسلفت كتابات قديمة جدا ظهرت في مناجم الفيروز في سرابيط الخادم بسيناء. إذن، لدينا هنا آراء بحثية مختلفة حول من سبق الآخر. على أية حال، يعد هذا الاكتشاف ثورة عظيمة. لماذا ثورة عظيمة؟ لأن الخط الأبجدي سهل التعلم.

**هو الأكثر تناولا بين عدد أكبر من السكان؟**

أجل. لا أود التسرع في القول بأن جميع السكان قد أصبحوا يعرفون القراءة والكتابة، لكن من المفهوم أن هناك دافع كبير للتطور. فهذه إحدى أهم الثورات في تاريخ الثقافة؛ ثورة تم استيعابها أيضا في أرض كنعان بعد فترة ليست بالطويلة. ولأن الكنعانيين هم الذين قاموا بها؛ فسرعان ما وصلت من مصر إلى كنعان، ولدينا بالفعل نقوش في فلسطين وفي أماكن أخرى تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد تقريبا. أي أن هذا الخط القديم الذي اخترعه الكنعانيون في مصر أو سيناء، قد وصل أيضا إلى كنعان كما عرفه الإسرائيليون الأوائل لاحقا. أما عن مدى معرفة القراءة والكتابة في هذا العصر فسنتحدث عنه لاحقا. لكننا نجد استخداما لهذه الأبجدية في مواقع إسرائيلية ترجع إلى عصر القضاة، استخداما ليس شائعا، لكنه كان موجودا.

**هل كان صوت الكلام كالذي نردده أنا وأنت الآن؟ أم أنه تطور في فترة متأخرة وأصبح شيئا مختلفا؟**

لدينا هنا سؤال معين عن التوافق بين الكتابة وبين اللهجة التي تحدث بها بنو إسرائيل. وهناك آراء كثيرة حول ذلك، فهناك على سبيل المثال باحث مهم اسمه أنسون ريني زعم عدم وجود توافق كامل بين الخط الكنعاني القديم وبين اللغة التي تحدث بها بنو إسرائيل الأوائل؛ لأن بني إسرائيل الأوائل لم ينشأوا في فلسطين لكنهم جاءوا من وراء نهر الأردن. وأنا أعتقد أن رأيه مهم جدا؛ لأن الرأي القائل بأن أصل بني إسرائيل الأوائل كان فيما وراء نهر الأردن تؤيده أيضا شواهد أثرية أخرى. وسنعرض لذلك فيما بعد.

الحوارالثاني

# هل عرف بنو إسرائيل القراءة والكتابة في العصر التوراتي؟

**بروفسور! استكمالا للسؤال السابق عن تطور الكتابة في العالم القديم، تحدثنا عن عملية تطور الكتابة من الرموز التي نقشت على ألواح من الطمي أو الحروف الهيروغليفية التي نقشت على الحجر أو رسمت على أوراق البردي، حتى الخط العبري القديم؛ لكن، مغلى وجه التحديد قد عرف القراءة والكتابة في عصر بني إسرائيل؟ فهل كان ذلك متاحا لكل بني إسرائيل، أم للنخبة؟ أنا أعرف كتبة في بلاط الملوك كانت هذه وظيفتهم، لكن ماذا عن بقية بني إسرائيل؟**

تحدثنا في المرة السابقة عن اكتشاف كبير وهو اختراع الأبجدية الذي تم كما ذكرنا في مصر أو في سيناء في القرن الثامن عشر قبل الميلاد تقريبا. ووصل هذا الاختراع إلى أرض كنعان وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد أصبحت لدينا بعض الكتابات القصيرة للغاية التي تم اكتشافها في أرض كنعان. ومن هذا الكشف الأثري يمكننا الوقوف على مدى معرفة القراءة والكتابة في عصور العهد القديم المختلفة. علينا أن نشير الآن إلى ملحوظة تحفظية واحدة ألا وهي اختلاف المادة المستخدمة في النقوش في مصر وكنعان. فالمادة التي يكتب عليها في مصر هي أوراق البردي والتي تم حفظها جيدا في مناخ جاف ساد معظم أنحاء مصر. ولو كانت الأشياء قد كتبت على أوراق البردي قبل آلاف السنين وحفظت في مصر كان سيمكن العثور عليها واكتشافها. ومسألة الحفظ هذه كانت موجودة أيضا بالنسبة لصورة الكتابة الرئيسية الأخرى في ثقافات منطقتنا في العصر القديم؛ وهي الخط المسماري البابلي. فألوح الفخار التي مرت

بعملية تجفيف ثم حرق تحفظ لآلاف السنين ولا تتضرر بشكل عام من أي تغيرات مناخية حادة. لكن الأمر اختلف في أرض كنعان: فعندما كتبوا هنا بالخط المسماري – في عصر تل العمارنة؛ عصر أخناتون وأبيه – كان هناك كتبة يكتبون بالخط المسماري على ألواح فخارية تم حفظها أيضا. وبالفعل عثر في أرض كنعان وكذلك في أورشليم على ألواح مكتوبة بالخط المسماري تعود إلى هذا العصر؛ غير إن الكتابة الأساسية بالأبجدية لم تكن على مواد صلبة لكن على ورق البرشمان[1] أو أوراق البردي والكتابة على الورق كانت الأكثر شيوعا على ما يبدو..

**البرشمان؟**

أجل، البرشمان، كما تكتب التوراة أو المزوزاه[2] حتى يومنا هذا. والمشكلة أن هذه المواد سواء البرشمان أو البردي تحتفظ بحالتها في مصر لكن ليس في فلسطين؛ لأن الرطوبة التي تسود معظم المناطق في فلسطين، والأمطار الساحلية ورطوبة الصيف تمحو كل ما هو مكتوب على ورق البردي أو البرشمان، كما تتآكل الأوراق نفسها.

**إلا إذا خبأتها في مغارة في صحراء يهوذا ...**

صحيح. فإذا تم إخفاء هذه الأشياء في مغارات في صحراء يهودا[3] كما هو الحال مع لفائف مغارات القمران أو الرسائل التي كتبها متمردو باركوخبا[4] حيث

---

[1] مادة مصنوعة من جلد البقر أو الحيوانات الأخرى، يتم تصنيعها خصيصا للكتابة عليها، وهي أكثر تحملا للاستعمال من أوراق البردي وأكثر قابلية للطي على هيئة كتاب.

[2] من الأدوات الدينية في اليهودية مصنوعة من الخشب أو المعدن وبها لفافة من الورق بها كلمات صلاة "اسمع" من التوراة.

[3] تضم مخطوطات البحر الميت (قمران) مايزيد على ٨٥٠ قطعة مخطوطة.

[4] تمرد بار كوخبا 136-132 م هو ثالث تمرد يهودي ضد الامبراطورية الرومانية وكانت هذه الثورة آخر الحروب بين اليهود والرومان. كان شمعون بار كوخبا قائده. تمكن الرومان من

حفظت هذه الكتابات. ولد ينا أيضا أوراق بردي من عصر العهد القديم عثر عليها في هذه المنطقة الجافة، أو وثائق سامرية من فترة الهيكل الثاني عثر عليها في منطقة وادي دالية في غور الأردن. لكن أوراق البردي أو البرشمان سوف تتآكل في أي منطقة أخرى في البلاد بعد فترة قصيرة. ولدينا دليل ملموس على هذه المشكلة في قصة لفافة الهيكل التي تعتبر أحد أهم اللفائف التي تم اكتشافها في القمران. وهي اللفافة التي تضم شرائع التوراة مع إضافات مهمة وبها تعاليم بناء الهيكل؛ لذلك تسمى لفافة الهيكل. اكتشف البدو هذه اللفافة في بداية خمسينيات القرن الماضي وباعوها إلى كاندو، صانع أحذية وتاجر آثار من بيت لحم. أراد يجئال يادين شرائها وأجريا مفاوضات بينهما لكنها فشلت، وبقيت اللفافة عنده تحت أرضية البيت في بيت لحم، ملفوفة في صندوق أحذية إيطالي مغطى بمنشفة. ظل الأمر كذلك من بداية الخمسينيات وحتى حرب ١٩٦٧. وفي الوقت الذي دخل فيه جيش إسرائيل إلى بيت لحم ذهب يادين إلى هناك وسأل مستر كاندو أين اللفافة؟ وبعد محاولات عدة للتهرب منه، اضطر كاندو في النهاية إلى إعطائه إياها ودفع له يادين المال.

لكن الذي حدث لهذه اللفافة – التي كانت على ما يبدو لفافة كاملة احتفظت بحالتها لألفي سنة مثل لفافة إشعياء الكاملة في لفائف القمران – أن تآكل نصفها بسبب تغطيتها بمنشفة في رطوبة بيت لحم. كما التصقت الأوراق بها، وكان على يادين فصل الصفحات عن بعضها بمساعدة جراح مخ وأعصاب من مستشفى هداسا. لقد قام بعمل بطولي بالفعل مع هذه اللفافة واستخرج "الثمين من المرذول"[١]. فتم انقاذ نصف اللفافة بفضل جهوده. لكن كما ترى

---

القضاء عليه بقيادة هدريان حيث دمر هيكلهم الثاني نهائيا عام (١٣٥م) وقتل بار كوخبا والكثير من أتباعه.

[١] سفر إرميا ١٥: ١٩

فإن عملية تآكل اللفافة تكون سريعة للغاية في المكان الذي يكون فيه الجو رطبا. لذلك لا يمكن للاكتشافات الأثرية في معظم الأماكن في فلسطين أن تخبرنا فعليا وبشكل كامل ماذا كتب وكم كتب هنا في عصر العهد القديم؟

مع ذلك، كانت هناك كتابة على المواد الصلبة في عصر العهد القديم. فكتبوا على الخزف، الذي كان من المواد الرخيصة والمتاحة، وفي بعض الأحيان نقشوا على الحجر والمعادن في بعض الأحيان.فأقدم نص لدينا للعهد القديم على سبيل المثال والذي يعود إلى بضع مئات من السنين قبل لفائف البحر الميت هو نسخة من بركات الكهنة وبعض الإضافات الأخرى الصغيرة كتبت على ألواح من الفضة ودفنت في مغارات الدفن في موقع بأورشليم، والذي بني عليه اليوم متحف بيجين. وكان ذلك في الحقيقة، كما ذكرنا، أقدم نص مقرائي وصل إلى أيدينا. فهذه الألواح الفضية، كانت تستخدم كتمائم، كتبت على ما يبدو حوالي عام ٦٠٠ قبل الميلاد.

**والآن، سؤال من فضلك يا بروفسور، فعندما يتحدث فلهاوزن عن فرضية وثائقه، وأنت إن لم أكن مخطئا قد كتبت أيضا أطروحة الدكتوراة عن المصدر الكهنوتي، وقانون القداسة ..**

أجل.

**ماذا كانت تحوي هذه الوثائق وبأي لغة؟**

سنصل إلى ذلك لكني أريد أن أذكر شيئا قبل ذلك. يمكننا مشاهدة نوعا من التطور فيما نكتشفه لأننا إذا قمنا بمقارنة تفاصيل الاكتشاف المكتوب الذي بين أيدينا سنجد أن ما لدينا عن بداية عصر بني إسرائيل قليل. أقصد مادة قليلة عن الفترة التي نطلق عليها "العصر الحديدي الأول" أو "عصر القضاة"؛ أي القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد. والنقوش التي بين أيدينا قليلة جدا فلدينا قائمة من حروف الأبجدية تم اكتشافها في "عزبة صرطة"

الموجودة بين رأس العين والتي تشبه فيما يبدو "حجر المعونة" في العهد القديم.وفي بنيامين في منطقة تسمى "خربة ردنه" هناك نقش قصير جدا لكن العدد قليل بشكل عام.

وعندما نتقدم نحو بداية العصر الملكي إلى القرن العاشر قبل الميلاد يزداد العدد قليلا. فالتقويم الزراعي في منطقة "تل الجزر"، وقائمة الأبجدية في "تل زيتا"، ونقش مهم لم يتم تفسيره بشكل كامل في منطقة "خربة قيافة" في "وادي أيلاه" كل هذا يرجع لبداية العصر الملكي. لكن الأعداد لاتزال قليلة فنحن نتحدث ربما عن عشرة نقوش من هذه الفترة ليس أكثر.

وعندما نصل إلى القرن الثامن قبل الميلاد سنلحظ زيادة ملحوظة في حجم الاكتشافات المكتوبة. وقبل كل ذلك لدينا كتابات في السامرة - خزف السامرة - عبارة عن نقوش إدارية من عصر مملكة إسرائيل. كما لدينا نقوش مهمة تعود إلى بداية هذا القرن في موقع بشمال سيناء وهو "كونتيلة عجرود" المرتبط على ما يبدو بمملكة إسرائيل في الشمال[1]. ومن النصف الثاني للقرن الثامن قبل الميلاد لديناأيضا نقوش كثيرة من مملكة يهوذا من عصر حزقيا على وجه التحديد. ولدينا كذلكالكثير من الأختام التي تعود إلى فترة حزقيا. وعندما أتحدث عن الأختام، أتحدث في الأساس عن قنينات، ويرتبط ذلك على ما يبدو بالترتيبات الإدارية في مملكة يهوذا في عصر حزقيا. فتطبع على القنينة كلمة "إلى الملك" واسم المحافظة على سبيل المثال: حبرون، زيف، وما إلى ذلك. وأشهر نقش هو نقش السلوان الذي يعود إلى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد في أورشليم وقت شق نفق السلوان استعدادا للحرب ضد سنحريب ملك أشور. ومكتوب في هذا النقش غير الملكي أسماء العمال ..

---

[1] علينا الحذر من مثل تلك الاسقاطات في الربط بين مملكة اسرائيل تاليا لفترة نبي الله سليمان عليه السلام وسيناء المصرية.

**العمال الذين شقوا النفق.**

أجل، العمال. وعندما كنت في إسطنبول ذهبت لمشاهدته في المتحف. وكنت أتوقع مشاهدة شيئا عظيما ومثيرا، لكنه كان حجرا صغيرا مع حروف صغيرة جدا، مع ذلك فهذا النقش مهم للغاية.

**بأية حروف؟**

بالخط العبري القديم.

**وإلى أي مدى يشبه الخط العبري المستخدم اليوم؟**

يختلف الخط العبري القديم بشكل واضح عن الخط المستخدم اليوم. فالخط الذي نستخدمه اليوم هو الخط الآرامي. ويطلق عليه الأحبار الخط الأشوري. وهم محقون نوعا ما، لأن هذا الخط أصبح أكثر شيوعا في منطقتنا بعد احتلال الأشوريين في عصر حزقيا؛ حيث استولت الإمبراطورية الأشورية في القرن الثامن قبل الميلاد على مناطق شاسعة من إيران في الشرق وحتى تركيا في الغرب ووصلت إلى مصر في الجنوب التي دخلوها كذلك في مرحلة معينة[1]. كان من الصعب على الأشوريين إدارة مثل هذه الإمبراطورية بالخط المسماري، الذي لم يكن معروفا في المناطق الغربية من الإمبراطورية. وكنا تحدثنا عن كتبة الملك في كنعان الذين عرفوا استخدام الخط المسماري في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، في عصر أخناتون، لكن تم نسيان هذه المعرفة فيما بعد.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد لم يعرف الناس القراءة والكتابة بالخط المسماري لا في آرام[2] ولا في فلسطين، ولا فيما وراء نهر الأردن. ولم تكن هناك معرفة محلية بالخط المسماري في كل هذه المناطق التي استولى عليها الأشوريون وكان عليهم إدارتها. لذلك اتخذوا قرارا عمليا ذكيا جدا من ناحيتهم، وهو أن

---

[1] وهي تلك المعروفة تاريخيا بعصر الانتقال الثالث.

[2] مملكة آرام دمشق.

يديروا الإمبراطورية باللغتين على التوازي. ففي مناطق بابل وأشور، التي كانت الكتابة فيها باللغة المسمارية معروفة تم استخدام هذا الخط؛ أما المناطق الغربية التي سيطرت آرام على معظمها قبل أن يقوموا هم باحتلالها فقد استخدموا الخط الآرامي. ولدينا نقش لحاكم أشوري يعطي الأوامر وأمامه كاتبين واحد واقف ينقش بالخط المسماري والآخر يمسك لفافة ويكتب بالآرامية. بذلك أصبحت اللغة الآرامية هي اللغة السائدة.

هكذا أصبحت اللغة الآرامية، وكذلك الخط الآرامي هما السائدين في أرض فلسطين أيضا. وسار على نهجهم من بعدهم البابليون[1] الذين ورثوا الإمبراطورية الأشورية. لذلك فإن جميع الأجزاء الموجودة في سفري عزرا ونحميا التي تشير إلى الأوامر الملكية نجدها مكتوبة باللغة الآرامية. ونتيجة لهذه العملية تم استبعاد الخط العبري القديم الذي استخدموه من قبل، وتبني الخط الآرامي الذي نستخدمه حتى اليوم. وينسب الحاخامات القدامى[2]، تغيير الخط إلى عزرا، لكن كان ذلك على ما يبدو عملية أطول قد يكون لعزرا تأثير فيها.

**ألاحظ كذلك من بين السطور يا بروفسور أن هناك علاقة نسبية بين تطور الإمبراطوريات والحضارات، وتطور الكتابة.**

صحيح جدا.

**لأنه كلما كنت أعظم كان عليك إدارة المملكة وتطوير وسائل الاتصال والإدارة فيها؛ أي الكتابة.**

---

[1] بابل في عصرها الحديث/العصرالكلداني.

[2] الزعماء الروحيون والتشريعيون بعد الانتهاء من تدوين العهد القديم في عصر رجال مجمع الأحبار (كنيست هجدولاه) في عصر الهيكل الثاني بداية من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية عصر تدوين التلمود البابلي في بداية القرن السادس. ولقد وضع الأحبار أسس التوراة الشفهية.

أتفق معك تماما. فتطور معرفة الكتابة مرتبط بتطور ترتيبات وأنظمة الحكم. ولو عدنا الآن إلى السؤال عن معرفة القراءة والكتابة في فلسطين في عصر العهد القديم، عندما نشير إلى القرن الثامنق.م.كنقطة تحول بدأت تنتشر فيها القراءة والكتابة ...

**لحظة، عذرا للمقاطعة، دعنا نرتب الأمور في القرن الثامن. كيف كان الوضع الجيوسياسي في المنطقة؟ فمن كان موجودا؟وأين؟**

في بداية القرن الثامن قبل الميلاد كانت هناك فترة من التوسع والازدهار في مملكة إسرائيل[1]؛ حيث قام (الملك) يربعام الثاني بتوسيع أراضي المملكة بدرجة كبيرة كما ورد في العهد القديم (سفر الملوك الثاني ١٤: ٢٥)؛ وأصبحت مملكة إسرائيل مملكة قوية لديها ترتيبات معقدة في نظام الحكم. وتعكس الكتابة في هذه الفترة كما ذكرت؛ قوة مملكة إسرائيل وتطورها وازدهارها التطور الموثق على الخزف الذي تم العثور عليه في السامرة.

**وماذا عن مملكة يهوذا في نفس الفترة؟**

كانت يهوذا لا تزال غير متطورة وقوية للدرجة؛ حيث كانت أقل تقدما وقوة في تلك الفترة، وكان عدد سكانها أصغر بكثير، ولم تكن هناك حاجة على ما يبدو إلى وجود احتياجات بيروقراطية متطورة للغاية.

**من يحكم هناك، ومن هم الملوك؟**

لدينا ملوك مختلفون من بينهم أيضا ملوك أقوياء مثل عزيا، لكنهم لم يصلوا بعد إلى التقدم البارز والملحوظ. وكان ما قلب الأوضاع في يهوذا بشكل درامي هو خراب مملكة إسرائيل. ففي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد أصبحت أشور كما أسلفت إمبراطورية طورت من أساليب الحصار والحرب لديها بشكل يجعل أي مدينة لا تستطيع الصمود أمامها. ونجد أصداء لذلك في الإصحاح السابع

---

[1] مملكة سامريا بعد انقسام مملكة اسرائيل تاليا لوفاة سليمان عليه السلام.

من سفر إشعياء وكذلك سفر الملوك. فآرام وإسرائيل اللتان كانتا مملكتين متعاديتين لفترة طويلة تتحدان لصد التوسع الأشوري. وترغبان في ضم آحاز ملك يهوذا والد حزقيا إلى الحلف ضد الأشوريين لكنه يرفض؛ فيخرجان لقتاله كما يحكي سفر إشعياء: "نصعد على يهوذا ونقوضها ونستفتحها لأنفسنا، ونملك في وسطها ملكا، ابن طبئيل"(٧: ٦). وترغبان في احتلال أورشليم، والإطاحة بأسرة بيت داود وتنصيب ملكا يدعى ابن طبئيل محل آحاز. ولا نعرف بالضبط من يكون؟ ربما كان على صلة بأسرة طوبيا التي سنسمع عنها فيما بعد في منطقة عبر نهر الأردن. فماذا فعل آحاز؟ يقول له إشعياء أن يثق في الله : "احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل ذنبي هاتين الشعلتين المدخنتين" (٧: ٤)

لكن آحاز رجل سياسي واقعي والثقة في الله لا تكفيه فقرر عقد حلف مع أشور ودعوة ملك أشور إلى إنقاذه فيرسل له المال ويقول له: "أنا عبدك وابنك أصعد وخلصني من يد ملك أرام ومن يد ملك إسرائيل" (الملوك الثاني ١٦: ٧). كان آحاز مستعدا للتنازل عن استقلاله من أجل إنقاذ عرشه.لم تعد يهوذا مملكة مستقلة وأصبح هو ملكا تابعا وخاضعا لملك أشور.فيقبل ملك أشور "تغلث فلاسر الثالث" هذا الطلب ويحضر إلى المنطقة ويحتل آرام ويقضي على المملكة الآرامية ويضمها إليه، ويسبب ضررا كبيرا لمملكة إسرائيل في الشمال ويقتطع أراض شاسعة فيما وراء نهر الأردن وفي الجليل وعلى الساحل ويضمها إلى أشور، ويترك في السامرة فقط منطقة جبال السامرة. وبعد بضع سنين يتمرد آخر ملوك إسرائيل "هوشع بن أيله" فيأتي الحكام الأشوريون ويحتلون مدينة السامرة وتنهار مملكة إسرائيل وتصبح أرضها إقليما أشوريا وينفى جزء كبير من السكان إلى أشور وذلك هو سبي الأسباط العشرة.

**الأسباط العشرة المفقودة.**

المفقودة. ربما نتحدث عن ذلك، لماذا اختفت، وملابسات اختفائها.

**هناك استبدال للسكان، وهو ما كان مقبولا في العالم القديم بعد الاحتلال.**

أجل. لقد كان أسلوب النفي الأشوري هو الأسلوب الذي كان ينفى فيه الناس من مكان إلى آخر، ثم يوطنون محلهم سكانا من بلدان أخرى كانوا قد احتلوها من قبل. وأحضر إلى "إسرائيل" أناس احتل الأشوريون بلدانهم ونفوهم إلى هنا. هذه عملية عنيفة لكن نتيجتها ...

**هل كان ذلك نوعا من الترانسفير (الترحيل)؟**

ليس ترانسفير فقط لكنه أيضا بوتقة صهر ثقافية عظيمة اختفى فيها الأسباط العشرة. على أي حال لنعد إلى موضوعنا: نظرا للاحتلال الذي شهدته مملكة إسرائيل منذ عام ٧٣٣ قبل الميلاد حيث اندلعت أول حرب بين مملكةإسرائيل وأشور (وكما أسلفنا فقد حاربت أشور إسرا ئيل بناء على طلب آحاز ملك يهوذا) حتى الاحتلال النهائي لها بعد ذلك التاريخ بعشر سنوات فقد فر الكثير من اللاجئين من السامرة، من مملكة إسرائيل، إلى أورشليم. ومن لم يفر قاموا بنفيه أو اختفى في غياهب جبال الظلام. لذلك فإن أورشليم، بحسب الحفريات الأثرية التي تهتم بهذه الفترة، قد اتسعت رقعتها في فترة قصيرة في بضع سنين، لتصل أربعة أو خمسة أضعاف مساحتها؛حيث كانت المدينة حتى تلك الفترة صغيرة جدا وموجودة على الهضبة الشرقية التي نطلق عليها اليوم "مدينة داود". لكن نتيجة الزيادة السكانية الكبيرة في فترة حزقيا تم بناء حي وسور جديدين، يمكن مشاهدة بقاياه اليوم في حي اليهود. وذلك هو السور الكبير الذي أحاط بمنطقة حي اليهود الحالي والحي الأرمني حتى تخوم برج داود وكذلك منطقة جبل صهيون. وهو ما يعد قفزة عظيمة في مساحة أورشليم.

شيدت أورشليم ومملكة يهوذا على أطلال مملكة إسرائيل؛ لتصبح يهوذا أكبر وأقوى بكثير ومتطورة اقتصاديا جدا، لذا تظهر هنا الحاجة إلى الكتابة

الإدارية، وتعد الرسائل الموجهة إلى "الملك" في فترة حزقيا شاهدا على هذه العملية. هذه إذن ملابسات انتشار الكتابة في أرض فلسطين في القرن الثامن قبل الميلاد.

والسؤال هو: ما النتائج التي يمكننا استخلاصها فيما يخص تدوين أسفار العهد القديم. وأتفق هنا مع مقترحات الباحثين – في إسرائيل، ناداف نئمان وآخرين كتبوا عن ذلك في الخارج – حيث هناك توافق بين انتشار معرفة القراءة والكتابة وبين تطور أدب العهد القديم.

ليست لدينا نبوءات مكتوبة قبل القرن الثامن أي أن إلياهو وإليسع اللذان عاشا في القرن التاسع قبل الميلاد قد تنبئا ورأيالكن لم يتم حفظ هذه النبوءات والرؤى. فلدينا قصص عن إلياهو وإليسع لكن ليس نبوءاتهما.في المقابل، عندما ننظر إلى قسم الأنبياء في العهد القديم وندرس متى عاش هؤلاء الأنبياء الذين حفظت نبوءاتهم لدينا؛ نجد أن الجيل الأول من أنبياء الكتابة هم أربعة – كما قال الأحبار تنبأ أربعة أنبياء في فترة واحدة: "هوشع في الشمال، وعاموس في الجنوب، من مدينة تقوع، لكنه ارتحل إلى الشمال؛ حيث تنبئا في مملكة إسرائيل لجيل أو جيلين قبل خرابها ذلك في العصر الذي شهد تطور القراءة والكتابة.وفي النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد لدينا في يهوذا إشعياء وميخا، اللذان تم تدوين نبؤاتهما. لكن لماذا لم تدون النبوءات السابقة، ودونت فقط في القرن الثامن قبل الميلاد؟ يبدو أنه كي يصبح هناك دافع لكتابة النبوءة يجب أن يكون هناك أولا كاتب قادر على كتابتها. فإشعياء يشهد على نفسه أنه يكتب أما إذا كان النبي نفسه لا يعرف الكتابة مثل إرمياء القادم من قرية عناتوت فيجب أن يكون لديه كاتب مثل باروخ بن نرياه ليدون كلامه.

لكن الأمر مرتبط ليس فقط بمعرفة النبي أو كاتبه القادر على التدوين للكتابة؛ فمن الضروري أيضا أن يكون هناك جمهور يقرأ. فأنت لا تكتب الكلام للشعب إن كان لا يوجد جمهور يعرف القراءة والكتابة؛ كما إن معظم نبوءات تلك الفترة موجهة للشعب وليس للملك.

فنبوءات إشعياء، على سبيل المثال نادرا ما توجه للملك، مثل قصة اللقاء بين إشعياء وبين آحاز التي عرضتها من قبل؛ لكن معظم النبوءات توجه إلى الشعب، عندما يوبخه النبي على ذنب اقترفه. ويبدو أن الشعب أو بعضه على الأقل عرف القراءة والكتابة فما الفائدة إذن من الكتابة إن كان لا يوجد قراء؟ فأنت لا تنشر كتابا في مكان لا يعرفون فيه القراءة والكتابة.

**لكن النبي يتحدث بأمل أن يستمعوا إليه، وليس أن يقرأوا له ...**

أجل. أنا واثق أن إلياهو تحدث بأمل أن يستمعوا إليه ولا أعرف عدد من استمعوا إليه لكن لم يكن هناك أحد يجلس ويكتب كلامه. كما أنه لا معنى للكتابة إلى الشعب في هذا العصر فما فائدة الكتابة لو أن الشعب لا يعرف القراءة؟

**وهل يقوم النبي الذي يدون الكاتب نبوءته بعملية تحرير لما تم تدوينه؟ هل يقول، لحظة. دعني أرى إن كنت قد كتبت ما قلته بالفعل، وإنك لم تبدل الكلام؟ أي كيف لي أن أعرف اليوم أن ما أقرأه في نبوءة إرميا هو ما قاله بالفعل؟**

يبدو أن الأمر كذلك، فهل قام إرميا باختبار باروخ بن نيريا وقال له، باروخ، إقرأ لي من فضلك ما قمت بتدوينه، وقام بتعديله عندما لم يفهم كلامه؟ أنا لا أعلم إن كان إرميا قد قام بفحص ما كتبه باروخ بن نيريا. ربما فعل ويعتقد أنه فعل. لكننا لا نعرف على وجه التأكيد.

سأتناول الآن القسم الثاني من كلامك. فقد ذكرت فلهاوزن من قبل. وهنا أطرح سؤال: حسنا. لقد تحدثنا عن النبوءات. لكن ماذا عن أقسام العهد القديم الأخرى؟ فهل تم تدوينها في زمن حدوثها؟ هل كانت كتابة لمقام رفيع قبل أن تنتشر بين الشعب؟ وبما أنني ذكرت فلهاوزن سأتحدث عن المصدر الكهنوتي وعن العنصر الكهنوتي في التوراة الذي حدده فلهاوزن بفترة الهيكل الثاني. لقد اندلع جدال بين حزقيال قويفمان وفلهاوزن حول هذه المسألة، وأنا أعد نفسي من معسكر أتباع قويفمان في هذا الموضوع الذين يعتبرون أن المصدر الكهنوتي أقدم بكثير في الشق الأكبر منه. وأعتقد أن الجزء الأقدم فيه قد تم تدوينه في الهيكل في أورشليم بين القرن العاشر قبل الميلاد وعصر حزقيا؛ أي قبل انتشار معرفة القراءة والكتابة.

**دعني أفهم يا بروفسور، لأني أرغب في رؤية ذلك بشكل ملموس. في القرن العاشر قبل الميلاد كان المصدر الكهنوتي ذا قيمة كبيرة في أسفار التوراة.**

أجل.

**فهذه مادة كبيرة ...**

هذه مادة كبيرة حقا.

**كيف تم تدوينه؟ على أوراق البردي، على اللفائف ...**

أود توضيح ذلك، كما أود تعليل كلامي. لقد تناولت في كتابي "هيكل الصمت" روافد المصدر الكهنوتي المختلفة وكان لي تجديد في هذا الأمر حيث ميز الباحثون بين رافد يسمى "رافد الكهانة" الموجود في القسم الثاني من سفر الخروج والقسم الأول من سفر اللاويين، وبين رافد يسمى "قانون القداسة" الموجود في القسم الثاني من سفر اللاويين، من الإصحاح ١٧ حتى نهاية السفر؛ حيث تم تدوين "قانون القداسة" بأسلوب مختلف عن أسلوب رافد الكهانة.

**هؤلاء كتاب مختلفون؟**

أجل. ولديهم أيديولوجية مختلفة مع لاهوت مختلف. ولقد اختلفت في أطروحتي للحصول على درجة الدكتوراه التي هي أساس كتابي**هيكل الصمت** مع ما كان معهودا ومتفقا عليه في البحث: حيث كان المتفق عليه هو أن "قانون القداسة" يعد أقدم من رافد الكهانة، وأنا زعمت العكس.

لقد زعمت أن رافد الكهانة هو الأقدم وأن "قانون القداسة" متأخر عنه وهما يختلفان على سبيل المثال حول مسألة العلاقة بين الأخلاق والعبادة – هل الأخلاق والعبادة موضوعان منفصلان. فموقف رافد الكهانة أنهما منفصلان ويقابله "قانون القداسة" الذي يوحد الأخلاق والعبادة في مفهوم القداسة. ويتضح ذلك في الإصحاح التاسع عشر في سفر اللاويين. والإصحاح يبدأ بالأمر: "تكونون قديسين لأني قدوس" (الفقرة الثانية).

بعد هذا العنوان تأتي مجموعة من الأوامر المرتبطة بالأخلاق والعبادات على السواء مكونة معا القداسة. أما الأخلاق الاجتماعيةوأوامر: "تحب قريبك كنفسك"و "وأحببتم الغريب" وكل أوامر العدل في الحكم والنزاهة في التجارة يعرفها جميعا الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين كجزء من المفهوم الشامل للقداسة.في مقابل ذلك نجد أن القداسة في الجزء الأول من سفر اللاوين ترتبط بالطقوس والعبادات فقط. وأنا الذي اقترح بأن التحول الذي عرضت له هنا قد حدث في فترة إشعياء في عصر الملك حزقيا وقت الأزمة الدينية الكبرى التي شهد الأنبياء عليها عندما تمسك الشعب بوصايا العبادات وأهمل الوصايا الأخلاقية. ولقد حذر الأنبياء من ذلك بل وانتقدوا مؤسسات العبادة بشدة."لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب"(إشعياء ١: ١١)أجل، أجل،وكذلك يتساءل عاموس:"هل قدمتم لي ذبائح وتقربات في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل؟" (عاموس ٥: ٢٥). في رأيي أن الكهنة سمعوا هذه الأصوات وكانوا حساسين تجاهها وردا على مشكلة الاستهزاء بالأخلاق الصعبة وتعظيم العبادة على حساب الأخلاق قاموا بإثراء مفهوم القداسة وقالوا للإنسان:

أترغب في تحقيق مرتبة القداسة، وتطمح في أن تشبه الرب في القداسة؟ لذا ليس كافيا الحفاظ على السبت؛ فالسبت مهم للغاية لكن لا تتصرف مثل هؤلاء الناس الذي يصفهم سفر عاموس (٨: ٤-٦) كمن ينتظرون مرور يوم السبت ليستطيعوا الغش والخداع وبيع الجار الفقير بالمال من أجل حذاء. كلا! يوم السبت والأضاحي شيء مهم جدا لكن النزاهة في التجارة كذلك. فمحظور عليك الخداع وهذا ما ورد صراحة في سفر اللاويين ١٩: ٣٦ تحت عنوان "ستكونون مقدسين".

إن ما زعمته عن قلب الترتيب الزمني لمكونات المصدر الكهنوتي تم قبوله بحثيا. وجميع الباحثين اليوم تقريبا في عالم المتخصصين في هذا المجال قد قبلوا ذلك، لكن لايزال هناك جدل حول موعد تأليف كل رافد. وأنا أؤرخ لقانون القداسة بعصر إشعياء. من هنا أظن في رأيي أن رافد الكهانة قد تم تأليفه قبل ذلك. لذلك أؤرخ لعصر الكهانة في الفترة بين تشييد هيكل سليمان في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد وبين منتصف القرن الثامن قبل الميلاد أي في عصر إشعياء وآحاز.

**لحظة، لكن قلنا أن معرفة القراءة والكتابة لم تكن منتشرة بين بنيفي فترة ما قبل القرن الثامن، إذن فلماذا كتبوا؟**

لم يكتب الرافد القديم للمصدر الكهنوتي من أجل بني إسرائيل فهو يحتوي في الأساس على تعاليم خاصة بالعبادات غير موجهة للشعب فهذه مادة للمتخصصين. وكل شرائع القرابين والطهارة والنجاسة الموجودة في القسم الأول من سفر اللاويين جميعها مادة كهنوتية من أجل الكهنة فهم الذين يقدمون القرابين وهم الذين يرشدون بني إسرائيل في أمور العبادات وأمور الطهارة والنجاسة، وأنت لست في حاجة إلى جمهور عريض من القراء. وتشبه هذه

الكتابة في نوعها الكتابة في المعابد المصرية وفي بابل التي تحدثنا عنها من قبل والتي كانت من المتخصصين إلى المتخصصين. فهذا "أدب متخصص ..."

**كنوع من أوامر التشغيل.**

بالضبط. أوامر تشغيل.

فنحن نلحظ في القسم الأول من سفر اللاويين صيغ افتتاحية أو ختامية لتشريعات تستخدم كلمة "شريعة": "هذه شريعة الخطيئة"، "هذه شريعة ذبيحة السلامة"، "هذه شريعة التي تلد ذكرا أو أنثى" (اللاويين: ٦: ١٨، ٧: ١١، ١٢: ٧). فما هذه الشرائع؟ عليك أن تتصور لفافة من أوامر التشغيل. هذه هي شريعة الخطيئة مكتوب فيها كيفية تقديم قربان الخطية ومن يحق لهاالأكل منها؟ وكيفية تقديم القرابين السليمة. كما تظهر صيغة "وهذه تكون شريعة الأبرص"( اللاويين ١٤: ٢) التي تشرح كيفية تطهير المصاب بالبرص بعد شفائه.

**ذلك يعني أن هناك كاهنا جديدا جاء ليعمل، فكانوا يقولون له، تعال يا سيدي إقرأ، تعلم، وبعد ذلك سنريك كيف تقوم بذلك فعليا!**

صحيح. أي يجب أن تفهم أيضا ماذا تعني هذه العناوين، التي كانت تجيء أحيانا في نهاية التفسير مثل "هذه شريعة التي تلد ذكرا أو أنثى"، عليك أن تتصور أن كل فقرة كهذه مكتوبة على لفافة صغيرة. وكلمة "شريعة" تفسيرها هنا تعليمات معينة بخصوص موضوع معين يتم تناوله في تلك اللفافة.

**على لفافة؟ على ورق بردي؟**

أعتقد على لفافة؛ فاللفافات كانت أكثر انتشارا من البردي. يأخذون لفافة ويكتبون عليها تعليمات شريعة عبادة معينة وفي بدايتها أو في نهايتها عنوان أو توقيع – "**هذه شريعة**" ... ثم يلفونها بعد ذلك ويحفظونها. والكهنة هم "أهل الشريعة" (إرميا ٢: ٨) الذين يحتفظون بمكتبة صغيرة من أوامر التشغيل كل منها "شريعة". وعندما تستدعي الحاجة إلى استخدام إحدى اللفائف لا يكون

عليهم فتحها كلها بل من يمكن النظر إلى طرفها حيث تظهر الكلمة الافتتاحية أو الختامية "هذه شريعة ..." التي تصف مضمون اللفافة كلها.

عندما يأتي شخص لتقديم قربان "خطيئة" تختار أنت ككاهن لفافة "شريعة الخطيئة"فيمكنك تقديمالتعليمات حول كيفية تقديم قربان الخطيئة وكيفية استخدام دم القربان والتكفير عن هذهالخطيئة.إنها معلومات متخصصين وُضعت من أجل المتخصصين. أو أنك تذهب لتطهير أبرص فتعرف كيف تعثر على شريعة تطهير الأبرص أو إذا جاءت إليك امرأة أنجبت من فترة غير طويلة فتقرأ التوقيع على اللفافة – "هذه شريعة التي تلد ..." فيمكنك توجيهها بما عليها فعله. ولقد قال الأحبار عن الشريعة بشكل عام: "الشريعة – لفائف لفائف قدمت"(١). والأدب الكهنوتي القديم كان بهذا الشكل بالضبط مجموعة من "الشرائع"، مجموعة من اللفائف.

دُوِنت هذه الشرائع كما ذكرنا بأيدي متخصصين في العبادات وهم الكهنة وذلك من أجل كهنة آخرين متخصصين. ونحن نعلم أن داود وسليمان كان عندهما كتبة في القصر. أي كان هناك كاتب في بلاطهما في عصرهما في القرن العاشر قبل الميلاد عندما لم تكن الإدارة في أورشليم متطورة بدرجة كافية بعد، ولم تنتشر البيرواقرطية كما هو الحال في فترة متأخرة في عصر حزقيا. فهما يديران دبلوماسية دولية ويحتاجان إلى الكتابة. كما توجد أيضا أشياء أخرى يحتفظان بها في الأرشيف؛ مذكرات. إذن هناك كاتب متخصص يجلس في بلاط الملك ويكتب عن شئون المملكة. وتوجد في القصر كذلك مجموعة صغيرة من نخبة الصفوة الحاكمة تعرف القراءة والكتابة. وأتصور أن ذلك الوضع كان قائما أيضا في الهيكل في أورشليم في عصر الملك سليمان وما بعده. كما كانت هناك مجموعة من الكهنة تعلمت القراءة والكتابة في الهيكل وهم الذين كتبوا

---

(١) בבלי, גיטין סע"א

الشرائع - أوامر التشغيل، أدب متخصص لمتخصصين كما ذكرت. لذلك أتصور أن هذا الرافد الكهنوتي هو النواة الأقدم في توراتنا. ويبدو أن هذا الأدب الكهنوتي كان مثلما أعتقد بعض الباحثين أدبا خفيا – سِرِّيا في مرحلته الأولى ومحظور الكشف عنه لمن ليس بكاهن. لدينا حالة مشابهة في كتابات في معبد ديني ببلاد الرافدين ورد فيها صراحة أنه من المحظور كشفها على العامة.

**بروفسور! إذا كنا نتحدث عن لفائف يكتبها الكهنة - أوامر التشغيل - فأين هذه اللفائف؟ فقد قلنا إنها تتآكل ولا تبقى، إذن كيف لدينا اليوم خمسة أسفار وهي أسفار التوراة الخمسة؟ ومن هو أول من عثر على أقدم الوثائق؟ ومن جمعها، وجمعها؟ هل هم الأحبار في عصر السنهدرين؟[1] هل هما عزرا ونحميا؟ وما هي أقدم الشواهد على وجود تلك اللفائف؟ هل في مغارات القمران، أم قبل ذلك؟**

سنتناول تلك الأسئلة لكن أود أن أعرج قبل ذلك على أجزاء أخرى من التوراة خارج المادة الكهنوتية. فلدينا مصادر غير كهنوتية اصطلح على تسميتها باسم "المصدر اليهوي[2]"، و"المصدر الإلوهيمي": المصدر الإلوهيمي[3] مصدر شمالي تم تدوينه في مملكة إسرائيل قبل عشرات السنين من خرابها ٧٧٥-٧٢٥ قبل الميلاد، أما المصدر اليهوي فهو المصدر الجنوبي. وفي رأيي أنه دون في مملكة يهوذا في الفترة ٧٢٥-٧٠٠ قبل الميلاد. وكما ذكرنا من قبل أصبح لدينا في القرن الثامن قبل الميلاد جمهور أكبر من القراء، لذلك كتبت هذه المصادر ليس من أجل حفنة من المتخصصين لكن لكل بني إسرائيل لأن هناك عدد كافٍ من

---

[1] محكمة شرعية مكونة من واحد وسبعين قاضيا للبت في أمور الشعب الشرعية والقضائية.ويرجع العدد سبعين إلى عدد الشيوخ الذين عاونوا موسى وتعلموا منه ومن هارون التوراة.

[2] الذي وصف فيه الاله بشكل بشري وعرف باسم يهوه

[3] الذي يشار فيه الي الاله علي أنه الوهيم وليس يهوه

الناس بين بني إسرائيل يعرفون القراءة والكتابة. وحتى إذا تواجد في قرية ما اثنان فقط يعرفان القراءة والكتابة من بين كل سكان القرية؛ فهما قادران على القراءة وتعليم الآخرين.

أعتقد أن مادة كثيرة من هذه المصادر موجودة في قصص سفر التكوين تم تدوينها في هذه الفترة. لكن لم تظهر هذه القصص في هذا العصر على ما يبدو. أود كذلك التمييز بين الإنتاج الشفهي والمكتوب. فأنا أعتقد أن قصص سفر التكوين قد تبلورت شفهيا على مدار فترة طويلة منذ بداية إسرائيل وحتى القرن الثامن قبل الميلاد وتم تدوينها في القرن الثامن قبل الميلاد، سواء بالنسبة للمصدر الإلوهيمي في الشمال أو للمصدر اليهوي في مملكة يهوذا في الجنوب. أي لدينا هنا مصادر دوِّنت في القرن الثامن قبل الميلاد لكن سبقها تراث شفهي طويل.

المصدر الآخر هو سفر التثنية؛ فسفر التثنية حسب تخمين الباحث الألماني فيلهلم دي فيته - الذي تم قبول رأيه في الأوساط البحثية، هو في الأساس سفر عُثر عليه في الهيكل في عصر يوشيا[1] (الملوك الثاني ٢٢: ٨-١٠). إذن، فنحن نتحدث عن القرن السابع قبل الميلاد ــ

**عثر شافان كاتب الهيكل على السفر في فترة الترميمات التي قاموا بها في الهيكل ...**

أجل، أجل. ولقد خمن عدد من الباحثين أن لهذا السفر أيضا تاريخ أقدم بكثير وأن نواته الأصلية تبلورت كذلك في مملكة الشمال قبل خرابها بقليل أي بين

---

[1] ملك مملكة يهوذا من سنة ٦٤١ ق م إلى ٦٠٩ ق م، ينسب إلى هذا الملك قيامه بعدة إصلاحات في مملكته بخصوص العبادة بعد اكتشافه نصوص من التوراة في هيكل سليمان تهدد بسقوط مملكة يهوذا ما لم يرجع شعب يهوذا لعبادة الله الواحد وتركه لعبادة الأصنام.

٧٥٠-٧٢٥ قبل الميلاد تقريبا. وبحسب هذا التخمين الذي أؤيده يجب أن نفترض أن نواة سفر التثنية قد انتقلت من إسرائيل إلى يهوذا مع أولئك اللاجئين الذين تحدثنا عنهم؛ الفارين من السامرة إلى أورشليم في عصر حزقيا، الذين قاموا بعد ذلك بتطوير السفر وتوسيعه في أورشليم، ثم ظهر في الهيكل في عصر يوشيا كما ذكرنا، وأصبح سفرا تم إعلانه ونشره على الشعب. وسفر التثنية مكتوب بأسلوب مختلف عن بقية أسفار التوراة: فليس الرب هو الذي يتحدث إلى الشعب مباشرة لكن تمت صياغة كل شيء فيه ككلام موسى إلى بني إسرائيل.

بخلاف التهجير الأشوري للأسباط الشمالية العشرة الذي كان كما ذكرت في إطار بوتقة الصهر الأشورية التي لم تبق أملا أمام هذه الأسباط بالبقاء، فقد كان النفي الذي قام به البابليون لسبط يهوذا بعد ذلك بحوالي مائة وخمسين سنة مختلفا تماما؛ حيث جمع البابليون المنفيين في مكان واحد وسمحوا لهم بإقامة طائفة وحياة روحية. وأعتقد أن الوثائق المختلفة التي تحدثنا عنها سواء كانت اللفائف الكهنوتية أو ما ورد في "قانون القداسة" الجزء الثاني من سفر اللاويين أو المصادر الشعبية التي ذكرناها من قبل، والمصدر اليهوي والمصدر الإلوهيمي، وكذلك سفر التثنية قد أخذها المنفيون اليهود معهم إلي بابل.

وفي بابل كانت عملية جمع وتوسيع وتحرير الأدب التوراتي. وفي تلك الأثناء استولى كورش الفارسي على بابل عام ٥٣٩ قبل الميلاد. وفي فترة ما في العصر الفارسي وهو ما لا يمكن تحديده على وجه الدقة (يبدو أنها عملية استمرت لسنوات معدودة) تم تحرير كل هذا الأدب في كتاب واحد. وقد تمت هذه العملية في رأيي بواسطة الدائرة الكهنوتية "للمدرسة المقدسة" وهي المدرسة التي كتبت في حينه "قانون القداسة" (وهو كما ذكرنا سفر اللاويين ١٧ وما بعده). لقد كانوا كهنة لكن إلى جانب ذلك كان لديهم ارتباط شديد بالشعب وأزماته واحتياجاته. فالكهنة من هذه المجموعة هم الذين جمعوا كل المواد التي

حفظت مع الشعب بكافة طوائفه المختلفة وقاموا بتحريرها في كتاب واحد. هكذا أصبحت لدينا التوارة التي بين أيدينا.

**صنعوا ذلك في بابل؟ في فترة بقائهم في المنفى؟**

في بابل، في المنفى. ويوجد في متن التحرير كلمات فارسية يلاحظ منها أنها كانت في العصر الفارسي. كانت عملية التحرير تعددية في جوهرها. فأفسحوا مجالا لأصوات مختلفة وروايات مختلفة، وكذلك في القصة والشريعة. فمن يقرأ قصة الطوفان على سبيل المثال يلاحظ عدم وجود اتفاقعلى عدد الحيوانات التي يأخذها نوح فيذكر تارة: اثنان اثنان من كل نوع، وتارة أخرى: سبعة سبعة. وينبع غياب هذا الترابط، والاختلاف في داخل القصة من كونها مكونة من مصدرين لكل منه رأي مختلف الموضوع. فبحسب المصدر الكهنوتي لم تكن هناك عبادة في فترة التكوين؛ لذلك يأخذ اثنين اثنين. ويستخدم المصدر الكهنوتي دوما لفظ "إلوهيم" في سفر التكوين. ومن يقرأ القصة سيرى أن الأوامر التي جاءت باسم "إلوهيم" تتحدث عن اثنين اثنين. وفي المقابل يعتقد أن تقديم القرابين كان موجودا في عصر التكوين وأن الاسم كان معروفا صراحة في تلك الفترة، لذلك نجد حسب هذه الرواية أن الرب يأمر نوح بإحضار سبعة سبعة من كل نوع، لأنه سيحتاج إلى تقديم قربان بعد الطوفان. لنتصور أنه أخذ اثنين فقط، أي ثورا وبقرة ثم يقدم قربانا -

**حينها لم يكن لدينا بقر...**

كنا سنبقى بدون بقر وبدون حليب. فماذا كنا سنضيف إلى قهوة الصباح؟

**ربما كنا سنشرب القهوة بدون حليب، لكن ما تقوله مهم للغاية يا بروفسور، لأن ذلك يأخذني إلى استنتاج عدم وجود غيرة بين الكتبة. أي أن كل كاتب كان يبقى على ما كتبه الكاتب الآخر ولم يغيره.**

صحيح.

**هو لا يقول: لحظة! ذلك الكاتب قال اثنين وأنا أقول سبعة إذن سأكتب أنا عن السبعة.**

أود استخدام تعبير آخر – ليس ِغيرة بين الكتبة لكن المصطلح التلمودي: "هذه وتلك كلمات الله تعيش" (التلمود البابلي، عيروفين، ١٣: ٧٢). أي أن محرري التوراة عرفوا قداسة هذه الروايات القديمة وحتى في حال وجود اختلاف بينها وضعوها بجوار بعضها البعض. وبرغم الفروق الواضحة بينهما تم وضع قصص روايتي الخلق الواحدة تلو الأخرى: التكوين ١ من الرواية الكهنوتية، والتكوين ٢-٣ من رواية اليهوي؛ فنجد على سبيل المثال في قصة سفر التكوين ١: ٢٧ خلق الرجل والمرأة معا أما بحسب القصة في سفر التكوين ٣: ١٨-٢٣ نجد أن المرأة ءخلقت لاحقا.

وفي التشريعات يحدث أمرا أكثر خطورة؛ حيث نجد تناقضات في أمور التشريعات. فتشريع العبد في الإصحاح ٢١ في سفر الخروج يتحدث عن تحرير العبد بعد ست سنوات ويفر ِق بين العبد والأمة، ووجود ثقب في الأذن يدل على العبودية الأبدية للعبد الذي اختار عدم التحرر بعد ست سنوات، وغير موجود في المرأة. ثم يأتي تشريع"قانون القداسة" في نهاية سفر اللاوين الإصحاح ٢٥ ويقدم تعليمات مختلفة تملما عن تحرير العبد في سنة اليوبيل[١] وبذلك فإنه يعارض العبودية الأبدية. وها هو في سفر التثنية (١٥: ١٢-١٨) نجد تشريعا ثالثا أقرب إلى تشريع سفر الخروج من ناحية تحديده التحرير بعد ست سنوات، لكنه لا يماثله. فعلى عكس سفر الخروج الذي قصر ثقب العبودية على العبد فقط؛ فإن سفر التثنية لا يفرق في هذا الأمر بين العبد والأمة ويذكر بخصوص الثقب "وهكذا تفعل لأمتك أيضا" (التثنية ١٥: ١٧).

---

[١] سنة اليوبيل هي سنة واحدة مقدسة كل خمسين سنة، وهي سنة يتحرر فيها العبيد.

كيف يمكن تقديم سفرتشريعات مليء بالتناقضات؟ كان على تفسير الأحبار للعهد القديم التوفيق بين هؤلاء الكتاب المتناقضين.

**ألم يفكروا في الصداع الذي سيعاني منه القراء بعد ألف سنة.**

لقد تعاملوا بورع مع الروايات المختلفة سواء في القصة أو في التشريع وقدموا بالفعل كتابا مليئا بمختلف الآراء والتنوع والخلاف. وبذلك أوجدوا في رأيي ثقافة وهي ثقافة الخلاف. لأنه كيف بدأت المشنا؟ بالخلاف حول الوقت الصحيح لقراءة صلاة شماع في المساء "متى نقرأ صلاة شماع في المساء؟" (مشنا براخوت ١: ١ ) ثم يعرض لآراء مختلفة. أي من المشروع جدا الجدل والتعبير عن الآراء المختلفة والمتناقضة، وأن هناك محل لها جميعا وجميعها تستحق الذكر والتدوين. وأن ما تم في تحرير المشنا هو استمرار لمشروع التحرير التعددي للتوراة؛ فالتوراة هي حجر الأساس لثقافة الخلاف!

**ويحضرها معه عزرا الكاتب الذي جاء من بابل إلى أرض إسرائيل (فلسطين) ...**

يحضر التوراة التي تم إعدادها. وأن موقف تلاوة التوراة الذي يصوره الإصحاح الثامن في سفر نحميا هو موقف الإعلان الأول عن التوراة في أورشليم. ويبكي أفراد شعب اليهود لأنهم يسمعون أشياء مختلفة لم يسمعوها من قبل. فهم لم يحتلفوا على سبيل المثال بعيد المظال بحسب ما هو وارد في التوارة لأنهم لم يعرفوا هذا (نحميا ٨: ٩-١٧). أحضر عزرا الكاتب من بابل التوارة التي شارك على ما يبدو في تحريرها إلى أورشليم ونشرها.

# الآباء: يعقوب ويعقوبئيل

**بروفسور! أعتقد أنه عندما نرغب في دراسة بدايات وجود بني إسرائيل علينا أن نعودإلى سفر التكوين؛ حيث آباء بني إسرائيل الأوائل: إبراهيم وإسحق ويعقوب. أعتقد ، وصححني إن كنت مخطئا، أننا لن نعثر على أي اكتشاف أثري أو دليل مكتوب، خارج العهد القديم، يشير إلى وجودهم. فنحن نتحدث عن عشيرة من رعاة الأغنام الرحل الذين ارتحلوا في المنطقة مثلما ارتحلت آلاف العشائر في العالم القديم. وكنا قد تحدثنا عن تقديم قصص التوراة لميثولوجيا إسرائيلية ما عن بداية جماعة بني إسرائيل. لذا أريد تقسيم السؤال إلى عدة أقسام: أولا؛ من هو كاتب سفر التكوين؟ ربما عدة كتبة؟ وما الغرض منه؟ وما هدف الكتبة؟ وأين أقاموا؟ وهل تهدف هذه القصص إلى عكس صورة الاستيطان؛ حيث أننا أيضا مثل آبائنا بعض الشيء بعضنا من سكان الخيام والبعض الآخر من المحاربين؟ ربما لم يتطرقوا إلى الرؤية التاريخية تماما لكنهم يرغبون أن يظهروا لنا بأننا غير محليين لكن جئنا من مكان آخر، نحن غرباء وهذه أرضنا فقط لأنه مكتوب أن إبراهيم وعد بها. وأين نبدأ في سفر التكوين؟**

حسنا شموئيل، أسئلتك ممتازة فقد لمست جذور المشكلات. لقد تحدثنا في المرة السابقة عن زمن انتشار محو الأمية أي معرفة القراءة والكتابة. وقلنا إن القرن الثامن قبل الميلاد هو الوقت الذي يمكننا أن نخمن فيه – في ضوء الاكتشافات الأثرية وكذلك في ضوء الشواهد الداخلية من أسفار النبوة – أن معرفة القراءة والكتابة كانت موجودة خارج نطاق نخبة محدودة. ولا يمكنني بالضبط تحديد الشريحة السكانية التي عرفت القراءة والكتابة في القرن

الثامن قبل الميلاد، لكن إن كان هناك عشرة بالمائة من بني إسرائيل يعرفون القراءة فمن الضروري كتابة النبوءات. كتبت كل النبوءات الأولى التي تحدثنا عنها لهوشع وعاموس في الشمال وإشعياء وميخا في الجنوب في القرن الثامن قبل الميلاد. وفي هذا العصر كانت هناك إمكانية تدوين قصص مثل قصص الآباء في سفر التكوين نظرا لوجود قراء، ليس فقط قراء لكن قراء ومستمعين. أي إذا وصل جزء كهذا إلى قرية فسيكون هناك من سيعرف قراءتها ثم يقوم بقراءتها بدوره على الآخرين. لذلك فالتخمين الذي أريد أن أسير وفقا له هو أن بداية تدوين قصص سفر التكوين كانت في القرن الثامن قبل الميلاد. وكان ذلك في الأساس في إطار المصدرين اللذين تحدثنا عنهما في المرة السابقة: المصدر الشمالي الذي يطلق عليه الباحثون المصدر "E" (المصدر الإلوهيمي) والذي كتب كما ذكرنا في مملكة إسرائيل قبل زوالها– حيث زالت قبل نهاية القرن الثامن قبل الميلاد – والمصدر الجنوبي وهو المصدر "J" الذي كتب بعده في مملكة يهوذا بفترة متأخرة قليلا.

لكن الأسئلة التي تتردد هي هل نحن في حاجة إلى تحديد ربط التدوين بزمن كتابة هذه الروايات؟ أي إذا افترضت أنا أن هذه المصادر، ولا أود أن أقول كلها فهناك بالطبع إضافات متأخرة وغير ذلك؛ لكن إذا قلنا أن جزءا لا بأس به من المصدر E(الإلوهيمي) والمصدر J(اليهوي) قد تم تدوينه بداية من القرن الثامن قبل الميلاد، فهل يعني ذلك أن القصة التي يحكونها عن الآباء قد تم دمجها في نفس القرن؟ والإجابة التي أود تقديمها لهذا السؤال، وهنا لا أقدم أي جديد، هي بالطبع لا. وأود أيضا أن أسير على نهج باحث العهد القديم المهم للغاية هرمان جونكل الذي عاش في ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي الذي زعم ما يلي: هناك فجوة تصل إلى مئات السنين بين فترة تأليف قصص سفر التكوين وبين تدوينها. وهو ما زعمه في مقدمته للتفسير المهم للغاية لسفر التكوين. ومن الأمور التي تمسك بها ما أشرت إليه في كلامك

يا شموئيل. فقد تحدثت عن الرحل، عن رعاة الغنم في مقابل المزارعين، وعن فترة الاستيطان – كل المفاهيم التي أشرت إليها في سؤالك. وأود هنا ترتيب الأمور كي أوضح سؤالك أكثر؛ لأنه كان سؤالا ممتازا.

ما الذي نعرفه من علم الآثار عن فترة الاستيطان؟ هناك خلافات متنوعة بين الباحثين، لكني سأتناول اثنين من الباحثين، وكليهما ميدانيين، يتجادلان حول أمور مختلفة، وتختلف مواقفهما العامة والسياسية تماما عن بعضهما؛ لكنهما يمثلان في نظري العمل الميداني الجاد للغاية الذي تم في هذا المجال.

**هل هما إسرائيليان؟**

أجل إسرائيليان. باحثان إسرائيليان، مات أحدهما قبل عامين وهو آدم زرطل الذي كان أستاذا في جامعة حيفا.

**رجل الكيبوتس الذي لاحظ مذبح يشوع في جبل عيبال[1].**

بالفعل، هو من سكان كيبوتس عين شمر، وهو شخص مهم للغاية أصيب إصابة بالغة في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتغلب على إصابته وأصبح رجل آثار ميداني. كان أعظم منقب في قطاع سبط منسى. وسأذكر إلى جانبه إسرائيل فينكلشتاين من جامعة تل أبيب وهو بالطبع من كبار علماء الآثار في إسرائيل وأعظم منقب في قطاع سبط أفرايم.

لقد قاما بتقسيم القطاعات فيما بينهما عندما بدءا التنقيب. فماذا حدث؟ بعد حرب ١٩٦٧، فتحت أمام الباحثين الإسرائيليين كل مناطق الاستيطان الأول لبني إسرائيل في كنعان، والتي كانت في معظمها وراء الشريط الأخضر[2] حتى ١٩٦٧. وكان هناك عالم آثار كبير من جامعة تل أبيب وهو موشه كوخافي الذي

---

[1] يقع شمال نابلس ولذلك يسمى أيضا الجبل الشمالي، وهو أعلى قمة في سلسلة جبال نابلس الممتدة من الناصرة إلى مشارف القدس.

[2] الخط الحدودي لدولة إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨.

بادر قائلا هلم فلدينا الإمكانية الآن، وسنقوم بعملية مسح كبيرة ونفحص كل هذه المناطق.وكان هو في الحقيقة الذي قسم "القطاعات"؛ أي قسم المهام.

**ولتنظيم الأمور فقط: عندما تتحدث عن منسى، فأين ذلك جغرافيا اليوم، وأين يوجد قطاع سبط أفرايم؟**

تقع الحدود الجنوبية في منطقة بيت إيل، ثم تهبط نحو الشرق تجاه غور الأردن من ناحية، ومن الناحية الأخرى نصل غربا إلى منطقة روش هاعين. وتقع منسى شمال أفرايم. وكان السبط الثالث الذي سكن منطقة الجبل المركزية هو سبط بنيامين. ويقع المركز الديني المهم في بيت إيل على الحدود بين بنيامين وأفرايم بالضبط، بنيامين جنوبه وأفرايم شماله. وكانت تتركز المراكز الدينية المهمة الأخرى مثل شيلوه في الشمال في تكتل نابلس الممتد من ناحية حتى غور الأردن، ومن الجانب الآخر تجاه وادي الخليل[1] ، وهي منطقة منسى، نصف سبط منسى لأن النصف الآخر كان موجودا في غور الأردن.

هذا هو قلب منطقة الاستيطان، كما كانت هناك أعمال تنقيب وأشياء مهمة أخرى؛ فقد قام عامي مازار على سبيل المثال بالتنقيب في القدس. وأنا لا أريد أن أنسى دور أحد لكني أقول إن المجهودين الرئيسين كانا لآدم زرتل في قطاع منسى، وفينكلشتاين في قطاع أفرايم.

**تتحدث هنا عن الحدود الجغرافية لمملكة إسرائيل. ونحن لم نصل إلى يهوذا بعد.**

هذا صحيح. فعند انقسام المملكة إلى اثنتين وسيكون هناك فصل بين يهوذا وأفرايم ستمر الحدود بينهما في بيت إيل.

**لأن بنيامين ذهبت مع يهوذا.**

---

[1] منطقة منخفضة في جنوب ووسط فلسطين يتمد حوالي ١٠–١٥ كيلومتر بين جبل الخليل والسهل الساحلي.

صحيح. أنت محق.

**سؤال آخر قبل أن تواصل. يبدو لي أني أستمع هنا إلى صدى أتباع مدرستي الحد الأدنى (التقليليين)، والحد الأقصى (المبالغين)؟ أم إننا لا نتحدث عن ذلك الآن؟**

أود الذهاب الآن إلى الأشياء التي اتفق عليها الميدانيان: عرف آدم زرطل في تنقيبه في موقع العبادة في جبل عيبال الذين استوطنوا المنطقة، كيف يمكن قول ذلك؟ لقد أصبح أقرب بكثير إلى قبول رواية العهد القديم بصورة مبسطة. وفينكلشتاين –لم أكن لأطلق عليه تقليلي (من أتباع مدرسة الحد الأدنى) تام، لكنه متشكك في أشياء كثيرة في رواية العهد القديم.

مع ذلك، فهناك شيء ما أساسي للغاية اتفقا عليه. فمن خلال تنقيبهما، ومن الاكتشافات الميدانية، توصلا إلى رأي حول الموقع الأولي للإسرائيليين الأوائل في العصر الذي نطلق عليه عصر الاستيطان، أو عصر القضاة. فهما يعتقدان أن أوائل المستوطنين الإسرائيليين في العصر الحديدي الأول حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد، قد جاءوا إلى كنعان من ناحية غور الأردن شرقا، ثم عبروا نهر الأردن وصعدوا إلى المناطق الجبلية العليا[١]، وفي فترة تقدر بحوالي مائتي سنة تقريبا من نهاية القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد، أي تقريبا في السنوات ١٢٠٠-١٠٠٠ قبل الميلاد شيدت مئات المستوطنات الصغيرة في منطقة الجبل، مستوطنات لم تكن موجودة من قبل. وهذه المستوطنات صغيرة في معظمها لكنها جديدة لأن هذه المنطقة لم تكن مأهولة بشكل كبير في العصر الذي سبقه - العصر البرونزي المتأخر - وإذ تستقبل فجأة موجة جديدة من الاستيطان.

١ خلال فترة الرعامسة من الأسرة العشرين المصرية، تاليا لرحلة الخروج اليهودي من الأسرة التاسعة عشر.

**هل هناك أي سمة خاصة لأوانيهم؟ ولثقافتهم المادية؟**

أجل هناك طابع خاص.

**وفي بنائهم؟**

أجل بالطبع؛ فالبناء المحبب إليهم جدا الذي يميز عملية البناء لديهم – وهو موجود أيضا في مواضع أخرى لكنه بناء الإسرائيلين الأوائل في الأساس – هو البيت الذي نُطلق عليه "بيت الأربعة أفنية"، ومكون من ثلاث غرف حول فناء داخلي. وبالنسبة للأواني، فإن ما ميزها هو البساطة والرتابة؛ فالأواني الفخارية بسيطة ولم يستخدمواالخزف الملون رغم وجوده في المناطق الساحلية وعند الفلستينيين[1]. وقد عرف الفلستينيون الذين جاءوا من مناطق مختلفة في اليونان صناعة الخزف الملون. ويمكن العثور على هذا السيراميك في بقايا مستوطنات الفلستينيين، كما نجدها أيضا في بعض المستوطنات الكنعانية، لكن ليس في المستوطنات الإسرائيلية فهم لم يستخدموا هذاالخزفرغم إمكانية شراءه؛ إلا أنهم لم يفعلوا.

**إذن، أنت تسمي هذه الموجة من الاستيطان: إسرائيليين؟**

بالفعل.

**لكن من كانوا عندما جاءوا؟**

هذا سؤال كبير للغاية وسنحتاج للحديث عن ذلك فيما بعد. لديهم آنية واحدة يمكن أن نجدها في كل مكان حتى في خارج مستوطناتهم، لكنها تشاهد عندهم بشكل أكبر؛ وهي جرة كبيرة شفتها مستديرة تجاه الخارج تسمى "جرة شفة الياقة" لأن الشفة المستديرة للجرة تشبه الياقة. استخدمت هذه الجرة على ما يبدو لتخزين السوائل – المياه - لعدم وجود بعض هذه المستوطنات بالقرب من

[1] مجموعة البلست في النصوص المصرية القديمة، إحدي مجموعات شعوب البحر تاليا لانهيار الحضارة المينوية في قبرص وكريت.

ينابيع المياه فكان عليهم الذهاب وملأ المياه. كما استخدموها كذلك في تخزين الزيت والنبيذ. كما كان يمكن الاحتفاظ بالحبوب فيها. والحقيقة أنه تم اكتشاف كميات كبيرة من هذه الجرار في أماكن استيطان بني إسرائيل.

**هل كانت أواني جديدة؟ ألم يكن لها نظير في أرض فلسطين في نفس الفترة؟**

كنت لأقول نعم بشكل كبير لكن هناك استثناءات أحيانا، لكن هذه الآنية كانت تميز الاستيطان الإسرائيلي بشكل عام. وماذا ميزه أيضا؟ الغياب شبه التام لعظام الخنازير. فهناك الكثير من عظام الخنازير عند الفلست. فلقد أحب الفلستينيون أكل الخنزير جدا واتضح من الفحص المعملي الذي أجري على عظام الخنازير التي عثر عليها في المستوطنات الفلستينية أنهم أحضروا معهم في رحلاتهم من اليونان[1] أو من مناطق قريبة منها إلى هنا، نوعا من الخنازير الأوروبية التي أحبوا أكلها جدا. لذلك نجد في مستوطناتهم الكبيرة الكثير من عظام الخنازير. وكان تناول لحم الخنزير موجودا عند الكنعانيين لكن ليس بالصورة التي كانت موجودة عند الفلست وليس في كل مكان كذلك. لكن الصورة في المستوطنات الإسرائيلية فحاسمة جدا فلا وجود لعظام الخنازير.

أعود الآن إلى الحديث عن ما اتفق عليه زرطل وفنكلشتاين فيما يخص الإسرائيليين الأوائل؛ حيث يتضح من أعمال التنقيب التي أجريت من شرق الأردن حتى غربه أن هؤلاء الناس كانوا رعاة أغنام رحل. ولا تفكر في البدو فالبدو من أعماق الصحراء مع جمالهم وما شابه ذلك. ويبدو أن الجمل لم يكن قد تم استئناسه في تلك الفترة بعد. لكن الحديث هنا عن أناس كانت تقوم حياتهم على رعي الأغنام وكانوا يرتحلون من مكان إلى مكان بحثا عن الكلأ. إنها حياة سكان الخيام فهم يسكنون الخيام ويرعون الأغنام وربما يستصلحون قطعة أرض من حين لآخر ويزرعونها بالغلال، لكنهم في العموم رحل ورعاة

---

[1] من مراكز الحضارة المينوية في جزيرتي قبرص وكريت.

أغنام. وهذا هو ما كان عليه نمط الحياة الأولي للمستوطنين الإسرائيليين قبل مجيئهم إلى هنا.

**وتقول هنا إنهم يبنون بيوتا مستقرة.**

صحيح. في اللحظة التي يصلون فيها إلى هنا يتحولون من الترحال إلى الاستقرار فيبنون البيوت ويحفرون الآبار ويزرعون الحقول ويصبحون مستقرين. لقد أظهر فنكلشتاين شيئا جميلا للغاية. فقد أشار إلى أنه يلاحظ في المرحلة الأولى من الاستقرار أن البيوت تتمركز بشكل بيضاوي؛ أي أن مجموعة من البيوت تشكل شـ كلا بيضاويا. وكل بيت يكون مربعا في ذاته لكن البناء العام للمستوطنة يكون بيضاويا وفي المنتصف مساحة خالية.

**وما السبب؟**

استخدم فنكلتشاين التصوير الجوي لخيام البدو من العصر العثماني وفترة الانتداب البريطاني، وأوضح أن الخيمة البدوية كانت مبنية بنفس الشكل. لماذا؟!! لأن القطعان ..

**تتجمع ليلا في وسط المخيم...**

تتجمع في المنتصف، وهو البناء المخصص لحماية الأغنام التي تعيش في داخل هذا الشكل البيضاوي. قال فنكلشتاين إن هؤلاء الناس جاءوا من تراث ترحالي لرعاة الأغنام وبنوا المستوطنات بهذا الشكل على النمط الذي شيـد عليه مخيمهم في عصر الترحال. ويبدو أنهم كانوا لايزالون يربون الأغنام في المرحلة الأولى وكانت المنطقة في وسط المستوطنة تخصص للحماية الليلية للأغنام. ورغم أنهم بنوا البيوت – فهذه ليست خيام لكن بيوت –مع ذلك حافظوا على التراث الترحالي القديم. أى إذا أردت إيجاز هذه النقطة ستجد زرطل وفنكلشتاين يتفقان على أمرين أساسيين: الأول: أن هؤلاء الناس كانوا في ماضيهم رعاة أغنام، والثاني: أنهم جاءوا من الشرق عبر نهر الأردن.

وهما يرفضان بذلك كل النظريات مثل نظريتي الباحثين الأمريكيين مندلهل وجوتفلد اللذان كانت لهما في ستينيات أو سبعينيات القرن الماضي نظرية عن تمرد الفلاحين الكنعانيين الذين ضجروا من عبء ضرائب الملوك الكنعانيين فصعدوا الجبال وأقاموا المستوطنات. وهو ما لا يتماشى مع الاكتشافات الأثرية؛ فالاكتشافات الأثرية تشير إلى أن مستوطني الجبال الجدد ليسوا كنعانيين أو مزارعين أو من سكان المدينة؛ لكنهم رعاة أغنام رحل لم يأتوا من الغرب من المناطق الساحلية الكنعانية لكن جاءوا من الشرق وعبروا نهر الأردن فيما يوازي حاليا منطقة جسر داميا[1] ثم صعدوا إلى الجبل تجاه نابلس تجاه بيت إيل. وهذه هي الموجة الاستيطانية الأولى. ومن هذا المركز لأسباط بنيامين وأفرايم ومنسى، تتمدد المستوطنة إلى مناطق أخرى.

**ما أصل هؤلاء الرحل؟ من أين جاءوا ومن هم؟**

هذا سؤال كبير خصصت له كتابا بعنوان "**من أين جئنا**".لكن بعد الاكتشافات الجديدة والاستنتاجات التي توصلت إليها مؤخرا أتخلى عن بعض ما كتبته حينها قبل عشر سنوات، وأصبحت لدي رؤية جديدة الآن. وقبل أن أبدأ في عرض مقترحاتي الجديدة أود التمسك ثانية بشيء سألته عن سفر التكوين. لقد ذكرت أن سفر التكوين يحكي لنا عن الآباء كرعاة أغنام. فهم رعاة أغنام يسكنون الخيام أيضا. هذا هو الوصف الأساسي في سفر التكوين. فهم يرتحلون من مكان إلى مكان ويعيشون على رعي الأغنام. ونسمع هنا وهناك عن العمل في الأرض. فإسحق يزرع في النقب ويحصل على "مائة ضعف"[2]،

---

[1] جسر داميا أو جسر الأمير محمد هو جسر مغلق حاليا يقطع نهر الأردن بين الضفة الغربية في فلسطين وبين الأردن. تم إنشاؤه بالأصل في فترة المماليك، تم تجديده لاحقا عدة مرات في القرن العشرين. يقع شمال مدينة أريحا بحوالي ٣٥ كيلومترا.

[2] التكوين ٢٦: ١٢

لكن هذا ما صنعه رعاة الأغنام أيضا كما نعلم. حتى البدو لديهم أراض يزرعونها في فصول معينة. هكذا كانوا منذ الأزل؛ لكنهم رعاة أغنام في الأساس.

وها أنا أتفق مع عمل الأثريين أدم زرطل وإسرائيل فنكلشتاين اللذين أثمن عملهما كثيرا وأتفق كذلك مع اعتقادهما بأن المستوطنين الإسرائيليين في المنطقة الجبلية كانوا رعاة أغنام في الماضي، لكن في الوقت الذي وصلوا فيه إلى أرض كنعان استوطنوها وبنوا بيوتا وقرى. قرى صغيرة لكن بها بيوت وليس خيام. ولا أقول إنهم توقفوا نهائيا عن تربية الأغنام، لكن من الواضح أن حركتك تكون محدودة مع القطعان منذ اللحظة التي تبني فيها بيتا وتعتمد معيشتك على الزراعة وليس على تربية الأغنام. إذن، كيف نوائم بين هذه الصور في سفر التكوين التي تصف الآباء أثناء استقرارهم في أرض كنعان كرحل يربون الأغنام مع الواقع الأولي للإسرائيليين في كنعان كمزارعين يسكنون البيوت؟ ماذا نفعل مع هذا التناقض؟ كيف نفهم هذه الفجوة.

ذكرت من قبل باحث العهد القديم جونكل، وأود أو أقول لك ماذا كتب جونكل. لديه كتاب ترجم إلى العبرية بعنوان "**أساطير سفر التكوين – مدخل لسفر التكوين**". قال جونكل مثلما أشرت من قبل إن هناك فجوة تصل إلى مئات السنين بين وقت تدوين روايات وقصص سفر التكوين وبين زمن حدوثها.

كان زمن التدوين في رأيه (وهو ما أقبله) في العصر الملكي تحديدا؛ غير أنه يرى أن زمن وقوع الأحداث أقدم بكثير. فقد وقعت هذه الأحداث في رأيه قبل عصر ما قبل الاستيطان، في فترة الترحال أي قبل عام ١٢٠٠ قبل الميلاد (ولقد ذكرنا من قبل أن بداية الاستيطان كانت حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد).

يقول جونكل إن هذه القصص لم تتطرق في أصلها إلى وجود أسباط في كنعان لكن إلى عصرما قبل دخولهم كنعان. لأنهم كانوا في كنعان يسكنون،

بحسب كلامه البيوت ولم يكونوا رعاة أغنام رحل، والاكتشافات الأثرية تؤيد ذلك.

تدور قصص العهد القديم في قسمها الأكبر في أرض كنعان لكنها لم تحدث بحسب كلام جونكل في كنعان لكن قبل ذلك. فقد وقعت أحداثها قبل الوصول إلى كنعان، وأن الآباء يعكسون عصر الوجود الإسرائيلي القديم قبل الاستيطان في كنعان[1] ويعكسون فترة الترحال كذلك. وإذا كانت القصص قد حدثت قبل عام ١٢٠٠ قبل الميلاد إذن فقد مرت بين حدوثها وتدوينها ...

**مئات السنين، أهناك تخمين حول عددها؟**

مئات السنين، ربما خمسمائة عام[2].

**هذه القصص يتم تناقلها شفاهة، ويتم تغييرها في الطريق بدون تمييز ذلك**

صحيح. صحيح.

**ربما كان الأصل مختلفا...**

صحيح، فهذا يتغير.

**فالموجود في السفر مختلف تماما عن القصص التي رويت شفاهة ...**

صحيح. هناك عمليات تغيير لكن الأصل كما يقول جونكل قد حدث قبل فترة الاستيطان.

أتساءل هنا هل هذا ممكن؟ هل يمكن تأييد مثل هذا الادعاء؟ سنسأل أولا: هل تناقل الروايات شفاهة على مدى خمسمائة عام أمر ممكن ومقبول؟

---

[1] يجب الحذر من مثل هذا التفسير في ضوء استمرارية التواجد المصري للامبراطورية حتى علي الأقل لنهاية عصر رمسيس الثالث والسيطرة المصرية علي فلسطين.

[2] في حال قبول النظرية الأعلي لاعادة تجميع المصادر التوراتية خلال فترة السبي البابلي الحديث/الكلداني.

وإجابتي كيهودي يجب أن تكون باللغة الآرامية "بشيطا"، ببساطة نعم. لماذا بشيطا؟ لأني أود أن أتطرق إلى أمر يعرفه كل تلميذ يدرس عند أستاذه. فالرواية اليهودية الأساسية بعد عصر العهد القديم هي رواية المشنا والتلمود، التي نطلق عليها "التوراة الشفهية". وماذا تعني التوراة الشفهية؟ في مرحلة معينة، كان يتم إجراء فصل تام بين الشريعة المكتوبة وبين الشريعة الشفهية لتمييز طائفة عن الطوائف الأخرى (مثل رجال طائفة صحراء يهوذا أو الصدوقيين).ولقد ذكرنا في لقائنا السابق لفافة الهيكل التي هي صياغة للتوراة أعدتها طائفةالقمران (مخطوطات البحر الميت) . تخيل أن أناس يجلسون في قمران ويعيدون كتابة التوارة.

وصمم منذ هذا الأمر جماعة الفريسيين، التي خرج منهم الأحبار. ماذا؟هل تعيدون كتابة التوراة؟ حاشى لله! يجب التمييز بشكل تام بين التوراة المكتوبة وبين التفسير الذي ظهر حول التوراة وما بعدها. فالتوراة المكتوبة تدون، أما الأشياء الأخرى فتدرس شفاهة.

هكذا يصنعون ثقافة كاملة للتوراة الشفهية بداية من القرن الأول قبل الميلاد عصر هليل وشماي وربما قبل ذلك في عصر شمعون بن شاطح في عهد الإسكندر يناي (تولى الحكم حوالي عام ١٠٠ قبل الميلاد). ثم تظهر فيما بعد المشنا والتوسفتا ومدراشيم الهلاخاه ثم التلمودان – البابلي والأورشليمي. كل هذه المادة الكبيرة والمتشعبة درسها رجال تمتعوا بذاكرة حادة ثم تبلغ وتنتقل من جيل إلى جيل. وفي نهاية الأمر قاموا بتدوين كل هذا العمل المتشعب. ولا نعرف بالضبط توقيت وملابسات الكتابة،ومتى بدأت؟ ربما في القرن الخامس أو السادس الميلاديين.

**لحظة! ألم يقم الحبر رابي يهودا الناسي بتحرير المشنا في القرن الثاني؟**

أجل، لكن المشنا لم تدون. ورغم وجود جدل معين بين باحثي التلمود، إلا أن موقف الأغلبية هو أن المشنا لم تدون في بداية وضعها. فقد قام رابي يهودا الناسي الذي عاش في الجليل حوالي عام ٢٠٠ ميلاديا بتحرير المشنا لكنه لم يحررها كتابة لكن شفاهة. وكان هناك أناس معينون يدعون "التنائيم"، وعلينا التفرقة، فهؤلاء ليسوا التنائيم أحبار المشنا لكن تنائيم بمعنى ..

**الحفظة.**

بالضبط، فهؤلاء مختلفون؛ فهم يحفظون الشرائع شفاهة. كما لم يكن عليهم أن يكونوا متعلمين عظام. على العكس، كان من الأفضل أحيانا ألا تفهم ما تقول، فأنت فقط ..

**تكرر الأشياء مثل الببغاء.**

صحيح. وهناك مزحة عن ذلك في التلمود تقول: "דאמרי אינשי רטין מגושא ולא ידע מאי אמר ,תני תנא ולא ידע מאי אמר"(סוטה כ"ב ,א). ومعناها: أن رجل الدين الفارسي يروي رواية مختلفة واللغة لغة قديمة وهو لا يفهمها حتى، لكنه يحفظها في الذاكرة فقط؛ حيث كانت هناك أيضا فترة طويلة من التبليغ الشفهي. و"תני תנא ולא ידע מה אמר" أي أن التنا (الحافظ) يدرس المشنا ويرددها ويرويها شفاهة بدون فهم. هكذا تمت رواية المشنا على مدى مئات السنين، حتى تم تدوينها في عصر تحرير التلمود البابلي حوالي عام ٦٠٠ ميلاديا تقريبا. وإذا كان الأمر كذلك فإن لدينا حوالي ستمائة أو حتى سبعمائة سنة من الرواية الشفهية، منذ عصر هليل وحتى تحرير التلمود.

بناء على ذلك، فإنه عندما يقول جونقل إن قصص سفر التكوين وقعت أحداثها قبل بداية الاستيطان الذي كان حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد وإنه تم تناقلها شفاهة من جيل لجيل على مدى ستمائة سنة تقريبا؛ فإني كيهودي يعرف ظاهرة التوراة الشفهية لا أرى أي معضلة هنا.

**هل ذلك موجود في الثقافات الأخرى أيضا؟**

أجل، ذلك موجود في الثقافات الأخرى أيضا؛ فقد ذكرت الثقافة الإيرانية. وكذلك كانت في الهند روايات شفهية لفترة طويلة فكان رجال الدين البراهمة يبلغون شفاهة على مدى مئات السنين. لكن بخلاف هذا الرأي العام فلدى جونكلآراء محددة عن أجزاء محددة للرواية ويذكر أشياء يكررها البحث الحديث المعاصر. فهو يشير إلى عدم توافق قصة معينة وملابساتهامع الواقع السياسي لعصر الملكية الذي تمت فيه عملية التدوين.

ومن الأمثلة التي يضربها جونكل: يعقوب وعيسو فيذكر أن في هذه الرواية خطوط لا تتماشى مع علاقات أدوم[1] وإسرائيل التاريخية؛ أدوم وإسرائيل في عصر الملكية . ففي قصة سفر التكوين،يقدم يعقوب على أنه جبان يخاف من أخيه، لكن تاريخيا تغلب شعب إسرائيل على أدوم في الحرب. أي إننا نعلم أن أدوم في عصر المملكة كان خاضعا لمملكة يهوذا على مدى فترة معينة حتى تمرد الأدوميين على يهورام ملك يهوذا وتشييدهم مملكة مستقلة (الملوك الثاني ٨: ٢٢). غير أنه بعد ذلك في عصر الملك أمصيا عادت يهوذا واستولت على أدوم (الملوك الثاني ١٤: ٧). وفي مقابل مملكة يهوذا نجد أن مملكة إسرائيل لم يكن لديها علاقات كثيرة مع أدوم البعيدة عنها. لكن نظرا لأن مملكة إسرائيل كانت الأكبر والأقوى من مملكة يهوذا فإن قوتها كانت أكبر وأقوى من أدوم.

إن كان الأمر كذلك، في رأي جونكل، فإن تناسب القوى في عصر المملكة يبرر وصف أدوم-عيسو بالضعيف ويعقوب بالقوي. لكن قصة سفر التكوين تصف عيسو ببطل في الصيد ويعقوب بالجبان الذي يهرب من أخيه.

**كيف نفسرهذا التناقض؟**

---

[1] إحدي ممالك شرق نهر الأردن في الألف الأول ق.م) وامتدت جغرافيا عبرمنخفض وادي عربه إلى خليج العقبة.

يرى جونكل أن لدينا هنا شاهد على أن قصة يعقوب وعيسو تعكس واقعا قديما يعود إلى وضع ما في العصر القديم، قبل عصر الاستيطان.

وكتب فينكلشتاين مقالا قبل سنتين مع باحث يقيم اليوم في باريس اسمه توماس ريمر وهما مندهشان كذلك من هذا التوتر القائم بين القصة والواقع، وتوصلا إلى استنتاج أن أساس قصص يعقوب وعيسو قديم؛ لأنه يعكس وضع إسرائيل وأدوم في فترة المملكة. ويجب أن يعود إلى شيء ما أقدم بكثير، إلى ما قبل الملكية.

أعتقد أني وجدت حلا لهذا اللغز:

كان لي اكتشاف مؤخرا نشرته كمقال في دورية مهمة جدا خاصة بالعهد القديم، وأعتقد أنه يجب تطوير هذا الاكتشاف، والتقدم على أثره. فماذا أقصد؟ لقد سألت عن شخصيات الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب، هل تم ذكرهم في أي مصدر تاريخي أو أثري؟ وهل هناك شيء تاريخي يمكن ربطه بهم؟ في الاكتشاف الأثري الذي أتطرق إليه ظهر الاسم يعقوب: يعقوبئيل...

**أين يظهر؟ وفي أي مصدر؟**

ظهر لنا في عدة مصادر. أولا؛ تم العثور على اسم يعقوبئيل في الحفريات الأثرية في مواقع مختلفة في شمال سوريا وبلاد الرافدين، بما فيها حول مدينة حاران التي يرتبط بها الكثير من قصص الآباء. وتقع حاران اليوم جنوبي شرق تركيا شمال الحدود السورية قليلا. وهناك، في هذه المنطقة، تم اكتشاف الاسم يعقوبئيل. كما تم اكتشافه في جنوب العراق غير بعيد عن مدينة أور التي ترتبط كذلكبرواية العهد القديم لإبراهيم – أور كسديم.

**أور التي عاش فيها تارح أبو إبراهيم قبل أن يبدأ في الترحال إلى حاران ...**

إن استخدام الاسم أور كسديم فيما يخص إبراهيم به إشكالية – زمنية؛ لأن الكلدانيين استولوا على بابل فقط في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد؛ أي

بعد عصر داود وسليمان. لكن أور مدينة قديمة جدا موجودة اليوم جنوبي بغداد.وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من بلاد الرافدين غير بعيد عن نهر شط العرب اليوم، الذي يتحد فيه دجلة والفرات ويصبان في الخليج العربي. وهناك، في هذه المنطقة، توجد مدينة أور. أما حاران في المقابل فتوجد كما قلت في المنطقة الشمالية الغربية لبلاد الرافدين جنوب شرق تركيا. إذن، فأور وحاران مدينتان بعيدتان جغرافيا عن بعضهما البعض، لكن هناك شيء مشترك بينهما: هاتان المدينتان، وهما فقط وليس أي مدينة أخرى، مركزا عبادة إله القمر.

**الإله سين[1]..**

أجل الإله سين. فكل مدينة كبرى في بلاد الرافدين كانت ترتبط بشكل خاص بآلهة معينة. وهناك مدينتان هما مدينتا إله القمر سين أو بالاسم القديم "نانا"؛ الأولى: أور، والثانية: حاران. والاثنتان مرتبطتان بإبراهيم. إذن، فإننا نجد أيضا الاسم يعقوبئيل كإسم علم في منطقتي أور وحاران. فما معنى هذا الاسم يعقوبئيل أو يعقوب إيل؟ يبدو أن معناه أن الرب سيحميه، سيتبعه، سيكون قريبا منه. أي أن الرب سيحميه ويرعاه. وهذا الاسم موثق كإسم علم أيضا بداية من القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

**نحن نتحدث عن العصر البرونزي المتوسط.**

أجل.

**هل يوجد لإسم إبراهيم أية مصادر في الكتابات القديمة؟**

---

[1] معروف كذلك باسم نانار أو نانا وتعني المنير. والمركزان الرئيسيان لعبادته كانا أور في الجنوب وحران في الشمال، لكن الطائفة انتشرت إلى مراكز أخرى في فترة مبكرة. ومعابد إله القمر موجودة في كل المدن الكبرى لممالك بابل وآشور .

أجل، ذكر اسم إبراهيم عدة مرات هناك أيضا في تلك المناطق وبصور مختلفة. وكذلك أسماء أفراد عائلته– تارح، ناحور، سروج، موثقة كأسماء مستوطنات في منطقة حاران. لكن لنكمل مع يعقوبئيل.

يرتبط ظهور يعقوبئيل في بلاد الرافدين بأسماء أعلام. ولا نجد أي ظهور له في بلاد الرافدين بمعنى أشمل، لا لجماعة المكان. وأول مرة يظهر فيها الاسم يعقوبئيل كاسم مكان أو جماعة كان في سياق الحملة الحربية الكبيرة التي تحدثنا عنها من قبل، حملة تحتمس الثالث الحربية الفرعون الذي رسخ الحكم المصري في أرض كنعان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وتذكر في قوائم الحملة المرتبطة بهذه المعركة مراكز تجمعات بشرية مختلفة أو جماعات بشرية أخضعها تحتمس أثناء حملته على أرض فلسطين وسوريا. ويعقوبئيل أحد الأسماء المذكورة.

**هل ورد ذكر هذه الأسماء ضمن نقوش معبد الكرنك؟**

أجل، تم اكتشاف هذه القائمة في معبد الإله أمون بالكرنك، طيبة في العهد القديم. ويظهر اسم يعقوبئيل فيها بجوار اسم حلقر. ولقد لاحظ المؤرخ ناداف نئمان من جامعة تل أبيب اسم حلقرفي منطقة حوران شرقي هضبة الجولان والموجود فيها جبل الدروز اليوم، الذي يعد مركز الدروز في سوريا. إذن فإن مكان مستوطنة يعقوبئيل كان موجودا أيضا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد في نفس المنطقة، في حوران أو في جنوب الجولان في باشان.

وبعد مائتي سنة من ذلك التاريخ، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، يظهر الاسم يعقوبئيل مرة أخرى في قائمة جغرافية مصرية. وهذه القائمة موجودة أيضا في معبد أمون بالكرنك. ورمسيس الثاني كما ذكرنا هو الفرعون الذي بنى لنفسه عاصمة جديدة، بيت رعمسيس. وقام بحملات حربية كثيرة إلى

منطقتنا، بما في ذلك في منطقة عبر الأردن، في منطقة أدوم، وفي الشمال، ولقد ذكر الاسم يعقوبئيل أيضا في إحدى قوائم حملاته.

ربط الباحثون بين يعقوبئيل رمسيس ويعقوبئيل تحتمس؛ فمستوطنة يعقوبئيل في قائمة تحتمس موجودة في باشان أو في الجولان كما ذكرنا؛ لهذا السبب تم ربط يعقوبئيل قائمة رمسيس الثاني بهذه المنطقة. لكني، وهذا هو التجديد الذي أتيت به مؤخرا، درست قائمة رمسيس الثاني ووجدت أن الأسماء التي تظهر قبل يعقوبئيل وبعده في هذه القائمة تحتوي على السابقة"قوس". فقبل اسم يعقوبئيل تظهر الأسماء **قوسرع**، **وقوستيسر**، وبعده **قوسشفط**، **وقوسرنم**. والسابقة "قوس" يجب أن تقرأ KOS على ما يبدو. و"قوسرع" معناها: قوس صديق، و"قوسشفط" معناها: قوس قاض.

**هل وجدت هذه القوائم عند رمسيس الثاني؟**

أجل. عند رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد كما ذكرت. وتظهر أيضا الأسماء في قائمته في قائمة رمسيس الثالث الذي حكم في حوالي ١١٧٥ قبل الميلاد. ويعتقد البعض أنه نسخ قوائم رمسيس الثاني ليفتخر بالنصر في الحرب دون أن يقوم حقيقة بحملة حربية إلى هذه المنطقة. لكن رمسيس الثاني كان هو من قام بهذه الحملة الحربية فعليا.

**وماذا معنى "قوس"؟**

"قوس" هو إله الأدوميين الرئيس. وهو مناسب لطابع الثقافة الأدومية على وجه الخصوص. ومن هنا يتضح أن مستوطنة يعقوبئيل كانت محاطة كلها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بالأدوميين العابدين للإله "قوس"[1]. لذلك أزعم أنه

[1] يبدو هنا تناقض زمني وجغرافي في الربط بين أدوم وما يعتقده المؤلف من مستوطنة يعقوبئيل حيث تتواجد أدوم جغرافيا فيما يلي جنوب نهر الأردن إلى العقبة عبر صحراء

يجب التمييز بين يعقوبئيل المذكور في قائمة تحتمس الذي مكانه في الشمال في حوران أو باشان، وبين يعقوبئيل في قائمة رمسيس الثاني الذي مكانه في الجنوب في أرض أدوم.

وماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنه في عصر رمسيس الثاني في جيل ما قبل عصر الاستيطان في كنعان (بدأ عصر الاستيطان كما ذكرنا في حوالي العام ١٢٠٠ قبل الميلاد، في عصر مرنبتاح ابن رمسيس الثاني على ما يبدو) كانت هناك جماعة تسمى يعقوبئيل. وأين سكنت؟ في أرض أدوم، محاطة بالأدوميين.

**وما أثر اكتشافك على قصة يعقوب وعيسو؟**

هذه القصة عن يعقوب وعيسو في سفر التكوين ليست قصة شخصية فقط لكنها قصة جماعة. لأن عيسو سمي هناك أيضا "أدوم" أليس كذلك؟ فهو ليس فقط عيسو الرجل لكنه أيضا رجل سعير الذي يمثل منطقة سعير المجاورة لأدوم.وبحسب القصة فقد سمي "أدوم" (أحمر) لأنه طلب تناول طبخة عدس أحمر "וַיֹּאמֶר עֵשָׂו אֶל-יַעֲקֹב, הַלְעִיטֵנִי נָא מִן-הָאָדֹם .. עַל-כֵּן קָרָא-שְׁמוֹ, אֱדוֹם- وقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر ...لذلك دعي اسمه أدوم" (التكوين ٢٥: ٣٠). من الواضح هنا أن هناك خلط بين القصة الشخصية والقصة القومية. فمن ناحية تجد أنهما قريبان إلى أقرب درجة ممكنة، أشقاء، توأمان. ولا يوجد شعب آخر من الشعوب المجاورة فبحسب سفر التكوين نكون قريبين منهم عائليا أكثر من الأدوميين. ومن ناحية أخرى العداء والكراهية؛ فالبطل يريد أن يقتل يعقوب الصغير.

كيف ظهرت هذه القصة؟ كانت أدوم، كما ذكرنا، في القرن الثامن قبل الميلاد زمن تدوين القصص مملكة جنوبية؛ ضعيفة استولت عليها يهوذا. وبعد

---

النقب ومنخفض وادي عربه وتواجدت زمنيا في بدايات الألف الأول ق.م تاليا لانهيار مراكز الحضارات القديمة الشهيرة في وادي النيل، الرافدين وخيتا في بلاد الأناضول.

فترة من الزمن تمرد الأدوميون لكنهم لم يشكلوا، على أي حال، تهديدا على يهوذا بين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد.

**عدوان لدودان؟**

لم يكونا عدوين لدودين إلى هذ الحد؛ فقد كان الفلست والآراميون أسوأ بكثير. كما لا يتضح كثيرا لماذا نحن أشقائهم. لماذا يكونون هم بالذات الذين يسكنون في الجنوب في منطقة البتراء اليوم أو شمالها قليلا؛ أشقاءنا من بين الجميع؟ وكيف أصبحنا أشقاء؟ ولماذا هم تحديدا؟ فلدينا جيران آخرين في الشرق – عمون ومؤاب. ونحن لسنا أشقاء أو أشقاء الكنعانيين. الكنعانيون بحسب سفر التكوين من نسل حام الابن الأصغر لنوح (التكوين ٩: ١٨-٢٧، ١٠: ٦)، ونحن من نسل سام، الابن البكر. ويصبح الأدوميون على وجه الخصوص أشقاء توائم وكذلك كارهين. كيف حدثت هذه الأزمة؟ ...

**علاقات حب وكراهية، علاقات أخوة وكراهية، من أين أتى هذا؟ وما مبرره؟**

صحيح، ستحدث في فترة أكثر تأخرا، في عصر النفي البابلي وبداية عصر الهيكل الثاني، قصة مؤلمة مع الأدوميين الذين استولوا على مناطق شاسعة من أرض يهوذا بعد خلوها بالخروج إلى المنفى في بابل. لكن نجد كما ذكرت أن فينكلشتاين وريمر البعيدان كل البعد عن قبول روايات العهد القديم كروايات تاريخية لا يربطان قصة يعقوب وعيسو بواقع المنفى البابلي وعصر الهيكل الثاني. كلا، هذه رواية قديمة، يقول كل من فينكلشتاين وريمر. إننا لا نعرف خلفيتها التاريخية، لكنها رواية قديمة لا تعكس طابع العلاقات بين القوميتين في عصر الملكية.

وكما ذكرنا فإننا نجد أن هذا يوافق كثيرا ما كتبه جونكل قبلهما بأن قصة يعقوب وعيسو لا تعكس العلاقات في عصر الملكية؛ لذلك يزعم جونكل أن هذه القصة تبدو أقدم بكثير، قصة ظهرت قبل عصر الاستيطان.

**وأنت عثرت على الرابط الآن ...**

الآن أقول: صدقت يا جونقل! أحسنت يا جونقل! وها أنا أشير إلى نص مصري يمكننا أن نستنتج منه أن تقارب الجوار هذا الذي أصبح على ما يبدو مركزا للكراهية والعداء أصله في حقيقة الأمر ما قبل عصر الاستيطان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد[1]. فيعقوبئيل، يعقوب، محاطون بالأدوميين من جميع النواحي. لدينا هنا تقارب كبير ملموس وجوار شديد بين جماعة الأدوميين الأكثرية القوية، وجماعة الأقلية ليعقوبئيل. لكن يبدو أنه لم يكن هناك حسن جوار دائم؛ لذلك ظهرت الكراهية والعداء.

**أمر مثير للاهتمام للغاية. نظريتك هذه مثيرة جدا للاهتمام ...**

أجل، وفي رأيي إنه في اللحظة التي أستطيع أن أظهر فيها ذلك وأؤيد نظرية جونكل حول هذه النقطة؛ يجب أن أطرح سؤالا على نفسي وأقول: لحظة! إن كان جونكل محقا بخصوص قصة يعقوب وعيسو فمن الممكن أن تكون هناك أيضا أسس أخرى في قصص الآباء لا توافق عصر الملكية وربما تعود هي أيضا إلى الفترات القديمة جدا.

قصة آرام، لابان الآرامي على سبيل المثال. لماذا الآراميون على وجه التحديد، باستثناء الأدوميين، هم الأقرب لنا؟ صحيح أن إبراهيم من آرام النهرين والأمهات ساره ورفقه وراحيل وليئه جئن من هناك .

**إذا كنت تذكر النساء، فقد لاحظت ظاهرة مثيرة للاهتمام: أنهن يحملن أسماء حيوانات الرعي – رفقه هي العجل المفطوم، وليئه البقرة باللغة الأكدية، وراحيل تعني نعجة ...**

---

[1] يبدو هنا تناقض في الإطار الزمنى في الربط للأحداث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد لأنه يتناقض مع الوجود الإداري والعسكري للإمبراطورية المصرية علي الأقل لنهاية عصر رمسيس الثالث.

أجل، هذا أمر مثير، وسنتناول ذلك لاحقا. مرة أخرى، كيف يوصف الرجال في آرام؟ رعاة أغنام وسكان خيام. ويوصفون كذلك في آرام النهرين كرحل. وإذا نظرنا في هذه النقطة أيضا إلى تاريخ عصر الملكية، سنجد أن آرام عدو سيء ولدود لإسرائيل في معظم عصر الملكية. وفي عام ٧٣٢ قبل الميلاد يحتل الأشوريون مملكة آرام وتنهار. ومرة أخرى يطرح السؤال:

إذا كانت آرام عدوا لدودا لإسرائيل، فلماذا هذا التقارب الكبير في سفر التكوين؟ كيف يمكن فهم ذلك؟ وما خلفيته؟ إن كل المحاولات التي قام بها باحثون مختلفون من أجل تفسير سبب تطرق سفر التكوين إلى الآراميين بهذا الشكل غير مقنعة. ولم يظهر تفسير واحد مقنع حتى الآن. وأنا هنا أتبع جونكل – وسنسهب في ذلك في الحوار التالي – وأعتقد بوجود حقيقة تاريخية قديمة هنا أيضا تعود إلى واقع ما قبل الاستيطان. وأرى ضرورة البحث في الجزء "الآرامي" من القصة، عن ما حدث في عصر ما قبل الاستيطان، وسيكون الحل هناك حتما.

الحوار الرابع

# إلى أين هرب يعقوب ولماذا اختير إسرائيل؟

**بروفسور! لقد أمعنت النظر فيما تحدثنا عنه في اللقاء الأخير وضروري أن أذكر أنه قد خطر ببالي بعض التساؤلات حتى فيما يخص الاكتشاف المهم الذي قمت به بخصوص اسم يعقوبئيل الموجود في قوائم رمسيس الثاني؛ ووجدت أنه يسبقه ويتبعه اسم الإله الأدومي "قوس"[1]. بداية، أريد القول: إننا نعلم أن البينة على من ادعى. يمكننا القول إن جونكل الذي تحدثنا عنه في اللقاء السابق وباحثون في نقد العهد القديم يريد إخراج قصة العهد القديم، ، عن إطار الحقيقة وتسميتها أساطير شعبية، ميثولوجيا أو رواية. وهنا أسأل: من الجائز أن تكون قصة ترحال إبراهيم قد حدثت في الحقيقة. ورغم أن مسافة السير كانت طويلة حقا، حوالي ٢٥٠٠ كم كما فحصتها في الخرائط، إلا أنه في تاريخ الشعوب وبالطبع في فترة ما قبل التاريخ، ارتحلت الجماعات مسافات أكبر بكثير. وأنا لا أجادل هنا إن كانت أور في جنوب بلاد الرافدين أو الرها[2] بجوار حاران، على أي حال فهذه الرحلة ممكنة حتى وإن استغرقت سنوات طويلة فهي ممكنة. والترحال لنفس السبب الذي ارتحلت بسببه كل العشائر في هذا العصر، بسبب الوضع الاقتصادي والاجتماعي أمر ممكن. إذن، لماذا القول إن "هذه أساطير"، وإن هذه "حكاية" مثلما**

---

[1] يجب الحذر أيضا هنا من ربط المؤلف بين اسم قوس كمعبود أدومي تال زمنيا لفترة رعمسيس الثاني واسم يعقوبئيل.

[2] بالسريانية: ܐܘܪܗܝ مدينة سريانية تاريخية في الجزيرة الفراتية ،عرفت لاحقا في العصور الكلاسيكية باسمها الإغريقي **إديسا** وهي اليوم مدينة أورفة في تركيا.

**نحاول أن نفعل مع يعقوب؟ والبيِّنة على من ادعى على من يريد قول إن المكتوب في التوراة غير صحيح؟**

أود التدقيق في البداية في كلام جونكل. فموقف جونكل مختلف تماما عن موقف التقليليين، ذلك المعسكر من الباحثين المعاصرين الذين ينكرون تماما وجود أي قيمة تاريخية في قصص العهد القديم. أما جونكل فيقول على العكس شيئا مختلفا تماما عن موقف التقليليين الذين يقولون إن جميع القصص قد دُونت في المنفى في بابل أو بعده، ذلك عندما استقر اليهود هناك وسجلوا في قصصهم الأسماء التي عرفوها هناك – إبراهيم وتارح وناحور. وفي المقابل يعود جونكل إلى فترة قديمة جدا ويقول إن لدينا هنا في قصص الآباء المذكورة في سفر التكوين، رواسب فترة أقدم بكثير، و ليس من القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد كما يقول التقليليون، ويقول بأن نواة قصص سفر التكوين تم وضعها حتى قبل عصر الاستيطان في كنعان، قبل عام ١٢٠٠ قبل الميلاد. أي قبل سبعمائة أو ثمانمائة سنة من الوقت الذي يحدده التقليليون. وهذه القصص راسخة في واقع إسرائيل قبل عصر الاستيطان، إسرائيل الأقدم بكثير. والصراعات ليست بين جماعات قومية مثل بني يعقوبئيل في مقابل الأدوميين عابدي الإله "قوس"، لكنها توصف بتوترات في داخل نواة السلالة الواحدة. فالأشقاء، التوأمان يعقوب وعيسو يتنافسان على حب أبيهما إسحق وعلى البكورة والبركة.

وعندما تحكى القصص عن شخصية إبراهيم أو إسحق أو يعقوب فإننا لسنا في حاجة لقبول ذلك على أساس أنها معلومات شخصية عن شخص مجهول ترك هذا المكان وتوجه إلى مكان آخر، لكن كنوع من الوصف التاريخي لترحال مجموعة معينة كونت فيما بعد بني إسرائيل.

وإن كنت تسألني هل كان هناك شخص اسمه إبراهيم؟ فهناك أسماء شبيهة لهذا الاسم موجودة في منطقتنا منذ آلاف السنين.

**عثروا في نصوص إبلا (تل مرديخ)[1] على الاسم أبرام (إبراهيم).**

صحيح، صحيح. لكن هذه مدينة اكتشفتها في سوريا، غير بعيد عن مدينة حلب في سبعينيات القرن الماض، بعثة أثرية إيطالية. وكانت مفاجئة كبيرة. مدينة كبيرة بجوار حلب من أواخر الألف الثالث قبل الميلاد استمرت حتى الألفية الثانية ويبدو أن الحيثيين[2] دمروها. عثر في إبلا على نصوص قيمة جدا ونجد من بين الأسماء التي ظهرت هناك أسماء مثل: إبراهيم وداود وأسماء أخرى كإسماعيل. لذلك كانت العناوين مزلزلة جدا عندما عرضت هذه الاكتشافات على الجمهور.

إذن، فالاسم إبراهيم أو أبرام موجود هناك في دويلة المدينة "إبلا"، كما تم العثور عليه في أماكن أخرى كثيرة. وهذا الاسم مكو ِنيه هما: "أب" و"رام" وهما شائعان للغاية في اللغات السامية التي تم الحديث بها في هذه المنطقة؛ لذلك فهو اسم أصيل للغاية.

وكما أسلفت فإن ا سم يعقوبئيل موجود أيضا في أماكن مختلفة. مما يعني الافتراض بأن شخصا اسمه أبرام أو مجهول اسمه يعقوبئيل، سافر من أرض الرافدين جنوبا في ظروف تاريخية معينة. وهذا ممكن بالطبع.

**تحدثنا في اللقاء السابق عن الروايات المتواترة شفاهة واعتمدنا على المشنا كدليل على تواتر مثل هذه الروايات على مر مئات السنين؛ فهل من الممكن**

---

[1] مجموعة من نحو ١٨٠٠ لوح طيني كامل و ٤٧٠٠ لوح مكسور وعدة آلاف من الشظايا الأصغر عثر عليها في أرشيف قصر مدينة إبلا القديمة في سوريا.

[2] حضارة بلاد الرافدين في العصر البابلي الوسيط

**فعلا أن يكون إبراهيم الذي نسميه أبونا إبراهيم شخصية حقيقية تخلت عن الوثنية واكتشفت الإله الواحد مثلما تحكي التوراة؟**

هنا أود التدخل، ففي اللحظة التي قلت فيها هذا الكلام أود التدخل والقول إن صورة إبراهيم كمن تخلى عن الوثنية واكتشف الإيمان بإله واحد؛ صورة غير موجودة في التوراة. أي إذا قرأت سفر التكوين لن تجد أن تارح كان يعبد الأوثان وأن إبراهيم هو مبتكر التوحيد. فهذا غير موجود تماما في قصة سفر التكوين. وعندما تقرأ التوراة وتسأل نفسك، لماذا اصطفى الله إبراهيم من جميع البشر سنجد أن اختيار إبراهيم جاء بعد قصة برج بابل؛ قصة الفصل بين الأمم. فقبلها تحدث الرب مع جميع البشر وقطع معهم عهدا، وفجأة يقرر التركيز على شخص واحد وعشيرة واحدة وجماعة واحدة وتسأل نفسك لماذا هذا الشخص على وجه التحديد؟ ولا يقدم سفر التكوين إجابة عن ذلك. وسفر التثنية الذي يتخبط هو أيضا في هذه المسألة ..

**عذرا للمقاطعة، لكن سفر التكوين يساعدني بعض الشيء. فإذا قلت شخص أن يضحي بابنه وهو مستعد للتضحية به ...**

حدث هذا بعدها، لكن عندما يظهر ويقول له: اذهب! فليس لذلك أي خلفية. فلم يذكر أن تارح كان يعبد الأوثان وأن إبراهيم حطم الأوثان. بعدها فقط برهن إبراهيم على إيمانه بالرب. لكن عندما تجلى له الرب أول مرة وقال له "اذهب!"، لا يسبق ذلك أي عمل يدل على اكتشاف إبراهيم للإله الواحد. سأقرأ لك شيئا من سفر التثنية الإصحاح العاشر العبارات ١٤-١٥: "הֵן לַיהוָה אֱלֹהֶיךָ, הַשָּׁמַיִם וּשְׁמֵי הַשָּׁמָיִם, הָאָרֶץ, וְכָל-אֲשֶׁר-בָּהּ. רַק בַּאֲבֹתֶיךָ חָשַׁק יְהוָה, לְאַהֲבָה אוֹתָם; וַיִּבְחַר בְּזַרְעָם אַחֲרֵיהֶם, בָּכֶם מִכָּל-הָעַמִּים--כַּיּוֹם הַזֶּה -هو ذا الرب إلهك السماوات وسماء السماوات والأرض وكل ما فيها. ولكن الرب إنما

التصق[1] بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم". ماذا تقول هذه العبارة؟ إن الله يسيطر على السماوات وسماوات السماوات والأرض وكل ما فيها. إن كل شيء له فهو المهيمن على البشرية. لكن ماذا؟ آباؤك فقط أراد الرب حبهم واختار نسلهم من بعدهم، الذي هو أنتم، من بين كل الشعوب. لماذا اختاركم أنتم؟ لقد عشقكم، ومن معاني كلمة (חשק) الـ عشق في التوراة الحب الشهواني بين الرجل والمرأة.

وهكذا عشق شكيم بن حامور دينة. ويتطرق قانون الحرب في سفر التثنية إلى الأسيرة الجميلة التي يشتهيها المحارب الإسرائيلي (التكوين ٣٤: ٨، التثنية ٢١: ١١). ونجد في موضع آخر في سفر التثنية (٧:٧) صياغة مشابهة: "לֹא מֵרֻבְּכֶם מִכָּל-הָעַמִּים, חָשַׁק יְהוָה בָּכֶם-וַיִּבְחַר בָּכֶם: כִּי-אַתֶּם הַמְעַט, מִכָּל-הָעַמִּים - ليس من كونكم أكثر من سائر الشعب التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب". أي أن اختيار إسرائيل لم يكن من منطلق تفكير عقلاني للرب، فلم يقل في نفسه سأبحث لي عن شعب كبير يحمل بشارتي وينشرها. فإن كان قد بحث عن شعب كبير لاختار المصريين أو البابليين أو الأشوريين الذين هم شعوبا كبيرة. فلماذا أخذ هذا الشعب الصغير – إسرائيل؟ لأنه أحبه وعشقه. لا تسأل عن الحب فالحب هو مشاعر غير عقلانية.

لكن اليهود في فترة الهيكل الثاني كانت لديهم مشكلة في هذا الخصوص وقالوا: ماذا يجرى؟ اختار إبراهيم هكذا؟ لذلك توجد في سفر اليوبيلات[2]،

---

[1] اللفظ العبري חשק يعني عشق أو اشتهى، لكن كلمة التصق كما وردت في : الكتاب المقدس، عبري – عربي، دار الكتاب المقدس، ٢٠١١.

[2] يسمى أحيانا **سفر التكوين الصغير** يعتبره أغلب البروتستانت والرومان الكاثوليك والأرثوذكس الشرقيين كتابا مزورا. يعتبر الكتاب من الكتب المقدسة القانونية لدى الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية والتي تسميه كتاب القسمة. والكتاب حسب الآراء

الذي يعد سفرا وضعته الدوائر المقربة من طائفة القمران، ويوجد بالفعل جزء من نصه الأصلي في اللفائف التي اكتشفت في مغارات القمران بجوار البحر الميت، وفيه رواية أولية لقصة مختلفة تماما عن اختيار إبراهيم وهي القصة المعروفة عن تارح أنه كان عابد أوثان، وعن ولده إبراهيم الذي حطم التماثيل. ورويت القصة التي نعرفها من المدراش[1] بطريقة مختلفة بعض الشيء لكن الأساس واحد. فقد كان إبراهيم متمردا على الوثنية، مثلما قلت، ومستحدثا لعقيدة الإيمان بالإله الواحد. وهو ما لم يظهر أو يرد في سفر التكوين.

**فيما يخص ما تناولناه في اللقاء السابق، بخصوص يعقوبئيل، شاهدنا أن هذا الاسم قد ظهر في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ثم نجد الاسم يعقوبئيل أيضا عند تحتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكذلك عند رمسيس الثاني؛ بناء عليه تعد مزاعم جنوكل صحيحة، وأن هناك حقا خلفية أقدم بكثير لقصص الآباء. اسمح لي فقط بسؤال: ها نحن نتحدث عن الاستيطان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتحدثنا كذلك عن طبيعة البناء في مستوطناتهم وعن القدور الخاصة بهم، وكذلك عن عدم وجود عظام خنازير لديهم. إذن، من تكون هذه الطائفة؟**

إن اكتشافي عن يعقوبئيل في أرض أدوم يسمح في رأيي بوجود وجهة نظر جديدة عن كل مسألة بداية بني إسرائيل. فلدينا معطيات مهمة جدا الآن، لم التفت إليها أنا فقط بل كل الباحثين من قبلي؛ حيث لم يلحظوا يعقوبئيل الساكن في أرض أدوم في عصر رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

---

الأكاديمية الحديثة إعادة كتابة لسفري التكوين والخروج في ضوء رؤى بعض يهود القرن الثاني قبل الميلاد.

[1] من تفاسير العهد القديم. كما يتطرق إلى التفاسير الخاصة بالشريعة والقصص.

أعتقد أنه من الممكن بعد هذا الاكتشاف إعادة دراسة الإشارة الأقدم للاسم "يعقوبئيل" في قوائم تحتمس الجغرافية من مصر. يظهر "يعقوبئيل" كما ذكرنا في قائمة تحتمس الثالث الذي تواجد على أرض كنعان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. لكني أود أن أشير أولا إلى ظهور أسماء معينة مثل أبرام وإبراهيم وهي أسماء قديمة جدا كما ذكرنا. فهي تظهر كما أشرنا، في إبلا في القرن الثالث قبل الميلاد. ويظهر الاسم يعقوبئيل أيضا في بلاد الرافدين في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد كأسماء شخصية.

غير إني أود التركيز على اسم يعقوبئيل الذي يظهر في قوائم الحملات المصرية. حيث تشير الأسماء في قوائم الحملات إلى مستوطنة أو جماعة. ولا نتحدث هنا عن شخص فرد اسمه إبراهيم أو اسما مشابها، أو عن شخص يدعونه يعقوبئيل أو اسما مشابها له؛ نحن نتحدث عن مكان أو مجموعة بهذا الاسم. مجموعة تسكن في مكان ما يمكن أن يسمى هذا المكان على اسمه. أي أنه على عكس المادة الموجودة في بلاد الرافدين؛ حيث إن اسم يعقوبئيل هناك هو اسم شخص، فالاسم في المادة المصرية يشير إلى جماعة أو مكان. ومن الممكن أن يتطرق الاسم يعقوبئيل في سياق القوائم المصرية إلى عنصر معين في المجتمع، أو إلى جماعة معينة اتخذت لنفسها هذا الاسم. هكذا نقترب إلى ما هو مذكور في العهد القديم؛ حيث إن اسم "يعقوب" أو "إسرائيل" هو اسم علم وجماعة والشعب عموما في آن واحد. لهذا السبب أنا أبحث عن أي إشارات في اتجاه المجموعة.

**إن كان الأمر كذلك، فإن الفرعون مرنبتاح ابن رمسيس الثاني الذي يعتقد كثير من الباحثين أنه كان الفرعون الذي استعبد بني إسرائيل في مصر، قد عثر على هذه الجماعة في وصفه لأحداث حروبه في كنعان "إسرائيل أبيد ولا نسل له ..."**

كان مرنبتاح هو أول من ذكر إسرائيل كجماعة[1]، لكن لننظر قبلها إلى الفترة التي ...

**قبله.**

أجل. يعود لوح مرنبتاح الذي به أقدم إشارة إلى إسرائيل إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، في حوالي عام ١٢١٠ قبل الميلاد. وسنناقش هذ اللوح لاحقا، وأين اكتشف، وما مكتوب فيه، وما أهميته؟

تحدثنا في اللقاء السابق عن قوائم حملة رمسيس الثاني والد مرنبتاح. ورمسيس الثاني بالمناسبة – مثل الملكة إلزابيث الثانية في إنجلترا اليوم – عاش طويلا ومات في سن تعدى التسعين وكل ورثته من أبنائه الكبار الذين انتظروا ... كما تعلم – مثل الأمير تشارلز – وراثة الأب ..

**ماتوا قبله ...**

وعندما خلى مكانه أخيرا ورثه ابنه الثالث عشر مرنبتاح الذي كان أكبر من تبقى من أبنائه. وكان حينها في الستين من عمره وحكم حوالي عشر سنوات. لم يكن مرنبتاح فرعونا مهما في حد ذاته، لكنه مهم بالنسبة لنا لأنه ذكر أنه حاربنا[2].

---

[1] اللافت للنظر في النص المصري القديم المدون بالهيروغليفية علي مايسمي اصطلاح لوح اسرائيل الاشارة الي هذا الاسم الغير مكتمل كتابته علي اللوحة (مهشم جزئيا) إنه بمخصص البشر وليس مخصص الأرض دلالة في اللغة المصرية القديمة علي ان تلك المجموعة متنقلة وليس لها مكان إقامة محدد مما يرجح معه أن تكون مرحلة الخروج اليهودي من مصر في عهد رمسيس الثاني والتيه أو الحركة عبر شبه جزيرة سيناء عقوبة من الرب لمخالفتهم تعاليم موسي عليه السلام تم في عهد مرنبتاح.

[2] يجب النظر الي ذلك التعبير بحذر وفقا لما سبق الاشارة إليه في ملاحظة سابقة من أن تلك المجموعات البشرية التى خرجت من مصر بقيادة موسي عليه السلام لم تصل بعد إلى ارض فلسطين.

كما وقعت بعض الأحداث المهمة في عصره؛ لذلك سنتحدث عنه فيما بعد باستفاضة.

لكني أود الآن الرجوع بالزمن إلى الوراء والوصول إلى أول ذكر ليعقوبئيل في النصوص المصرية ؛ حيث ظهر كما ذكرنا مرتبطا بالحملة الحربية الكبيرة التي تحدثنا عنها؛ حملة تحتمس الثالث الحربية. وكان تحتمس الثالث قد جلس على العرش في سن صغيرة جدا، ونظرا لصغر سنه تم تعيين امرأة تدعى حتشسبوت وهي زوجة أبيه كوصية على العرش لكنها أخذت الملك لنفسها فيما بعد. استولت امرأة على عرش الفراعنة وجلست عليه فترة ليست بالقصيرة، وكانت تصور في تماثيلها أحيانا على هيئة رجل بلحية؛ لأنه كان عليها أن تقدم نفسها كرجل لتصبح جديرة بالجلوس على عرش الفراعنة.

لكن بعد أن كبر تحتمس الثالث ونجح في السيطرة على الحكم أصبح ملكا رائعا: فبنى كثيرا وحارب كثيرا وأصبح الشخص الذي أدى إلى استقرار الحكم المصري في كنعان؛ حيث استقر الحكم المصري في كنعان في عصره في حوالي ١٤٧٥ قبل الميلاد، وكنت لأقول إنه صمد حتى عام ١١٥٠ قبل الميلاد تقريبا أي لمدة ثلاثمائة سنة. وكانت معركة تحتمس الثالث الكبرى هي معركة مجدو كما ذكرنا وهناك وصف كامل لها ...

**على جدران المعبد في الكرنك ...**

أجل، في الكرنك، ويعد هذا أول وصف لمعركة في التاريخ فليس لدينا قبل ذلك وصف مفصل لمعركة بهذه الدرجة. فهناك وصف الممرات المختلفة في سلسلة جبال الكرمل التي من الممكن الوصول عبرها من وادي الخليل إلى وادي يزرعئيل. وهنا يطرح سؤال نفسه: أين يعبر، ومن أين يهاجم؟ يقوم تحتمس بمفاجئة الكنعانيين وهو يعبر ممر عارونا تحديدا، فهم لم ينتظروه هناك. لم

يكن النصر في مجدو مجرد انتصار على ملك مجدو لكن على تحالف كبير من الملوك الكنعانيين الذين استعانوا أيضا بملك مدينة قادش الواقعة عند نهر العاصي بسوريا. ويخضع تحتمس هذا التحالف في منطقة مدينة مجدو عند وادي يزرعئيل.

ثم استمر بعدها واستولى على مدن في الجليل وفي شرق الأردن، كما وصل أيضا إلى جنوب سوريا ولبنان واحتل أراضى هناك. وفي هذا السياق يتم ذكر مركزين متجاورين لتجمعات بشرية "يعقوبئيل" و"حلقر". وكما ذكرت فقد ذكر الباحث نداف نئمان – ووافقه آخرون – أن المدينة تقع في حوران، جنوب غربي سوريا، بجوار الحدود مع إسرائيل شرقي هضبة الجولان. أي أنه في عصر تحتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، كان هناك مكان اسمه يعقوبئيل في منطقة حوران أو بجوارها. وعلى الأطراف الشرقية لحوران توجد منطقة تصلح لرعي الأغنام، وهي على ما يبدو مكان مستوطنة يعقوبئيل في عصر تحتمس الثالث.

**إذن، ماذا يعني لنا وجود اسم يعقوبئيل في هذا المكان؟ وسؤال آخر: هل هذا الاسم موجود في أماكن أخرى؟**

ويوجد الاسم يعقوبئيل كما ذكرنا كاسم علم، وكذلك في نصوص بلاد الرافدين. ولقد تناولنا بإسهاب في حوارنا السابق ذكر هذا الاسم في قائمة رمسيس الثاني؛ حيث ورد ذكر جماعة استقرت في قلب أرض أدوم. لكن ماذا يستنتج من ذكر اسم يعقوبئيل عند تحتمس الثالث، قبل رمسيس الثاني بمائتي سنة؟ هناك تحديدا على أطراف سوريا، على الحدود الصحراء السورية الكبرى يظهر الاسم يعقوبئيل. وهي في حقيقة الأمر الصحراء السورية العربية الممتدة حتى المملكة العربية السعودية.

أود مناقشة العلاقة بين يعقوبئيل وموقعها الجغرافي وبين أسماء أماكن إقامة الآباء المذكورين في سفر التكوين (وكذلك سفر هوشع). يبرز في الروايات عن إبراهيم ويعقوب اسم مدينة حاران، أطلالها اليوم كما أشرنا في حوران جنوبي شرق تركيا. (ورغم الشبه الصوتي للأسماء إلا أنه لا يجب الخلط بين مدينة حاران التي تقع جنوبي تركيا وبين منطقة حوران التي تقع جنوبا أكثر، جنوبي سوريا، بالقرب من الحدود بين سوريا وفلسطين. لقد ورد الاسم "فدان آرام" في المصدر الكهنوتي، وسكن إبراهيم ولابان الآرامي بحسب هذا المصدر في أماكن مختلفة: إبراهيم خرج من حاران إلى كنعان (سفر التكوين ١٢: ٥)؛ أما بتوئيل ولابان ابنه فقد سكنا في فدان آرام (سفر التكوين ٢٥: ٢٠، ٢٨: ٢). وبالمقابلة اللغوية بين اللغة الآرامية واللغة العربية يتضح أن معنى الاسم "فدان آرام" هو "صحراء آرام". ويظهر هذا الاسم الجغرافي في سفر التكوين في سياق هروب يعقوب وعمله في بيت لابان (هوشع ١٢: ١٣): "וַיִּבְרַח יַעֲקֹב, שְׂדֵה אֲרָם; וַיַּעֲבֹד יִשְׂרָאֵל בְּאִשָּׁה, וּבְאִשָּׁה שָׁמָר - وهرب يعقوب إلى صحراء آرام، وخدم إسرائيل لأجل امرأة، ولأجل امرأة رعي". وفي المقابل يذكر المصدر J الذي هو كما ذكرنا مصدرا جنوبيا من أرض يهوذا، أن بيت لابان كان موجودا في مدينة حاران (التكوين ٢٩: ٤-٥) التي كانت تقع كما ذكرنا ليس في آرام، سوريا اليوم، لكن شمالها، جنوب شرقي تركيا.

لكن بعد وصف حلم يعقوب في بيت إيل تظهر فقرة تعرض وجهة رحلته بشكل مختلف تماما:

"וַיִּשָּׂא יַעֲקֹב, רַגְלָיו; וַיֵּלֶךְ, אַרְצָה בְנֵי-קֶדֶם - ثم رفع يعقوب رجليه وذهب إلى أرض بني المشرق" (سفر التكوين ٢٩: ١). أرض بني المشرق، وليس فدان آرام أو حاران لكن أرض بني المشرق. قال أوجسط ديلمان العالم الألماني الباحث في مجال دراسات العهد القديم والذي وضع تفسيرا مهما للتوراة؛ قال في تفسيره لهذه الفقرة بوجود صوتٍ ثالث: كان هناك المصدر الكهنوتي الذي قال إن

يعقوب ذهب إلى "فدان آرام"؛ وإلى جانبه صوت المصدر "J" (اليهودي) الذي قال حاران؛ والصوت الثالث جاء وقال إن وجهة رحلة يعقوب كانت "أرض بني المشرق". فمن يقف وراء الصوت الثالث؟ يعتقد ديلمان أن الصوت الثالث هو صوت المصدر "E" (الإلوهيمي) المصدر الشمالي الذي تم تدوينه في مملكة إسرائيل.

**وماذا تكون أرض بني المشرق؟**

هذا سؤال جيد. ما هي أرض بني المشرق؟ هل يمكننا ربطها بحاران؟ في ضوء ظهور بني المشرق في العهد القديم أجيبك بكلا البتة!

**الآن أنا متحمس لمعرفة ما هي أرض بني المشرق ...**

أولا؛ من هم بنو المشرق؟ نحن نقابل بني المشرق في مختلف المناسبات. مثال على ذلك عندما يتحدثون عن إبراهيم الذي اتخذ له زوجة أخرى في شيخوخته بعد موت سارة ، وهي امرأة غامضة لا نعرف عنها شيئا تقريبا: "וַיֹּסֶף אַבְרָהָם וַיִּקַּח אִשָּׁה, וּשְׁמָהּ קְטוּרָה וַתֵּלֶד לוֹ, אֶת-זִמְרָן וְאֶת-יָקְשָׁן, וְאֶת-מְדָן ... וְיָקְשָׁן יָלַד, אֶת-שְׁבָא וְאֶת-דְּדָן - وعاد إبراهيم فاتخذ زوجة اسمها قطورة. فولدت له: زمران ويقشان ومدينان ... وولد يقشان: شبا وددان." (سفر التكوين ٢٥: ١)

معظم هذه الأسماء معروفة في شبه الجزيرة العربية. ومن هنا ارتبط اسم"قطورة" بالبخور على ما يبدو؛ حيث إن النباتات النادرة والثمينة التي كان يستخرج منها البخور كانت تجلب من شبه الجزيرة العربية.

وذكر كذلك: "וַיִּתֵּן אַבְרָהָם אֶת-כָּל-אֲשֶׁר-לוֹ, לְיִצְחָק. וְלִבְנֵי הַפִּילַגְשִׁים אֲשֶׁר לְאַבְרָהָם, נָתַן אַבְרָהָם מַתָּנֹת; וַיְשַׁלְּחֵם מֵעַל יִצְחָק בְּנוֹ, בְּעוֹדֶנּוּ חַי, קֵדְמָה, אֶל-אֶרֶץ קֶדֶם - وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له. وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقا إلى أرض المشرق، وهو بعد حي (التكوين ٢٥: ٥-٦).

إن كان الأمر كذلك فقد اتجه نسل قطورة زوجة إبراهيم "شرقا إلى أرض المشرق". أي إلى أرض الصحراء الشرقية، الصحراء العربية[1]. وهناك قصة أخرى ذكر فيها أهل مديان وبني المشرق وهي قصة حرب جدعون. فقد غزا المديانيون والعمالقة وأبناء المشرق أرضا تقع في نطاق بني إسرائيل ونهبوا محاصيل الفلاحين (سفر القضاة ٦: ٣-٥).

## تحالف جنوبي

أجل، تحالف من ( بدو / رحل الصحراء) من بعض ممالك شبه الجزيرة العربية. تحالف لم يأت من الجنوب فقط لكن من الشرق أيضا. لأن معركة جدعون وقعت في منطقة عين جالوت في وادي يزرعئيل ومكتوب بعدها أن جدعون انتقل إلى الأردن وطاردهم إلى شرقه. وتذكر نهاية القصة أن جدعون خرج في مطاردة أخرى لملوك مديان: زباح وصلمناع: "וְזֶבַח וְצַלְמֻנָּע בַּקַּרְקֹר ... וַיַּעַל גִּדְעוֹן, דֶּרֶךְ הַשְּׁכוּנֵי בָאֳהָלִים ... וַיַּךְ, אֶת-הַמַּחֲנֶה - وكان زباح وصلمناع في قرقر... وصعد جدعون في طريق ساكني الخيام ... وضرب الجيش"[2] (القضاة ٨: ١٠-١١)

طارد جدعون أعداءه بني المشرق عبر الرحل ساكني الخيام ووصل في نهاية الأمر إلى مكان يسمى "قرقر". ويحدد باحثون كثيرون موقع "قرقر" في وادي السرحان. ووادي السرحان هو وادٍ يخرج من شبه الجزيرة العربية، من السعودية، ويستمر في الصحراء من شرقي عمون ومؤاب أي في المنطقة الصحراوية حتى شرق المملكة الأردنية حاليا. وفي وادي السرحان ينابيع مياه

---

[1] في ربط بين التقسيمات الكلاسكية لجغرافية الشرق الأدنى القديم من إطلاق الصحراء العربية علي معظم شبه الجزيرة العربية والامتداد حتى إلي الصحراء شرق نهر النيل بينما أطلقت تسمية الصحراء الليبية علي كل مايقغ غرب نهر النيل وما يليه في شمال أفريقيا.

[2] في النص العبري يذكر أن الفقرة في سفر القضاة ٨: ١١، لكنها ١٠-١١. المترجم

لذلك كان يمر فيه طريق قديم. وهناك كان طريق قوافل تلك القبائل الصحروایة – أبناء المشرق.

ذكر بنو المشرق في سفر حزقيال أيضا؛ حيث تنبأ حزقيال بخراب مملكة عمون: وتوقع أن يأتي بنو المشرق إليها ويحتلوها ويحولوا عاصمتها عمان إلى مناخا للإبل ومربضا للغنم (حزقيال ٢٥: ١-٥). أي أن بني المشرق هم قبائل الرحل رعاة الأغنام وراكبي الإبل الذين يسكنون شرقي عمون في المنطقة الصحروایة شرقي المنطقة الجبلية في المملكة الأردنية اليوم.

يقع الطرف الجنوبي للمنطقة الصحراوية شرقي القطاع الجبلي في شرق الأردن في المملكة العربية السعودية ويمتد شمالا عبر شرقي المملكة الأردنية. والطرف الشمالي لهذه الصحراء التي يطلق عليها العهد القديم "أرض بني المشرق" موجودة في داخل أراضي جنوب سوريا في منطقة حوران. وفي العصور المختلفة كان هناك تواصل جغرافي وثقافي وتجاري بين أجزاء "أرض بني المشرق" فقد شيد النبطيون على سبيل المثال مملكتهم في هذه المنطقة وسيطروا على كل المنطقة الممتدة من شمال شبه الجزيرة العربية عبر البتراء في أرض أدوم وحتى حوران.

إذن، يقع أقصى الشمال في أرض بني المشرق في منطقة حوران، جنوبي سوريا، جنوب شرق دمشق.

لذلك عندما يذكر سفر التكوين ٢٩: ١ أن يعقوب ذهب إلى "أرض بني المشرق" علينا التفكير في منطقة ما في المنطقة الممتدة من شمال شبه الجزيرة العربية وحتى حوران جنوب سوريا. ومدينة حاران كما ذكرنا التي يذكرها المصدر "J" (اليهوي) كوجهة رحلة يعقوب ليست في أرض بني المشرق؛ لكنها موجودة أكثر شمالا من ذلك المكان ليس في جنوب سوريا لكن في جنوب تركيا اليوم.

لكن المصدر الكهنوتي يستخدم كما ذكرت مصطلحا آخر فيما يخص وجهة رحلة يعقوب – ليس حاران لكن "فدان آرام"، ولقد فسرنا هذا المصطلح من قبل بـ"صحراء آرام" وذكرنا أن وجهة رحلة يعقوب توصف في سفر هوشع بهذا الاسم. "וַיִּבְרַח יַעֲקֹב, שְׂדֵה אֲרָם - وهرب يعقوب إلى صحراء آرام" (هوشع ١٢: ١٣). فهل المصطلحان الجغرافيان "أرض بني المشرق" و"فدان آرام" أو "صحراء آرام" يمكن دمجها معا؟ هذه مصطلحات مختلفة بشكل عام؛ فأرض "بني المشرق" هي مكان رحل الصحراء من جنوب وشرق أرض كنعان، أما "فدان آرام" أو "صحراء آرام" هي منطقة في داخل حكم الآراميين، أي شمال شرقي أرض كنعان. لكن هناك منطقة واحدة من الممكن أن يكون هناك تماس فيها بين هذين المصطلحين الجغرافيين.

يقع أيضا الطرف الجنوبي لـ"آرام" منطقة حوران في داخل "آرام" وفي داخل الطرف الشمالي لـ"أرض بني المشرق" في نفس الوقت؛ حيث تبدأ "أرض بني المشرق" كما ذكرنا في شبه الجزيرة العربية وتمتد عبر الصحراء الأردنية وتصل حتى هناك، حتى حوران.

**إذن، فإننا نجد بعض التماس البسيط ...**

بالفعل تماس بسيط في منطقة حوران؛ حيث هناك تماس بسيط بين المنطقتين وبين التعريفين. فحوران موجودة في نفس الوقت في صحراء آرام أو فدان آرام، وكذلك في داخل أرض بني المشرق. إذن من الممكن أن تتماشى شهادة المصدر الكهنوتي وسفر هوشع التي تقول بأن يعقوب ذهب إلى صحراء آرام أو إلى "فدان آرام"، مع الفقرة الواردة في المصدر E (الإلوهيمي) التي تقول بأن يعقوب توجه إلى "أرض بني المشرق" (سفر التكوين ٢٥: ١). ذلك بافتراض أن وجهة رحلة يعقوب كانت في حوران. وهنا بالضبط في هذا المكان في حوران يظهر الاسم يعقوبئيل في قائمة تحتمس الثالث!

**ذلك مثير**

يظهر اسم "يعقوبئيل كإسم مكان أو مجموعة من الناس"، في أقدم توثيق لدينا؛ في منطقة حوران، وهي المنطقة الوحيدة كما ذكرنا التي يمكن أن تتوافق مع وصف وجهة رحلة يعقوب – "أرض بني المشرق" و"صحراء آرام" أو "فدان آرام".

إذن، أود أن أقول أن رواية العهد القديم عن يعقوب الذي يسكن في "أرض بني المشرق" أو في "فدان آرام"-"صحراء آرام" هي انعكاس لوجود جماعة باسم "يعقوبئيل" في حوران. وتم توثيق هذا الوجود لأول مرة في عهد تحتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد عندما احتل أرض كنعان.

**إذا كان الأمر كذلك، فيمكن القول إنه من الممكن العثور على بداية بني إسرائيل في هذه المنطقة.**

أجل.

**جزء مما أصبح فيما بعد "الإسرائيلين".**

صحيح. سأفصّل أكثر: لقد عثرنا في المصادر المصرية على جماعتين باسم "يعقوبئيل": واحدة في منطقة حوران في الطرف الجنوبي لـ"صحراء آرام" التي هي أيضا الطرف الشمالي لـ"أرض بني المشرق"؛ والأخرى موجودة في الجنوب بين عبدة الإله الأدومي "قوس". جماعة شمالية وجماعة جنوبية.

**سؤال من فضلك، في الجماعة الجنوبية أيضا يظهر هذا الاسم كإسم مكان؟**

صحيح. اسم مكان. وفي رأيي يمثل هذا المكان جماعة. إذن، لدينا جماعتان. وإذا سألتني إن كان لدي تفسير حول سبب ظهور جماعتين؛ يمكنني التخمين. فكما ذكرت من قبل، فإنه يمكننا أن نعرف من القوائم التاريخية لتحتمس الثالث (وليس من قوائم حملته التي تذكر أسماء الأماكن لكن من القوائم التاريخية التي تصف احتلال أرض كنعان وما حولها بالتفصيل)، أن هناك في

منطقة حوران، في المدينة المجاورة "حليقر" سكن يعقوبئيل الشمالي وأنه كانت هناك عمليات قمع اقتصادي مارسها المحتلون المصريون على سكان المكان. فقد فرض رسل تحتمس الثالث الضرائب الباهظة على المحليين الذين عملوا في الحقول تحت إشراف مراقبين مصريين وأخذوا منهم معظم محاصيلهم إلى معبد أمون في الكرنك.

يعتقد أن بني يعقوبئيل لم يكونوا جميعا سعداء بالمكوث هناك. وأنت تعلم أنه إذا كنت تعمل مع حمارك وهناك مراقبون مصريون حولك؛ فإنهم يستطيعون القبض عليك وأخذك للعمل لصالح المصريين.

ومن الممكن أن يكون الضغط الاقتصادي الذي مارسته مصر في منطقة حوران قد جعل بعض من جماعة بني يعقوبئيل في حوران يهبطون إلى الجنوب إلى منطقة أدوم التي لم تكن تحت الحكم المصري المباشر. ولقد شن المصريون عليها حملات حربية من حين لآخر لكنهم لم يحكموها بشكل متواصل.

**إذن فهي جماعة واحدة انقسمت إلى جماعتين أصلهما واحد.**

صحيح. أعتقد أنها جماعة واحدة فرعها الأكبر والأقدم كان موجودا في الشمال في منطقة حوران، وسكن الفرع الأصغر الذي انفصل عن الفرع الشمالي في الجنوب في أرض أدوم.

أستعمل الآن كلمات كبير وصغير عن قصد؛ لأني أود الذهاب مع هذه الصفات إلى ما هو أبعد من ذلك والعودة إلى يعقوب وأسرته. فماذا نعرف عن أسرة يعقوب؟ أول شيء هو قصة الحب الكبرى. فمن أحب؟

**راحيل.**

راحيل. "בְּרָחֵל בִּתְּךָ, הַקְּטַנָּה - براحيل ابنتك الصغرى" (سفر التكوين ٢٩: ١٨). سألني طلابي في الجامعة كيف كان ذلك في العصر القديم: هل كانوا يتزوجون عن حب أم كان يتم الزواج بين العائلات بحسب المصالح الاقتصادية؟ هل كان

كل شيء بحسب التقاليد الاجتماعية، أم كان أمامه مجال للتعبير عن حبه؟ قلت لهم، اقرأوا قصة يعقوب! يعقوب وراحيل. فماذا نرى فيها؟ هو يحبها من ناحية، ومن ناحية أخرى يأتي إليه لابان بطلب بحسب عادات المكان، "לֹא-יֵעָשֶׂה כֵן בִּמְקוֹמֵנוּ - لا يفعل هكذا في مكاننا" (٢٩: ٢٦)

**ويعطيه ليئه ...**

لابان يعطيه ليئه، حينها يعمل سبع سنوات أخرى من أجل راحيل. تؤكد هذه القصة في رأيي على وجود قوانين وعادات شعبية، لكن يوجد أيضا الحب الفردي الذي يتغلب على الصعوبات كافة، ويتحقق في النهاية.

وهذا هو الجميل في قصة يعقوب وراحيل. لكني أحاول الآن أن أحمل ذلك من المسار الشعري الرومانسي لقصص الأفراد، وأسأل: ماذا يفترض أن يعني ذلك من الناحية الاجتماعية فيما يخص بداية بني إسرائيل.

هناك جماعة للكبيرة التي هي ليئه؛ فأبناء ليئه أكثر، وهناك جماعة للصغيرة راحيل، وهما يوسف وبنيامين اللذان عددهما قليل. يستمر هذا الفصل بين راحيل وليئه، وأبناء راحيل وأبناء ليئه لسنوات طويلة ويتجلى في كافة الأشكال. فما الذي يمكنني معرفته عن هذه الجماعات وعن هذه الأسباط؟

عندما أنظر إلى أبناء راحيل، فمن أجد هناك من الأسباط؟ نجد أفرايم ومنسى ابني يوسف، وكذلك بنيامين. وتحصي قصيدة دبوره التي تعد أحد أقدم المصادر في العهد القديم؛ الأسباط الذين شاركوا في الحرب ضد ملوك كنعان، الحرب التي دارت رحاها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد على ما يبدو: "מִנִּי אֶפְרַיִם, שָׁרְשָׁם בַּעֲמָלֵק, אַחֲרֶיךָ בִנְיָמִין, בַּעֲמָמֶיךָ - جاء من أفرايم الذين مقرهم بين عماليق، وبعدك بنيامين مع قومك" (القضاة ٥: ١٤).

أقام أفرايم بين عماليق أي أصله في عماليق. وهذه المقولة غريبة جدا: أليس عماليق عدوا لدودا لإسرائيل؟ إذن كيف يمكن القول إن أبناء أفرايم سكناهم

في عماليق؟ وها هو سفر القضاة يذكر "جبل العمالقة" في أرض أفرايم (القضاة ١٢: ١٥). ويتضح في ضوء هذا وجود ارتباط قديم لسبط أفرايم بعماليق. أين سكن عماليق؟ العماليق هو حفيد عيسو وأحد أبطال أدوم، إذن فله جذور في أرض أدوم (التكوين ٣٦: ١٢، ١٦) وتصف مصادر أخرى وجود العماليق في النقب (صموئيل الأول ١٥: ٧؛ ٣٠: ١). إذن كانت هناك صلة قديمة بين أفرايم والعماليق، يفهم منها أن جذور هذا السبط كانت في الجنوب في أرض أدوم أو في النقب.

سبط آخر جاء على ما يبدو من المنطقة الجنوبية وهو بنيامين. فما تفسير الاسم بنيامين؟ ابن اليمين. واليمين بالنظرة الشاملة لإنسان العهد القديم هو الجنوب. وجهنا تجاه الشمس الساطعة ناحية الشرق إلى أبناء المشرق، إلى المشرق. فإذا كنت تقف ووجهك صوب الشرق إذن فالجنوب يكون على يمينك. لذلك فإن كلمة "תימן – اليمن" تشير في العهد القديم إلى المناطق الجنوبية.

فما هو أصل أبناء راحيل؟ سنجد من بينهم ابن الجنوب، ابن يامين، بنيامين، وأفرايم، الذي يقولون عنه إن أصوله في العماليق. وأريد أن أعرض هنا لهذه الفرضية: جماعتان: أبناء راحيل وأبناء ليئه، تمثلان مجموعتي يعقوبئيل: الكبرى؛ المجموعة الأكبر الشمالية التي سكنت حوران وباشان وتمثلهما الأخت الكبرى ليئه. والمجموعة الأصغر التي انشقت عنها وذهبت إلى أدوم في الجنوب هي مجموعة ولدي راحيل الجنوبيين: أفرايم وبنيامين.

أعود هنا وأتطرق إلى ملحوظتك حول العلاقة بين أسماء الأمهات وأسماء الحيوانات؛ فالاسم "ليئه" معناه في اللغة الأكدية والعربية البقرة. و"راحيل"، و"راحيله" هو النعجة. ومن المعلوم أن هناك فرق بين حجم الكبرى والصغرى، لكن ربما التطرق أيضا إلى الطابع المختلف للإقليمين يعقوبئيل من الناحية المناخية والزراعية؛ ففي إقليم المجموعة الشمالية في حوران ومنطقة باشان

المجاورة يمكن تربية الأبقار؛ فالنبي عاموس يتحدث عن "أبقار باشان" (٤: ١)، لذلك فإن الرمز لليئه – بقرة، يناسب المجموعة الشمالية. وفي الجنوب الأكثر جفافا، لا يمكن تربية الأبقار لكن الغنم، لذلك فإن اسم راحيل – النعجة، يناسب أكثر المجموعة الجنوبية.

وإذا كنا قد تطرقنا إلى مسألة تربية الحيوانات في العصر القديم، فأريد إضافة شيئا علما يتعلق بهذه المسألة. فكما ذكرت من قبل في أحد لقاءاتنا الأولى يرى جونكل – وهو ما أوافق عليه – أن هناك فجوة كبيرة تصل إلى مئات السنين بين عصر حدوث النواة الأولى لقصص سفر التكوين وبين تدوين هذه القصص في عملية كانت بدايتها في فترة متأخرة، بداية من القرن الثامن قبل الميلاد. لذلك فهذه القصص تحوي مفارقات تاريخية غير قليلة. فهذه القصص فيها أسماء وأوصاف لحقائق لم يكن من الممكن أن تحدث في عصر الاستيلاء على كنعان أو قبله.

**مثل تدجين الجمل ...**

أجل. تدجين الجمل.

**عند أبونا إبراهيم ...**

لم يتم تدجين الجمل قبل القرن العاشر قبل الميلاد، ولقد أكدت الأبحاث التي أجريت مؤخرا في منطقة مناجم النحاس في "وادي فونون"[١] شرق الأردن[٢] على حقيقة عدم وجود جمال مدجنة قبل قبل القرن العاشر قبل الميلاد. وذكرنا من قبل أيضا الاسم "أور كسديم". فقد ذهب الكلدانيون إلى بابل في القرن العاشر. وتحدثنا عن الاسم آرام والآراميين كجماعة ظهرت في الوثائق بشكل واضح

---

[١] فونون مدينة أثرية في وادي عربة في الأردن حاليا. كانت المدينة مركزا لمناجم الحديد والنحاس في العهد التوراتي. تسمى اليوم فينان.

[٢] جنوب الأردن (في ارتباط بالعصر الحديدي ومملكة ادوم بصفة رئيسية).

بداية من القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد فقط. كما تحتوي القصص أحيانا على مصطلحات قديمة توافق زمن حدوث القصة، إلى جانب مصطلحات أخرى أكثر تأخرا؛ وذلك في عدم توافق من الناحية التاريخية.

تناولنا فيما سبق رحلة يعقوب ووجدنا الاسم "أرض بني المشرق" وفي المقابل الأسماء "صحراء آرام"، و"فدان آرام". واسم "أرض بني المشرق" قديم جدا يظهر في مصدر مصري قديم جدا. وهناك أيضا قصة مصرية قديمة معروفة عن سنوحي، هل قرأتها؟ سنوحي ...

**الموظف المصري الهارب ...**

صحيح، صحيح، وصنع منها كاتب إسكدنافي رواية رائعة "سنوحي المصري". عاش سنوحي على ما يبدو في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وهرب من مصر إلى أرض كنعان في ظروف ما، ووصل إلى منطقة نهر اليرموك الذي ينساب أسفل هضبة الجولان. ويحكي سنوحي عن مناطق وحكام الشعوب التي تسكن المكان، كما يذكر أرض المشرق التي يسمون حاكمها "معكي"، ويذكرنا اسم "معكي" بالاسم "معكه" وهي مملكة صغيرة نشأت في باشان جنوبي الجولان. إذن، فإننا موجودون في منطقة باشان المتاخمة لحوران التي حددنا فيها موقع الجزء الشمالي لـ"أرض بني المشرق" التي هرب إليها يعقوب.

يبدو أن الاسم القديم الذي استخدموه أثناء كتابة القصة عن يعقوب كان "أرض بني المشرق"، ولقد تم الحفاظ عليه في سفر التكوين ٢٩: ١. وفي فترة متأخرة في القرن العاشر قبل الميلاد تقريبا، استولى الآراميون على هذه المنطقة، بعدها دخلت الأسماء "فدان آرام" و"صحراء آرام" في القصة.

ويسمي النبي هوشع هذه المنطقة "صحراء آرام". فهو يتحدث اللغة التي يفهمها مستمعوه، حيث سميت هذه المنطقة في عصره بصحراء آرام. وبمفهوم مشابه، عندما يذكر سفر التثنية: "אֲרַמִּי אֹבֵד אָבִי - آراميا تائها كان أبي" (٢٦:

٥)، فهو يحدد بذلك أن آباء إسرائيل الأوائل سكنوا "صحراء آرام" أي في منطقة حوران حسب معرفتنا.

**مثير وممتع، ينقصني هنا فقط، وسوف نتطرق إلى ذلك بالطبع في اللقاءات التالية، قصة الخروج من مصر.**

صحيح، يجب أن نتحدث عن الخروج من مصر. وعلينا أن نتحدث أيضا عن يوسف. فإن كنا قد وصلنا إلى يعقوب فعلينا الحديث عن يوسف – وما تعرضه قصة يوسف وقصة الخروج من مصر. وهذه هي تحدياتنا المقبلة.

# من هو يوسف؟

**بروفسور! أود إيجاز اللقاء الأخير. لقد تحدثنا عن جونكل الذي زعم أن القصص الواردة في سفر التكوين رغم ظهورها بشكل أسطوري إلا إنها تعكس أحداثا وقعت بالفعل قبل عصر الاستيطان. ولقد ذكرت أنت الإشارة إلى "يعقوبئيل" مرتين: مرة عند الملوك المصريين عند تحتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد: حيث حكي عن جماعة تسمى يعقوبئيل في منطقة حوران؛ والأخرى عند رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر، لمجموعة تسمى يعقوبئيل في منطقة أدوم، بين عبدة الإله الأدومي "قوس". وبحسب كلامك فإن جزء من هذه المجموعة التي استقرت في الشمال تهبط إلى الجنوب إلى منطقة أدوم بعدما فرضت السلطات المصرية عليهم القيام بأعمال سخرة.**

نعم، لهذا السبب على ما يبدو.

**لم تكن هذه المنطقة تحت السلطة المصرية المباشرة. وهو ما يتفق كذلك مع مسألة وجود خطوط في أسطورة يعقوب وعيسو لا تتماشى مع أدوم وإسرائيل التاريخية في عصر الملكية. وسؤالي الآن: هل يمكننا أن نرى الآن التطور الجديد في قصة الخروج من مصر بعد اكتشافاتك الجديدة حول يعقوبئيل في منطقة آدوم، وهجرة جزء من الجماعة الشمالية إلى الجنوب بعد استعباد المصريين لهم[1].**

---

[1] قضية السخرة والاستعباد هنا غير مبررة في تناول المؤلف حيث كانت مصر عمليا تسيطر علي كل بلاد الشام ولها نظام إداري وعسكري يحكم القبضة علي المكان على الأقل إلى نهايات فترة رمسيس الثالث من الأسرة العشرين.

إن اكتشافي الجديد عن يعقوبئيل في أرض أدوم يغير حقا شكل الصورة كلها ويفتح نافذة لفهم كل رواية العبودية والخروج من مصر بشكل جديد. لماذا؟ لأن لدينا وثيقة مصرية أخرى من عصر سيتي الثاني ابن مرنبتاح؛ أي إننا نتحدث عن عام ١٢٠٠ قبل الميلاد تقريبا. تحكي هذه الوثيقة عن أسباط من أدوم أسباط الشاسو؛ أي الرحل من أدوم الذي جاءوا إلى مصر. ويحكي الموظفون المصريون أنهم يسمحون لهم بالعبور إلى بِرك مرنبتاح – هناك كلمة عبرية -كنعانية "בְּרֵכוֹת برك" وإلى مدينة بيتوم ويسمحون لهم بشرب المياه للارتواء هم وقطعانهم. أي لدينا هنا رسم حي جدا لقبائل رعاة من أدوم يمرون بأزمة – سنتناول سببها لاحقا – فيهبطون إلى مصر. وليس لديهم طعام أو شراب لذلك يجدون في مصر مصدرا للحياة.

**أعتقد أن مثل هذا الترحال كان ظاهرة شائعة في العالم القديم، ترحال القبائل التي تهبط إلى بلدٍ كبير مجاور للبحث عن الطعام. والسؤال هو: ما الذي ميز هؤلاء الشاسو عن بقية القبائل التي ارتحلت في ذلك العصر؟**

لا أريد أن أزعم أن الشاسو من أدوم الذين جاء ذكرهم في الوثيقة المصرية هم بنو يعقوبئيل من أدوم الذين هبطوا إلى مصر. وأزعم مجددا أن هبوط بني يعقوبئيل من أدوم إلى مصر قد حدث في فترة سابقة أكثر لكن ترحال الشاسو يجسد هذه الظاهرة. أنت تسأل الآن، وعن حق - فمسألة الرحل الذين هبطوا في عام القفر إلى مصر البلد الكبير الذي يتدفق فيه نهر النيل، ويجدون هناك الملاذ طوال فترة صعبة أمر تكرر في التاريخ كثيرا[1]؛ لكن وهنا أصل إلى قصة يوسف.

---

[1] عكست النصوص المصرية كثيرا من مثل تلك الإشارات لقدوم آسيويين الي مصر طالبين نسمة الحياة.

تحكي قصة يوسف، التي أريد أن أركز عليها اليوم كمدخل لقصة الخروج من مصر عن شيء ما بحجم مختلف؛ فهي تخبرنا بحدوث مجاعة استمرت لفترة طويلة - سبع سنوات حسب القصة. كانت المجاعة شديدة حيث لم يجد الناس ما يأكلونه، ليس فقط في مصر لكن في بلدان أخرى أيضا. لكن مصر اجتازتها بسلام لأنها قامت - بمشورة يوسف - بتخزين الطعام، فجاء الناس من جميع البلدان إلى مصر للحصول على الطعام.

لدينا هنا قصة مأساوية، تقول إن هبوط يعقوب وأبناءه وسبعين نفسا، لهو جزءٍ من كل عظيم وأكثر اتساعا. حيث يمكننا الافتراض بشكل شبه مؤكد أن عدد من حضر إلى مصر من جميع البلدان المجاورة الجائعة كان كبيرا جدا. إذن، إذا اتبعنا جونكل وقلنا إن لدينا هنا انعكاس لشيء ما حقيقي، فما هو الواقع الذين يمكننا التفكير فيه؟ وهذا بالطبع ليس حدثا عارضا لمجموعة من الرعاة ليس لديهم ما يأكلون أو يشربون في صيف ما، فيهبطون إلى مصر ثم يعودون إلى بلدهم بعد فترة ليست بالطويلة؛ لكن كان هناك شيء أكبر وأشمل ومستمر.

هل لدينا توثيق عن فترة مجاعة مستمرة، أزمة وجود كبيرة هرعوا على أثرها إلى مصر من جميع الاتجاهات لوجود الطعام هناك؟ إجابة هذا السؤال هي: نعم. لدينا شهادة على عصر معين، وهو أمر لم يتكرر كل بضع سنين فقد كانت تلك الفترة فترة معينة بالطبع شهدت أزمة على مدار خمسين سنة، بسبب سلسلة سنوات المجاعة المستمرة والمتتالية. لذلك ضربت المجاعة مناطق شاسعة جدا وكانت مصر فقط الوحيدة التي لديها القدرة على تقديم الحلول؛ لوجود الطعام والغلال فيها بشكل استثنائي وهو ما كان بين عامي ١٢٢٥ قبل الميلاد و١١٧٥ قبل الميلاد، على أقصى تقدير.

ما هو التوثيق الذي لدينا لهذه المجاعة أو الأزمة التي كانت مصر حلا لها؟ هذا التوثيق موجود في مجموعة من الوثائق في عدة أماكن وثبتت في السنوات الأخيرة بالاختبارات العلمية التي أجريت على النبات.

**من كان ملك مصر في فترة المجاعة؟**

بدأت أزمة المجاعة في السنوات الأخيرة من حكم رمسيس الثاني. ولقد تحدثنا عن رمسيس الثاني الذي طال عمره ومات في الثانية أو الثالثة والتسعين من عمره على ما يبدو. وبدأت هذه الأزمة عندما كان في الثمانين من عمره تقريبا، في شيخوخته؛ أي في العقد الأخير من حكمه وربما بعده قليلا. وابن رمسيس الثاني هو مرنبتاح. ونجد في السنة الأولى من توليه الحكم في عام ١٢١٣ قبل الميلاد وثيقة تقول بأنه أرسل سفينة من القمح إلى مملكة الحثيين في الأناضول [تركيا اليوم]؛ وذلك لإحيائهم لأنهم لا يملكون الطعام. وتمر شحنات القمح مرات كثيرة عبر مملكة أوجاريت[1] التي يطلب منها المساعدة في نقل الشحنات القادمة من مصر في سفن عبر أوجاريت المطلة على البحر شمال غربي سوريا، إلى الحثيين في الأناضول. لكن أوجاريت نفسها – المدينة المعروفة التي ظهرت فيها الكتابات المهمة في دراسة العهد القديم – تعاني المجاعة الشديدة، فكان ملك أوجاريت يقوم بالاستيلاء على الشحنة المصرية لنفسه أحيانا ثم يقول للحثيين: "لم تصل الشحنة .. وليس لدي ما أرسله لكم"؛ لأنه كان عليه هو أيضا رعاية احتياجات شعبه.

**إنه لأمر طيب من قبل المصريين فهم قد حاربوا الحيثيين على ما أذكر، وفجأة يخشون عليهم ويرسلون الطعام إليهم؟**

أجل لقد هدأ التوتر في حقيقة الأمر بين المملكتين بعد انتهاء الحرب الكبرى بين المصريين والحيثيين والتي نشبت في بداية عصر رمسيس الثاني. وأبرمت معاهدة

[1] (رأس الشمرة حاليا)، وأحد أهم موانئ الاتصال الملاحي مع مصر القديمة.

سلام وصلتنا نسخ منها مكتوبة على ألواح الفضة. كما تم توطيد السلام عبر زواج ابنة ملك الحيثيين برمسيس. وفي واقع الأمر نجد أن الأمور بين الحيثيين والمصريين إبان حكم رمسيس الثاني وما بعده كانت على أحسن حال. ويجب التأكيد أيضا على أن المصريين لا يقدمون هنا منحة مجانية؛ حيث يتضح من وثيقة عثر عليها في تل آفاق في منطقة أنتيباتريس بأن الحيثيين قد دفعوا مقابل هذه الشحنات الغذائية؛ فهي لم تكن صدقة.

لكن تكون إمكانية شراء الطعام عند من لا يملكه إنقاذا للحياة. وهذا ما نراه في قصة يوسف؛ فالأشقاء يأتون إلى مصر لشراء الغلال بالمال[1]. ومعروف أنه لم تكن هناك عملات في ذلك العصر لكنهم دفعوا بما يسميه العهد القديم "قطع فضة – בצע כסף" وهي مشتقة من الفعل "בצע" بمعنى قطع، مثل قطع الخبز. فقطع الفضة هي التي دفعوها[2].

ونعلم أن هذه الأزمة ضربت مناطق شاسعة جدا؛ فقد شملت أيضا اليونان[3] ومحيطها، وفي هذه الفترة اندثرت تملما كل الحضارة التي كانت موجودة هناك وهي الحضارة الميكينية. وانتشرت مجاعة كبرى في المنطقة.

**هذه المجاعة هي سبب الغزو[4] الكبير لشعوب البحر؟**

---

[1] يجب الحذر من استعمال مثل ذلك اللفظ حيث لم تعرف حضارات الشرق الأدنى القديم العملة سوي في وقت متأخر ربما القرن السادس قبل الميلاد في جنوب غرب الأناضول.

[2] هنا أيضا تناقض في تناول الأحداث لكيف لمجموعات بدوية فقيرة تعاني لديها الفضة !!! وهي معدن لم يكن ميسرا بالمكان بل يتم الحصول عليه من أواسط آسيا.

[3] مشكلة أخري في التعبيرات الجغرافية للمؤلف حيث لم تكن هناك دويلات مدن يونانية آنذاك في العصر البرونزي الحديث/عصر الامبراطورية المصرية، بل مراكز للحضارة المينوية/الميكينية بصفة خاصة في جزيرتي قبرص وكريت.

[4] الهجرة البشرية.

صحيح، صحيح. فقد كانت هناك هجرة كبيرة من جزر البحر من سردينيا وصقلية واليونان[1] نفسها ومن مناطق الحثيين. ونزل الناس كذلك إلى البحر في مراكب وعاشوا فيه فترة من الزمن وهاجموا المدن الساحلية ونهبوها. بدأت تنهار مملكة الحيثيين بسبب المجاعة المستمرة وخرج منها لاجئون أيضا وتوجهوا جميعا صوب الجنوب، فدمروا المدن، والمدن الكبرى. وفي بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد دمرت أوجاريت المدينة الغنية والفاخرة، صاحبة الحضارة ولم تبن من جديد. لقد حفظت وثائق أوجاريت تحت الأنقاض لأن المدينة دمرت وهجرت تماما. كما دمرت كذلك تماما مدينة "أمار" على نهر الفرات وهي مدينة كان لها تاريخ عظيم وحضارة وكتابات.

وبسبب هذه الكارثة الكبيرة بدأت موجات متتالية من الهجرات البشرية من شعوب البحر[2] والأناضول في الوصول إلى مصر فأرادوا احتلالها والاستيلاء على مخازن غلالها[3]. والغزو الأول مسجل فيما يسمى "لوح إسرائيل" لمرنبتاح؛ ففي العام الخامس من ملكه خرج في حرب كبرى. ونحن نسمي اللوح "لوح إسرائيل" لأن في نهاية النص المدون على اللوح توجد سطور عن الحرب في كنعان ...

**تم القضاء على إسرائيل ولم يعد له نسل ...**

أجل. تم القضاء على إسرائيل ولم يعد له نسل. أجل في نهاية النص يكون الحديث عن إسرائيل. لكن عند دراسة اللوح بعناية وهو موجود حاليا بالمتحف

---

[1] الأصوب مراكز الحضارة المينوية في جزيرتي قبرص وكريت.

[2] الناجمة عن انهيار مركزي الحضارية المينوية / الميكينية في قبرص وكريت

[3] النص الهيروغليفي لم يتضمن مثل ذلك الهدف من تلك الهجرات البشرية التى غادرت موطنها الأصلي بحثا عن موطن جديد للاستقرار به.

المصري بالقاهرة سنرى أن جزء كبيرا منه، الغالبية في حقيقة الأمر، لا يتحدث عن الحرب في كنعان، فهذه الحرب هي بمثابة نزهة في الأساس، نوعا من ...

**الحدث العارض ...**

حدث عارض مذكور في نهاية القصة على اللوح. وأساس القصة هو وصف غزو المجموعات البشرية شعوب البحر التي هبطت على الساحل الليبي وانضمت إلى القبائل الليبية التي كانت في مجاعة هي أيضا. ولا أعرف أي لغة تحدثوها فيما بينهم لكنهم تغلبوا على العائق اللغوي ونجحوا في تكوين قوة عسكرية موحدة غزت مصر من الغرب من اتجاه ليبيا. وكان هدفهم هو الاستيلاء على كنوز مصر من الغلال[1]. ويتفاخر مرنبتاح بأنه حارب الغزاة بكل قوة ونجح في طردهم من مصر.

حدث ذلك الغزو الذي صده مرنبتاح في السنة الخامسة لحكمه أي في عام ١٢٠٨ قبل الميلاد. لكن ذلك كان البداية فقط. فسوف تكون هناك غزوة أشد بكثير فيما بعد. حدثت هذه الغزوة الكبرى قبل نهاية فترة المشكلة المناخية، حوالي عام ١١٧٥ قبل الميلاد في عصر رمسيس الثالث. فقد حاولت قوة مشتركة من شعوب البحر المختلفة غزو مصر مرة أخرى فأوقفهم رمسيس الثالث وصدهم. وعثر في موقع يسمى اليوم مدينة حابو (معبد حابو: معبد جنائزي لرمسيس الثالث في البر الغربي بالأقصر) بمنطقة الأقصر على وصف فني رائع لهذه المعركة.

لقد أوقف رمسيس الثالث دخول الغزاة إلى مصر، لكنه سمح لهم بالإقامة بطول ساحل البحر. واستوطن أحد شعوب البحر، الفلست، المنطقة التي نسميها "أرض فلست" وفي نفس الفترة شيدت خمس مدن فلسطينية وهي: غزة

---

[1] هدف التسللات البشرية لمجموعات أجنبية دائما البحث عن الكلأ والمرعي وفقا للنصوص المصرية وليس البحث عن كنوز الغلال

وعسقلان وأسدود وعقرون وتل الصافي. ووصل الوجود البشري الفلستيي حتى منطقة تل أبيب اليوم. كما كان تل قصيلة الموجود اليوم بالقرب من متحف إسرائيل في رامات أفيف بجوار نهر اليرقون مستوطنة فلسطينية. واستوطنت جماعات فلسطينية أخرى في الشمال في منطقة خربة البرج وعكا وغيرهما.

من الأسهل اليوم فهم أزمة الغذاء وآثارها عندما نرى ما يدور أمامنا. لكن هذه المرة يبحر المهاجرون الجائعون في الاتجاه المعاكس، ليس من آسيا وأوروبا إلى أفريقيا، لكن تخرج المراكب من ليبيا حاملة الجائعين من أفريقيا وترسو في صقلية أو سواحل جنوب أوروبا الأخرى؛ وذلك لإنقاذ حياة المسافرين عليها حيث تشهد بلدانهم جفافا شديدا ويموت الناس فيها جوعا، فيحاولون الوصول إلى أوروبا بأي ثمن.

لنعد إلى العصر القديم! فضلا عن الوثائق والمصادر التصويرية وطبقات الدمار والخراب التي تحكي لنا عن الأزمة المناخية والاستيطانية المستمرة، فقد حصلنا مؤخرا على وسيلة أخرى؛ حيث تبين من خلال فحص بقايا النباتات القديمة الذي قام به الباحثون في أماكن شتى من تركيا وحتى أيرلنده – ومن بينهم مجموعة من جامعة تل أبيب قامت بفحوصات في منطقة بحيرة طبرية – وجود فترة طويلة وصلت إلى عدة سنوات حملت ترسبات قليلة، وكانت النباتات فيها قليلة جدا.

طبيعي أن نسأل: ما سبب ذلك؟ وبالفعل تم دمج هذا الكشف مع الجدل القائم اليوم حول الاحتباس الحراري global warming. وأنت تعلم بوجود خلاف في الآراء بين مجموعتين من العلماء: الأغلبية تقول: إننا بنو البشر سبب ذلك بسبب الصناعات الكثيرة والإضرار بطبقة الأوزون وقطع الغابات وما إلى ذلك ... ومجموعة أخرى تقول: كلا، نحن لسنا السبب، أو إننا قادرون على فعل شيء لوقفه؛ فنحن نتحدث عن تأثير العواصف الموسمية على سطح

الشمس. ويعتمد مؤيدو هذه النظرية على الاكتشافات حول الجفاف الطويل الذي شهدته الفترة التي نتحدث عنها فيقولون: لدينا دليل أكيد على عدم ارتباط الأزمة المناخية المستمرة بالصناعة؛ حيث لم تكن هناك صناعات في تلك الفترة.

**وأين يدخل يوسف هنا؟ ومن هو يوسف هذا؟**

من هو يوسف ...

**قبل أن ننتقل إلى يوسف، خطر ببالي فجأة إننا نتحدث عن غزو شعوب البحر – الفلست في هذه الفترة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد تقريبا، لكن أبانا إبراهيم كان يتحدث عن الفلست في عصره؛ أي هناك تضارب.**

السؤال هو من هو إبراهيم؟ لقد تحدثت أكثر عن إبراهيم كشخصية جماعية كممثل لجماعة، وليس كشخصية خاصة. لكن عندما ننتقل إلى يوسف لا يمكن القول إنه يمثل جماعة لوجود قصة استثنائية جدا.

يتضح من قصة يوسف أن شخصا ليس مصري الأصل لكن أسير أو مهاجر[١] من أرض كنعان يصل إلى مرتبة رفيعة جدا في مصر، وكيف قال له فرعون[٢]: "אַתָּה תִּהְיֶה עַל-בֵּיתִי, וְעַל-פִּיךָ יִשַּׁק כָּל-עַמִּי ; רַק הַכִּסֵּא, אֶגְדַּל מִמֶּךָּ - أنت تكون على بيتي، وعلى فمك يقبل جميع شعبي إلا إن الكرسي أكون فيه أعظم منك" (سفر التكوين ٤١: ٤٠).

---

[١] يوسف لم يكن أسيرا أو مهاجرا ولكن التقطته قافلة من البئر الملقي به من قبل إخوته، وعومل كعبد تم بيعه لاحقا في مصر.

[٢] يجب مراعاة الخطأ في استخدام مثل ذلك الوصف السياسي لحاكم مصر آنذاك في عصر الانتقال الثاني حيث لا توجد حكومة مركزية علي كل مقاطعات مصر لأن مثل ذلك اللقب فرعون انتشر تاليا بدء من ١٥٥٠ ق.م بداية عصر الدولة الحديثة/ عصر الامبراطورية المصرية.

صورة مشابهة تظهر في كلام يوسف إلى إخوته: "וַיְשִׂימֵנִי לְאָב לְפַרְעֹה, וּלְאָדוֹן לְכָל-בֵּיתוֹ, וּמֹשֵׁל, בְּכָל-אֶרֶץ מִצְרָיִם - وهو قد جعلني أبا لفرعون وسيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر" (سفر التكوين ٤٥: ٨)

إذن فبحسب رواية سفر التكوين فإن شخصا غريبا جاء من كنعان ولا ينتمي إلى العائلة الملكية المصرية يصل إلى المرتبة الثانية في منظومة الحكم المصرية. بل يوصف كأب لفرعون، كما لو كان لدينا هنا نوعا من الأبوية عندما يوصف فرعون كشاب صغير أو كطفل، ويوسف يلعب دور الأب المتبني للفرعون الشاب.

أود التمييز هنا بين قصص الآباء وقصة يوسف؛ فقصص الآباء تحدث في قبيلة من الرعاة الرحل. ولا نتوقع أن نجد توثيقا لخلافٍ وقع بين سارة وهاجر في أي أرشيف ملكي فهذه مسألة قبلية خاصة في داخل مجموعة صغيرة هامشية. لكن شيئا بهذا المستوى؛ حيث أجنبي قادم من كنعان يصل إلى هذه المرتبة في بلاط الفرعون ويدير كل الشئون فقد كان وزيرا للمالية ورئيسا للحكومة وكما أدار كل منظومة الحكم والاقتصاد في مصر. هل هذا ممكن؟ وإن كان حدث شيء استثنائي كهذا حقا، فمن غير الممكن ألا يوثقه المصريون. فالمصريون لديهم منظومة كبيرة ودقيقة للتوثيق والتسجيل، وإذا كان قد حدث شيء استثنائي كهذا في تاريخ مصر فمن الضروري أن تجد له صدى في المصادر المصرية.

**إذا سرنا على هذا النهج، يمكنني الاستمرار والسؤال عن هجرة جماعة كبيرة مكونة من ستمائة ألف شخص من الفارين من مصر، وكذلك الضربات العشر. فكل ذلك ليس مسجلا لدى المصريين.**

سنتناول ذلك فيما بعد، حسنا؟

**حسنا، لنكمل مع يوسف!**

أجل. لنتحدث عن يوسف أولاء انظر! هناك باحثون ساروا في اتجاه ملوك الهكسوس. ومن هم الهكسوس؟ لقد ذكرناهم في الفصل الأول وقلنا إنه حكم شمال[1] مصر في القرنين السابع عشر والسادس عشر قبل الميلاد - مصر السفلى في منطقة دلتا النيل- رجال من أصل كنعاني[2]. وأسسوا أسرة ملكية لهم. ظهر اسم "هكسوس" في المصادر المكتوبة باللغة اليونانية[3]، وهو يرتكز على كلمات مصرية[4] معناها "الحكام من البلاد الأجنبية". وحكم الملوك من أصل أجنبي لشمال مصر مسجل جيدا. غير أن حكام الهكسوس ليسوا مثل يوسف؛ فالهكسوس كما ذكرنا حكموا شمال مصر كفراعنة[5] مستقلين؛ أما يوسف فلم يجلس على عرش الفرعون أبدا. بالعكس، فكما ذكرت فقد قال له الفرعون "إن الكرسي أكون فيه أعظم منك". أي إنه يعمل إلى جانب الفرعون وليس فرعونا مستقلا كما هو الحال في عصر الهكسوس.

هناك مرشحون آخرون؛ فقد حاولوا الإشارة إلى وزير من أصل كنعاني أو سوري في عصر أخناتون يدعى إبر- إل؛ أو إلى وزير لرمسيس الثاني يدعى على ما يبدو "بن أذن" من باشان. لكن لم يصل أي منهما إلى هذه المرتبة الرفيعة كالتي وصل إليها يوسف. فقد كانا رجلان يحظيان بمكانة رفيعة في النظام، لكن ليس في مكانة يوسف. وهناك شخص واحد في التاريخ المصري الفرعوني يمكن ربطه بيوسف.

---

[1] الأصوب شرق دلتا نهرالنيل.

[2] الإبقاء في الذاكرة أنهم في احدي التفسيرات مجموعات هندو أوروبية هاجرت إلى مناطق بلاد الشام.

[3] المقصود هنا ما أورده يوسف الكاتب اليهودي في رده علي إبيون الإسكندري في العصر الروماني باعتبار لفظ الهكسوس من مقطعين بمعنى ملوك الرعاة.

[4] المقصود هنا تعبير حقا خاسوت.

[5] الأصوب كحكام/ ملوك.

**ألا وهو؟**

اسمه "بيا Beya" وقصته الشخصية مدهشة. نحن لا نعلم من أين جاء على وجه التحديد، لكنه يقول عن نفسه إنه لاجيء جاء من الشمال. وهناك نقوش له، كما ذكر اسمه في نقوش كثيرة.

**أين يمكن مشاهدتها؟**

في مختلف الأماكن في مصر وخارجها. وأنا أنطق اسمه Beya اعتمادا على كتابات من خارج مصر. والباحثون ينسخون اسمه بشكل عام Bay لكن ذكرته وثيقة واحدة تم العثور عليها في أوجاريت، وذلك تحديدا في السنوات الأخيرة لأوجاريت قبل خرابها على يد شعوب البحر؛ حيث عثر هناك على خطاب لبيا باللغة الأكدية. ويتضح من هذه الوثيقة أن اسمه "هو بيا".

وأول مرة ذكر فيها بيا كان في عهد ستي الثاني ابن مرنبتاح ووريثه - الذي حكم في الفترة من ١٢٠٢ و١١٩٦ قبل الميلاد - وذلك في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وذكر بيا في هذه الفترة - حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد - ككاتب ورجل بلاط عند ستي الثاني.

**ما أصله؟ ومن أين جاء؟**

لقد قال كما ذكرت: جئت من الشمال. ولانعرف من أين بالضبط؟ ويبدو أنه كتب اسم والده في موضع معين لكن الاسم تم محوه؛ لذلك لا نعرف ماذا كان اسم أبوه؟

**ماذا يقصد بالضبط بقوله "أنا من الشمال"؟ هل المقصود بالشمال: سوريا أو حوران، أو ربما كنعان؟ فكل هذه الأماكن تقع شمال مصر.**

من الممكن أن يكون "الشمال" كنعان، وسوريا وشرق الأردن لا نعلم بالضبط. لقد كان كاتبا من رجال البلاط في عصر ستي الثاني، وغير واضح أصله بالضبط، لكن الواضح أنه لم يكن مصريا، وأنه جاء من مكان يقع شمال

مصر، وليس من ليبيا أو كوش؛ بل من مكان ما في منطقة سوريا أو كنعان أو شرق الأردن. مات ستي الثاني ابن مرنبتاح في عام ١١٩٦ قبل الميلاد بعد أن حكم لمدة ست سنوات. وخلفه على العرش طفل غير معروف إن كان ابن ستي أو ابن أخوه. والطفل هو سي بتاح Siphtah الذي كان في الثامنة وربما العاشرة من عمره عند توليه الحكم، وكا ن مصابا بمرض شلل الأطفال، وهو ما نعرفه من موميائه.

**مثل مفيبوشت بن يهوناثان المعوق، ابن الملك شاول.**

أجل، مثل مفيبوشت.

**وإذا عدنا إلى سي بتاح سنجده الوريث ولا نعلم بوضوح من كان أبوه ...**

يعتقد بعض الباحثين أن أباه كان أميرا نافس ستي الثاني على الملك. وكانت هناك قصة صراع على العرش، وإن كان ذلك ما حدث بالفعل سنجده يشبه بعض الشيء قصة داود ويهوناثان ومفيبوشت. هذا جائز. كما إننا لا نعرف مكانته في العائلة المالكة. لكن يبدو أنه كان الوريث الوحيد الذي استحق وراثة عرش الفراعنة في ذلك الوقت. لذلك اختاروه وهو صغير ومعوق ويبدو أن ذلك كان الخيار الوحيد. ولكونه طفلا لم يكن في مقدوره إدارة شئون المملكة وكما هو في حالات أخرى نعرفها في الشرق القديم سنجد أشخاصا بالغين وآخرين يأخذون على عاتقهم مسئولية الحكم مثل حتشبسوت التي حكمت طوال سنوات طفولة تحتمس الثالث حتى كبر. وفي الحالة التي معنا كانت هناك امرأة تدعى تاوسرت زوجة ستي الثاني لكن ليست أم سي بتاح.

**هي الوصية عليه ..**

صحيح، هي الوصية؛ لكن لعب بيا إلى جانبها دور الأب للفرعون وكتب عن نفسه: "أجلست سي بتاح على العرش"، وهذا تعبير مثير للدهشة جدا: ففي

الحضارة المصرية فإن أحد المعبودات هو الذي يجلس الملك على العرش. وإذا ببيا يقول عن نفسه: أنا أجلست سِبتاح على العرش!!

من الظاهر حدوث جدالٍ وخلاف كبير حول تتويج سِي بتاح وأن بيا هو من كان وراء ذلك، لذلك يستطيع التباهي والقول إنه هو من أجلس سِي بتاح على العرش.

ونجد أن الوثائق المصرية التي تعود لتلك الفترة تقدمه كوزير للمالية ورئيسا للحكومة. وعندما يقوم بكتابة رسالة إلى أوجاريت يظهر كقائد للجيش؛ أي كان وزيرا للمالية ورئيسا للحكومة ووزيرا للدفاع في الوقت ذاته.

كما كان لبيا علاقة خاصة بمعبد أون. هل تذكر بمن تزوج يوسف؟ من "أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون" (سفر التكوين ٤١: ٤٥). وأون هو الاسم المصري لهليوبوليس – مدينة الشمس. وعثر في معبد الشمس بهليوبوليس على تمثال لبيا[١].

**إنه لأمر مثير للاهتمام ...**

الشاهد الاستثنائي للغاية فيما يخص بيا هو المقبرة التي اكتشفت في وادي الملوك غربي مدينة الأقصر. فبجوار مقبرة ستي الثاني تم بناء مقبرتين ملكيتين: مقبرة للملكة تاوسرت، وأخرى لبيا. ولم نسمع في مصر من قبل عن بناء مقبرة ملكية لشخص أجنبي ليس من أصل مصري ولا ينتمي إلى العائلة الملكية بجوار مقبرة الملك الفرعون السابق!! لكن عملية بناء المقبرة لم تكتمل. لماذا؟ لم نعرف ولم نفهم ماذا حدث هناك حتى تم العثور على بقايا كسر فخارية في المنطقة

---

[١] هنا تفاوت في الربط بين الأسماء والأحداث والإطار الجغرافي لها ويتراوح المؤلف بين فترة عصر الانتقال الثاني المرجحة لمثل وجود يوسف عليه السلام بها وبين تلك الفترة التى حدث خلالها خلل سياسي في الأسرة الحاكمة من عصر الرعامسة

التي كانت تتم فيها عملية البناء، قبل خمس عشرة سنة، وعندما قام أحد الباحثين[1] بجمع هذه البقايا نجح في قراءة المكتوب عليها ...

**هل يمكنني التخمين؟**

أجل.

**إحملوا عظامي للدفن في كنعان، ولا تتركوني هنا[2] ...**

هذا أمر طيب للغاية. لكننا هنا لسنا أمام "هابي إند – نهاية سعيدة" لقصة يوسف، فهنا لا توجد نهاية سعيدة. فقد، كتب على شقفة الفخار: "في السنة الخامسة أمر الملك بإعدام العدو "بيا"؛ أي أن الطفل المعوق سي بتاح شعر بتهديد في السنة الخامسة لحكمه – وإذا كان قد تولى الحكم في العاشرة من عمره فقد أصبح الآن في الخامسة عشر- من الوصي عليه بيا، وأدرك أنه كلما كان هذا الوصي القوي بيا إلى جواره فلن يصبح ملكا مستقلا فقرر قتله. فيقتله ويرسل إلى العمال بالتوقف عن العمل لعدم وجود حاجة لإنهاء بناء المقبرة.

**هو لا يستحق المقبرة ...**

لا يستحقها فهو عدو الآن. لقد أصبح بيا الذي قال عن الطفل سي بتاح في النقوش: "أنا أجلسته على العرش"؛ العدو؛ فالطفل لم يعد طفلا لكن ملكا في الخامسة عشرة من عمره ويدرك أن "بيا" هذا أخذ لنفسه كل الصلاحيات، وأنه لن يتمكن من الحكم الحقيقي لمصر طالما "بيا" في الصورة فقرر القضاء عليه.

**رائع. وهل نربط بين "بيا" هذا ويوسف؟**

---

[1] لم يذكر المؤلف من هذا الباحث.

[2] للأسف لم يعط لنا المؤلف المصدر اللغوي وبأي كتابة ومن قام بالنشر لمثل تلك الكتابات!!!!

أنا أزعم أن بيا هو المرشح المناسب في كثير من التفاصيل لصورة يوسف التوراتي رغم أن قصة يوسف في سفر التكوين لا تنتهي بقتله. بالمناسبة، هناك باحثة مهمة كتبت مقالا مهما للغاية عن هذه الفترة، وزعمت أن بيا كان مسجونا لفترة قبل قتله. لدينا هنا إذن فترة في السجن. لكن بيا يخرج من السجن إلى الإعدام، وليس كما هو في قصة يوسف حيث يخرج من السجن إلى قصر الملك. مع ذلك فإن نقاط التشابه كثيرة وتدعو إلى التفكير في أن شخصية بيا هي الشخصية التي وراء قصة يوسف. رغم تغيير راوي التوراة في الأحداث ومنحها نهاية طيبة، بخلاف الواقع[1].

مثل يوسف جاء بيا إلى مصر من الشمال، كما عاش مثله في فترة المجاعة الكبرى التي قامت فيها مصر بتزويد بلدان كثيرة بالغلال. يصف يوسف نفسه كأب لفرعون ويزعم بيا أنه هو الذي أجلس الفرعون سِبتاح على العرش. عمل يوسف كرئيس للحكومة وكوزير للمالية في مصر وكان وضع بيا مشابها. تزوج يوسف من ابنة كاهن مدينة أون، وارتبط بيا بالمعبد الرئيس في هذه المدينة.

**لدي هنا إشكاليتا ن فقط، القصة مثيرة حقا لكني لا أفهم ذلك من ناحية الترتيب الزمني؛ لأنك تؤخر قصة يوسف مصر وبني إسرائيل في مصر بقرن على الأقل.**

ليس قرنا لكن خمسين سنة و سنتحدث عن ذلك لاحقا -

**الأمر الآخر الذي يزعجني بعض الشيء هو: نقول بشكل عام إن هذه القصص وضعتها مصادر مختلفة عندما كان بنو إسرائيل في فترة الملكية أو**

---

[1] يجب الحذر مرة ثانية من مثل ذلك الربط للحدث في عصر الرعامسة حيث يتناقض ذلك مع ما نعرفه من سيادة مصر علي الساحل لشرق البحر المتوسط كله وإنشاء امبراطوريتها بدء من الأسرة الثامنة عشر فكيف يتوافق مثل ذلك التخريج للمؤلف مع الآثار والنصوص المصرية ؟؟؟)

**في فترة السبي في بابل، وإن فيها رمزية. وأنت تقول هنا تحديدا إن من كتب القصة أدخل ترتيبا زمنيا مصريا معينا. إذن، فيوسف هذا ليس واحدا منا.**

بالنسبة للسؤال الأول حول الترتيب الزمني سأتحدث عنه فيما بعد؛ أما الآن فأود أن أجيب عن السؤال الثاني. هل هذا الشخص الذي يدعى بيا هو واحد منا؟ هل من الممكن وجود تطابق بين بيا ويوسف؟

بشكل مثير جدا للدهشة تذكر فقرتان في العهد القديم الاسم المجرد في صورة "بيا" وليس "ياه"، وليس يهو-اه" بل "بيا".

**هل "بيا" كاسم، أو كمصلطح "بـ - ياه"؟**

كإسم. سأقرأ لك. الفقرة الأولى أصلها من المزمور ٦٨ من سفر المزامير وهو قديم جدا. وسأسهب في ذلك في أحد لقاءاتنا القادمة.

يقول المزمور: "שִׁירוּ לֵאלֹהִים זַמְּרוּ שְׁמוֹ, סֹלּוּ לָרֹכֵב בָּעֲרָבוֹת, **בְּיָהּ** שְׁמוֹ – غنوا لله. رنموا لاسمه. أعدوا طريقا للراكب في القفار باسمه ياه". (المزامير ٦٨: ٥). ما معنى "סולו"؟ أي ارفعوا الراكب في الصحراء. ومن هو الراكب في الصحراء؟ نعلم اليوم - بفضل الأساطير التي تم كشفها في أوجاريت - أن من ألقاب الإله بعل الكنعاني أنه كان "راكب السحب"؛ فبعل هو إله المطر، إذن فهو راكب السحب". وراكب الصحراء هو النسخة العبرية لاسم بعل. لكن واضع المزمور أراد القول: إنسوا بعل! وهل تعلمون من الراكب في الصحراء؟ "بيا" اسمه، واسمه "بيا".

**إلا إذا كان اسمه "ب – ياه"**

في رأيي أنه بيا، وأريد الإسهاب أكثر عن هذه الصورة الفريدة "بيا"، وعن مصدرها. على غرار ذلك جاء في سفر إشعياء (٢٦: ٤): "בִּטְחוּ בַיהו־ה עֲדֵי עַד, כִּי בְּיָהּ יהו־ה צוּר עוֹלָמִים - توكلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخر الدهور". بيا الرب صخر الدهور. يظهر هنا "بيا" كإسم بديل للرب "يهوه".

وأود ربط ذلك أيضا بالظاهرة التي نعرفها في أدب الحاخامات؛ حيث نجد شواهد مهمة للغاية عن هذا التبديل للاسم الصريح للرب "يهوه" بالصورة التي تبدأ بحرف الباء "بيهوه". فقد ورد في صيغة اعتراف الكاهن الأكبر في يوم الغفران والمذكورة في المشنا، ونعرفها كذلك في صلاة يوم الغفران؛ حيث يقول: "אנא השם כפר - اللهم اغفر"، ثم يكرر: "אנא בשם" بإضافة حرف الباء لاسم الألوهية (المشنا يوما ٦: ٢)، أي أنه يقول مرة "אנא יהו־ה - رجاء يهوه"، وفي المرة الثانية "אנא ביהו" (بياهو) بإضافة حرف الباء.

ولقد فسر الباحث الكبير جدلياهو ألون ذلك كالتالي: صيغة الاعتراف "אנא בשם" بإضافة حرف الباء هي في الحقيقة "אנא ביהו – من فضلك يا بياهو"؛ أي هناك تبادل بين صورتين، لفظ الجلالة "يهوه"، والصورة البديلة "بياهو". ثم يشير إلى الفقرتين الواردتين في سفر المزامير ٦٨، وفي سفر إشعياء ٢٩، ويزعم أن هناك صورة بديلة للفظ الجلالة وهي "بيا" أو "بياهو".

لقد سألتني عن معنى هذه الصورة "بيا" أو "بياهو". الآن أقول إننا سنحتاج إلى تناول ذلك بشكل مفصل وفي سياق مهم جدا من أجل فهم تاريخ ديانة العهد القديم؛ لكنني أؤجل الحديث عن ذلك مؤقتا.

لدينا قوائم مصرية يسبق بعضها فترة العهد القديم تم فيها توثيق لفظ الجلالة: في قائمة طبوغرافية تعود إلى عصر أمنحتب الثالث والد أخناتون، في حوالي عام ١٣٥٠ قبل الميلاد، القرن الرابع عشر قبل الميلاد؛ وكذلك قائمة مشابهة ترجع إلى عصر رمسيسس الثاني. تصف هاتان القائمتان منطقة جبل سعير ووادي العربة، وتذكر القبائل الرحل التي سكنت هناك والتي يسميها المصريون "شاسو" وكنا قد ذكرناهم من قبل في سياق هجرات المجاعة؛ فتذكر على سبيل المثال: شاسو سعير، وبجواره "أرض شاسو ياهو".

وهاهو وصف يهوه الذي يخرج من الصحراء في أشعار العهد القديم القديمة فقد ورد في افتتاحية أنشودة دبوره: "יהו־ה בְּצֵאתְךָ מִשֵּׂעִיר ,בְּצַעְדְּךָ מִשְּׂדֵה אֱדוֹם - يا رب بخروجك من سعير، بصعودك من صحراء أدوم" (القضاة ٥: ٤). ونقرأ على غرار ذلك في افتتاحية الأنشودة في نهاية سفر التثنية (٣٣: ٢): "יהו־ה מִסִּינַי בָּא וְזָרַח מִשֵּׂעִיר לָמוֹ - جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير".

لا يمكننا الهروب من فكرة أن هذا المكان الذي فيه لفظ الجلالة "يهوه" كان معروفا ومعبودا. فقد كانت هذه الألوهية "يهوه" معروفة منذ القدم في منطقة سعير. لماذا هذا الاسم على وجه الخصوص؟ وما الرابط بين هذه الظاهرة بما سيحدث فيما بعد؟! يظهر الاسم "ياهو" إذن في القوائم المصرية كاسم مكان، أرض الشاسو ياهو، مثل: أرض الشاسو سعير. ولأن سعير هي اسم المنطقة، فمن المرجح أن يكون الاسم "ياهو" أيضا هو اسم منطقة. أي أن هناك إضافة بين الاسم والمنطقة التي يظهر فيها ويعبدونه فيها. هناك ظاهرة مشابهة أيضا في الاسم "أشور" الذي هو اسم إله وكذلك مسمى جغرافي لمنطقة يعبد فيها نفس الإله، ويطلق أيضا على الأمة التي تعبد هذا الإله. إذن هناك منظومة متشعبة من الروابط، وليس واضحا دائما من سبق من؟ الاسم الجغرافي أم الاسم الإلهي.

بذلك أزعم أن صورة "بياهو" أو "بيا" هي صورة قديمة جدا معناها الرب الذي يتجلى في بيا. أي الرب الذي يتجلى في هذه الأرض التي اسمها "ياهو". وهذا الإله يسمى بأسماء مختلفة متشابهة: "יהו" — "ביהו" — "יה" — "ביה" " - יהו־ה" ("ياهو – بياهو – ياه – بيا" - "يهوه").

بناء عليه أعتقد أن معنى الاسم "بيا - Beya" الذي يظهر كاسم شخص صاحب أعمال كثيرة ويقوم بتتويج الملوك وتحدثنا عنه سابقا؛ هو في الحقيقة صورة قديمة للاسم "يهوه". لكن ما علاقة ذلك بيوسف؟ وما معنى كلمة

يوسف؟ بحسب رواية سفر التكوين عندما قامت راحيل بتسمية ابنها يوسف قالت: "יֹסֵף יְהוָה לִי בֵּן אַחֵר - يزيدني الرب ابنا آخر" (سفر التكوين ٣٠: ٢٤). أي أنها ترغب في أن يولد لها ابنا آخر. والأسماء من هذا القبيل معروفة في العالم القديم. وفي سفر عزرا (٨: ١٠) نجد الاسم " יוֹסִפְיָה" (يوسفيا) الذي يعني يهوه يزيد، أي أن الرب سيزيد ويمنح ولدا آخر. لذلك أرى أن الاسم الكامل لبيا كان على ما يبدو "يوسف بيا" أو ربما العكس "بيا يوسف"، لأنه من الممكن وضع الفعل قبل الاسم أو بعده. ولقد قام المصريون باختصار الاسم إلى "بيا"، وحفظ العهد القديم الجزء الذي يحتوي على الفعل، "يوسف – يزيد". إذن، من المفترض أن يدل اسم يوسف على أصله؛ فهو من عائلة يعقوبئيل في أدوم، سعير، التي هبطت إلى مصر في فترة المجاعة الكبرى.

**رائع! رائع فعلا.**

الآن، سنحتاج بالطبع إلى التعامل مع أسئلة الترتيب الزمني التي أشرت إليها. وسنناقشها في اللقاء القادم.

الحوار السادس

# الخروج من مصر أسطورة أم تاريخ؟

**بروفسور! أريد العودة إلى أسس الحوار السابق؛ فمازال لدينا أمر أو اثنين للإيضاح. لقد اكتشفت اكتشافا مهما للغاية وهو أن هناك مصدرا خارجيا لشخصية يوسف ذلك اللاجيء القادم من الشمال واسمه "بيا"، ورأينا أنه كان - ذو مكانة رفيعة جدا في مصر – نائب الملك. ثم قرر الملك المصري[1] سي بتاح عندما كبر التخلص من "بيا" الوصي عليه وقتله. حتى العمل في قبره الذي بدأوا فيه في وادي الملوك قد توقف، لعدم وجود حاجة إليه. وأوضحت أيضا أن اسم "بيا" مقابل لاسم الألوهية.**

للفظ الجلالة.

**للفظ الجلالة. ويبدو أن الاسم الكامل ليوسف كان "بيا يوسف" واختصر فيما بعد إلى "بيا".**

أجل عندهم في مصر. وبالمناسبة لفت تلميذي السابق عيدان درشوفيتس الموجود الآن في جامعة هارفارد انتباهي إلى أنه حتى إذا قبلنا الهوية التي قدمتها أن شخصية يوسف في العهد القديم قائمة على شخصية "بيا" الموجودة في الوثائق المصرية فلا حاجة إلى القول أن "بيا" كان اسمه أيضا يوسف. فهو يرى أن اسم "يوسف" قد يكون ظهر متأخرا على أساس عمله في جمع الغلال في مصر.

**يبدو ذلك وصفا مثيرا جدا ولقد وجدت له أيضا ارتباطا رائعا. لكن لاتزال لدينا المشكلة الزمنية التي ذكرتها في الحوار السابق؛ حيث قمت بتأخير قصة**

---

[1] يجب الابقاء في الذاكرة ماسبق قوله من الخلط في الأحداث والربط الخاطئ من قبل المؤلف بهدف ديني.

**يوسف وبني إسرائيل خمسين سنة. وبعد أن نتغلب على المشكلة الزمنية أريد أن أسمع منك إذا كانت لديك نظرية مثيرة بخصوص هوية موسى القائد الذي أخرج بني إسرائيل من مصر، أم أن شخصيته ستظل مبهمة.**

لنبدأ بالمشكلة الزمنية. السؤال في الحقيقة هو: ما هي المعايير التي لدينا لقصة الخروج من مصر؟ وأود في البداية التمييز بين نوعين من المعايير؛ فلدينا كل أنواع المعايير من تواريخ ذكرها العهد القديم من ناحية، فعلى سبيل المثال مكتوب في العهد بين إبراهيم والرب: "וַעֲבָדוּם, וְעִנּוּ אֹתָם-אַרְבַּע מֵאוֹת, שָׁנָה - ويستعبدون لهم فيذلوهم أربعمائة سنة" (سفر التكوين ١٥: ١٣). ومن ناحية أخرى نجد تاريخا مختلفا بعض الشيء في قصة الخروج من مصر في سفر الخروج ١٢: ٤٠: "וּמוֹשַׁב בְּנֵי יִשְׂרָאֵל, אֲשֶׁר יָשְׁבוּ בְּמִצְרָיִם-שְׁלֹשִׁים שָׁנָה, וְאַרְבַּע מֵאוֹת שָׁנָה - وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعامائة وثلاثين سنة". هذا نوع آخر من المعطيات الزمنية التي يجب أن نسأل عن مغزاها التاريخي. السؤال الثاني هو: ما هي المعطيات التاريخية التي تظهر في قصة يوسف وقصة الخروج من مصر والتي يمكن ربطها بالأحداث المعروفة لدينا من الوثائق المصرية ومن الاكتشافات الأثرية وما إلى ذلك.

**أعتقد أن "لوح إسرائيل" لمرنبتاح قادر هنا على لعب دور...**

أنا أريد تنحيته جانبا الآن وسأعود إليه فيما بعد؛ لكني أود التطرق إلى عدة أمور تحدثنا عن أحدها على الأقل. لقد قلنا إن مجاعة كبيرة من هذا النوع والتي تم ذكرها في سياق قصة يوسف معروفة لدينا كحدث لأزمة وقعت حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد، خمس وعشرين سنة قبل هذا التاريخ وخمس وعشرين سنة بعده. وإذا أردنا ربط يوسف تاريخيا فعلينا أن نفترض أنه عمل في هذه الفترة في حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد في فترة المجاعة الكبرى.

هناك أيضا معطيان آخران في قصة الاستعباد في مصر والخروج منها تناقضان فيما يبدو. فالمؤرخون والأثريون يذكرونهما كقصتين لا يمكن استيعابهما معا لذلك يميلون إلى التشكك في إحداهما والقول إن إحداهما غير متوافقة زمنيا. ماذا أقصد؟ عندما ذكرت قصة الاستعباد في بداية قصة الخروج: "וַיִּבֶן עָרֵי מִסְכְּנוֹת, לְפַרְעֹה-אֶת-פִּתֹם, וְאֶת-רַעַמְסֵס - فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس" (الخروج ١: ١١). ومدينة رعمسيس معروفة لنا بـ"بي رعمسيس" أو "بر رعمسيس" أي "بيت رعمسيس" كمشروع بناء لملك محدد جدا ذكرنا اسمه مرات كثيرة ألا وهو رمسيس الثاني - عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحكم لسنوات طويلة. وبي رعمسيس هي العاصمة الجديدة التي بناها رعمسيس في منطقة شرق دلتا النيل على الجانب الشرقي منها القريب من صحراء سيناء؛ حيث شيد عاصمة لنفسه هناك.

**هل تشير إلى مكان أورايس، عاصمة الهكسوس؟**

بالفعل. لقد اختار بالضبط الموقع الذي كانت موجودة فيه أواريس عاصمة الهكسوس قبل أربعمائة سنة. ومن كانوا الهكسوس؟ لقد ذكرناهم من قبل. كانوا كنعانيين غزوا مصر وحكموها مائة سنة تقريبا من القرن السابع عشر قبل الميلاد حتى القرن السادس عشر قبل الميلاد، وأقاموا أسرة كاملة من الحكام من أصل كنعاني حكمت الجزء الشمالي لمصر على الأقل.

**حتى طردهم أحمس ...**

حتى طردهم أحمس، صحيح جدا. ثم هجرت المدينة وتخربت، فيقرر رمسيس الثاني إقامة عاصمة لنفسه في نفس المكان بالضبط.

**أسمع هنا إشارة إلى احتمال وجود علاقة دم أو أصل هكسوسي لرمسيس الثاني؟**

أعتقد بوجود مثل هذه العلاقة بالفعل فهناك بعض الدلائل على ذلك. فيجب أن نذكر أن رمسيس الأول جد رمسيس الثاني قد بدأ أسرة جديدة.

**الأسرة الثامنة عشر أو التاسعة عشر؟**

الأسرة التاسعة عشر. قبلها حكمت الأسرة الثامنة عشر التي كان آخر ملوكها أخناتون وورثته. وكان حور محب الحاكم والفرعون الأخير في هذه الأسرة متزوجا من أخت نفرتيتي زوجة أخناتون الجميلة لكن لم يكن لديه وريث؛ لذلك اختار رمسيس الأول العسكري الذي لم يكن من العائلة المالكة ليرث الملك من بعده ومن هنا بدأت أسرة جديدة. وكان اسم أبو رمسيس الأول ستي وهذا الاسم أطلقه رمسيس الأول على ابنه الذي ورثه، وعلينا التمعن في الاسم: ستي، ست. هو ...

**أحد آلهة مصر ...**

أجل، إله مصري. إله اعتاد المصريون كراهيته. لماذا؟ لأن ستي مرتبط بشيء ما غير لطيف في مصر وهو عاصفة الرمال والتراب. وعواصف الرمال والتراب أشياء اعتيادية في مصر خاصة في فصل الشتاء، وإن كنت قد شهدت مثل هذه العاصفة – ونحن كثيرا ما نشهد الغبار الفظيع في هذه الأيام – فإن ما شهدته هو ما يصل إلينا وهو قليل مما تشهده مصر التي يكون الوضع فيها أصعب بكثير. لذلك فالإله المرتبط بالعواصف الرملية الفظيعة ليس إلها محببا لديهم.

شيء آخر: من الأساطير الرئيسية في الديانة المصرية أسطورة الأخوان الخصمان: ست وأوزير اللذان تصارعا بحسب الأسطوره على حكم أرض مصر. وتحكي الأسطورة أن ست قام في مرحلة ما بدعوة أخيه أوزير إليه وقال له: ‹ انظر! لدي صندوق من الخشب الجميل، أدخله لحظة يا أخي فأنا أريد معرفة إن كان يناسبك. وفي اللحظة التي يدخل فيها أوزير الصندوق الخشبي ...

**‹ يغلق ست عليه الغطاء ...**

أغلق الصندوق، ثم قام الخدم بنشر الصندوق وأوزوريس في داخله، وحملوا جثة أوزوريس المقطعة في الصندوق وألقوا بها في البحر. لكن الصندوق طفى ونجحت إيزه زوجة أوزوريس في جمع الأعضاء ليستطيع أوزوريس أن يبعث للحياة مرة أخرى. لكنه لا يعود إلى الحياة الدنيا وبعث في عالم الأموات. والحقيقة أن جل طموح كل مصري هو الفوز بالحياة الأبدية؛ لأنه سيبعث مع أوزيرفي عالم الأموات. كان ذلك أمر يختص بالفراعنة فقط، وكل عملية بناء الأهرامات ما هي في الحقيقة سوى لهذا الغرض: بعث الفرعون للحياة مع أوزير والعيش في عالم الأموات إلى الأبد. انتشر الأمر تدريجيا واتسع التطلع والأمل إلى البعث مع أوزوريس ومنح لأناس آخرين في العائلة المالكة والنبلاء ولبعض أبناء الطبقة الراقية. إذن فشخصيات ست وأوزير وإيزه هي شخصيات مهيمنة جدا في الديانة المصرية وكنت لأقول في حياة الإنسان مصري.

**لكن يوجد هنا شيء غير واضح بالنسبة لي. فإذا كنت قد قلت قبل لحظة إن ست هو إله غير محبب في مصر، إله العواصف والتراب، فلماذا يسمي الملك ابنه على اسم هذا الإله؟**

هذا هو السؤال حقا. إن كان ست هو الشخصية البغيضة فلماذا يأتي ملك ويسمي ابنه ستي؟ علينا العودة هنا إلى إله الهكسوس. جاء الهكسوس إلى مصر من كنعان وكما هي العادة في عالم تعدد المعبودات فعندما يأتي شخص ما من حضارة دينية معينة إلى حضارة دينية أخرى فهو يبحث بشكل عام عن ربط آلهته بآلهة الحضارة الأخرى. ونحن نعرف مثل هذه العملية التي ظهرت نتيجة الالتقاء الروماني بالحضارة اليونانية؛ جوبتر الروماني تم ربطه بزيوس اليوناني، وفينوس إلهة الحب الرومانية بأفروديت اليونانية، وغيرهم.

وأهم إله في العالم الكنعاني كان بعل، وتحدثنا عن ذلك في الحوار السابق؛ فبعل يوصف على أنه راكب السحاب والصحراء، وإله المطر والرياح

والعواصف. هو إله إيجابي، لأن المطر يجلب السقاء للحقول. ونحن نعرف حتى اليوم حقول، تروى بمياه الأمطار – حقول بعل.

عندما جاء الهكسوس إلى مصر توجهوا إلى المصريين وسألوهم: نحن نعبد «بعل» إله العواصف والأمطار فمن هو إله العواصف عندكم؟ ويجيبهم المصريون قائلين: إله العواصف لدينا هو ست. فيقوم الهكسوس بعبادة ست الذي هو مقابل لبعل عندهم. لكن من المعلوم أن ذلك مختلف تماما في مصر لأنه كما ذكرنا فالرياح في كنعان تأتي بسحب الأمطار المباركة، وفي مصر تأتي بالرمال، مع ذلك يقوم الهكسوس بهذا الربط. وقيل إن أحد حكام الهكسوس عبد الإله ست فقط.

فضلا عن أننا نعلم أن اسم إحدى بنات رمسيس الثاني - وكان لديه الكثير – كان بنت عنات، واتخذها أيضا زوجة له، وهي عادة بعض الملوك في مصر. وعنات هي إلهة كنعانية أخت وزوجة الإله بعل. ودخلت هي أيضا مجمع المعبودات «البانثيون» المصري. ويظهر في أسرة رمسيس ربط آخر بالتراث الكنعاني[1]؛ حيث شيد رمسيس في مدينة بي رعمسيس لوحا، نقل في فترة متأخرة إلى مكان آخر. ويذكر هذا اللوح تحديدا أربعمائة سنة من حكم ست لأرض مصر. لكن ما معنى أربعمائة سنة لحكم ست لأرض مصر؟ إذا أخذت القرن الثالث عشر وأحصيت أربعمائة سنة إلى الوراء ستصل إلى القرن السابع عشر.

**إلى غزو الهكسوس لمصر**

[1] ليس غريب علي الحضارة المصرية تقبل مظاهر من أفكار دينية لمعبودات أجنبية الأصل عبر تاريخها.

بالفعل إلى الهكسوس؛ أي أن رمسيس الثاني يربط نفسه بست صراحة وبتقدير الهكسوس لست. إذن فإنه كان من نسل الهكسوس على ما يبدو، لذا سيبني العاصمة في نفس المكان الذي كانت تقع فيه أواريس بالضبط.

وعندما نقرأ في بداية سفر الخروج أن بني إسرائيل بنوا مدينة رعمسيس فإننا نتحدث عن رمسيس الثاني. ورغم أنهم استمروا في بناء هذه المدينة حتى بعد ذلك، إلا أنه هو الذي بادر ببنائها؛ أي أن استعباد بني إسرائيل قد بدأ في عصره، في أحد أيام حكمه الطويلة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ومن ناحية أخرى عندما نتحدث عن الخروج من مصر...

**فإنه يجب أن يكون ملكا آخر، لأنه مكتوب: "وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات".**

صحيح، يجب أن يكون ملكا آخر بحسب رواية العهد القديم لأن فرعون الحاكم، المستعبد قد مات: "וַיְהִי בַיָּמִים הָרַבִּים הָהֵם, וַיָּמָת מֶלֶךְ מִצְרַיִם, וַיֵּאָנְחוּ בְנֵי-יִשְׂרָאֵל מִן-הָעֲבֹדָה, וַיִּזְעָקוּ - وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن مات ملك مصر وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا" (سفر الخروج ٢: ٢٣).

أود الإشارة إلى أنه ورد في بداية قصة الخروج (الخروج ١٣ :١٧): "וַיְהִי, בְּשַׁלַּח פַּרְעֹה אֶת-הָעָם, וְלֹא-נָחָם אֱלֹהִים דֶּרֶךְ אֶרֶץ פְּלִשְׁתִּים, כִּי קָרוֹב הוּא: כִּי אָמַר אֱלֹהִים, פֶּן-יִנָּחֵם הָעָם בִּרְאֹתָם מִלְחָמָה--וְשָׁבוּ מִצְרָיְמָה وكان لمـ ـًا أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلست مع أنها قريبة، لأن الله قال: لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر". أي أنه كانت هناك حرب في منطقة أرض الفلست في غزة وعسقلان وكان هناك فلسطينيون عند خروجهم من مصر. لكن الفلست لم يكونوا موجودين في هذه المنطقة في عصر رمسيس الثاني فقد بدأ غزو الفلست في عصر ابنه مرنبتاح، وتحدثنا عن أن اللوح الذي نطلق عليه "لوح إسرائيل" مخصص في الأساس لوصف حرب شعوب البحر التي وقعت في العام الخامس من حكم مرنبتاح، أي عام ١٢٠٧

قبل الميلاد. لكن الفلست[1] وشعوب البحر الآخرين جاءوا من الغرب من ناحية ليبيا. والفترة التي جاء فيها الفلستينيون إلى مصر من الشمال الشرقي من منطقة غزة وما حولها "أرض الفلستينيين" وحاربوا المصريون هناك كانت أكثر تأخرا، وذلك في فترة حكم رمسيس الثالث حوالي سنة ١١٧٥ قبل الميلاد.

إذن بدأ الاستعباد بحسب المعطيات في قصة العهد القديم في نهاية فترة حكم رمسيس الثاني على ما يبدو، وحدث الخروج بعد خمسة وثلاثين سنة من ذلك التاريخ.

**في عهد رمسيس الثالث.**

أجل، بعد خمس وثلاثين سنة من العبودية، أي أن بني إسرائيل مكثوا في مصر بحسب الإشارات التاريخية التي في القصة حوالي أربعين سنة.

**وهو ما يعتبر قليلا بالنسبة لعبودية أربعمائة سنة أو أربعمائة وثلاثين سنة الموجودة في المصادر...**

أجل. ربما انعكس ذلك في "الأربعين سنة في الصحراء". لكن ماذا أصنع حقا مع الأربعمائة أو الأربعمائة وثلاثين سنة؟

أعتقد – وهو ما ذكرته في كتابي **من أين جئنا**[2] - أن وراء فترة الأربعمائة سنة رؤية تربط بشكل ما بين عصر الهكسوس في مصر وبين وجود بني إسرائيل

[1] لم تكن مجموعات البلست/الفلست ضمن تلك المجموعات البشرية التى هاجرت الي مايوازي حاليا إقليم برقة واستقرت هناك، وحاولت لاحقا مع مجموعات ليبية التحرك شرق باتجاه غرب دلتا نهر النيل.

[2] قنوهل، إسرائيل، من أين جئنا؟ بنو إسرائيل النشأة والتطور الديني، الشفرة الوراثية للعهد القديم، ترجمة: عمرو زكريا خليل، مكتبة النافذة ٢٠١١.

فيها، وهي[1] موجودة أيضا عند كاهن مصري كتب في فترة الهيكل الثاني، سنتحدث عنه لاحقا.

**هل تقصد مانيتون[2]؟**

أجل، مانيتون[3] الذي ربط بين قصة الهكسوس وقصة بني إسرائيل. أي لدينا هنا وجهة نظر تربط بين غزو الكنعانيين لمصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد وبما حدث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد – خروج أبناء يعقوب من مصر. وبحسب وجهة النظر هذه فإن لدينا مسيرة أربعمائة سنة. وهو ما عرضته في كتابي "**من أين جئنا**"

أود الآن تناول أحد المعطيات الذي يعدونه متزامنا تاريخيا بشكل عام وأنا أود أن أزعم أيضا أنه غير متزامن تاريخيا: فعندما جاء إخوة يوسف إلى مصر دار نقاش بين يوسف وفرعون حول مكان إقامتهم لأنهم رعاة أغنام والمصريون لا يحبون رعاة الأغنام. وما ورد في سفر التكوين الإصحاح ٤٧: ١١ يقول: "וַיּוֹשֵׁב יוֹסֵף, אֶת-אָבִיו וְאֶת-אֶחָיו, וַיִּתֵּן לָהֶם אֲחֻזָּה בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם, בְּמֵיטַב הָאָרֶץ בְּאֶרֶץ רַעְמְסֵס-כַּאֲשֶׁר, צִוָּה פַרְעֹה - فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكا في أرض مصر، في أفضل الأرض، في أرض رعمسيس كما أمر فرعون". أين أسكنهم؟ في أرض رعمسيس.

يذكر الباحثون عموما كيف يمكن الحديث عن أرض رعمسيس؟ فرمسيس سيتولى الحكم بعد فترة من الوقت. وأنا أقول، كلا، كلا. لقد جاءوا إلى مصر

[1] وهو ربط خاطئ.

[2] مانتيون مؤرخ مصري قديم من مدينة سمنود بالغربية؛ عمل كاهنا في عصر الملك بطليموس الثاني ٢٨٠ ق.م تقريبا، والذي كلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة.

[3] لم يكن مانيتون، ولكن ما تم نقله عنه في اقتباس يوسيفوس الكاتب اليهودي في مؤلفه ردا علي اتهامات الكاتب السكندري ابيون لليهود بخيانة مصر خلال صراعها ضد الرومان.

بالفعل في عصر رمسيس الثاني لأن المجاعة الكبرى بدأت في نهاية عصره، في العقد الأخير من حكمه في عام ١٢٢٥ قبل الميلاد تقريبا. وما هو نزول أبناء يعقوب إلى مصر في نظري؟ لقد تحدثنا عنه من قبل؛ فهذا النزول مرتبط بجماعة يعقوبئيل من أدوم. وكما ذكرنا فإن لدينا شهادة مصرية عن الشاسو من أرض أدوم الذين هبطوا إلى مصر بسبب الجوع والعطش. وهكذا كان نزول أبناء يعقوب إلى مصر. وذكرنا أيضا أن أزمة المجاعة الكبرى بدأت في العقد الأخير من عهد رمسيس الثاني، وكان الناس يأتون إلى مصر بأغنامهم؛ فهم لا يستطيعون الاستمرار في العيش في أدوم. وكما أشرنا في لقائنا السابق؛ فالحديث هنا ليس عن فترة مجاعة قصيرة وموسمية تسمح بإنقاذ الأغنام ثم يعودون إلى أرض أدوم في العام التالي. لقد كانت أزمة اجتاحت كل المنطقة حول البحر المتوسط وشرقه واستمرت نحو خمسين سنة متتالية ولا يمكن العودة إلى أدوم مع الأغنام. لكن كيف سيعيشون في مصر؟ فالظروف الزراعية والحضارية في مصر لا تسمح لهم برعاية الأغنام. فلا توجد مراعٍ، كما أن المصريين يمقتون رعاة الأغنام لأن الكبش في نظرهم حيوان مقدس يرمز إلى الإله أمون. ومنطقي أيضا أن يأخذ المصريون مهاجري المجاعات للعمل في البناء؛ لذلك تبدو لي قصة استعبادهم في مصر وتحويلهم إلى عمال لبناء مدينة رعمسيس أمرا طبيعيا يناسب المعطيات الاقتصادية لعصر المجاعة الكبرى([1]). فتخرج مجموعة من أبناء جماعة يعقوبئيل من أرض أدوم في عصر المجاعة الكبرى في نهاية عصر رمسيس الثاني وتأتي إلى مصر ثم يأخذهم المصريون كأيدٍ عاملة رخيصة، للعمل العام.

---

[1] قضية استخدام الآسيويين للعمل ضمن المنازل والمعابد وفي أعمال التعدين المصرية ليست استثناء وعكستها المصادر النصية عن عشرات الأجانب في المواقع المصرية من عصر الدولة الوسطى.

**عذرا للمقاطعة، لأني سأتصل بزوجتي الآن. أربعون سنة، وليس أربعمائة؟ ليلة الفصح في الأسبوع المقبل سأخبرها أن تعد القليل من طعام «القنايدلاخ»[1] فمن الممكن تقليص الاحتفال بليلة العيد. أربعون سنة ... ليس بالأمر الفظيع.**

هل أفهم أنك تصنع «القنايدلاخ» بحسب عدد السنين؟ هل قمت بإعداد أربعمائة منه في ليلة الفصح حتى هذا العام؟

**لكن جديا يا بروفسور! هل انتهت المجاعة وتركوا مصر؟**

كلا. كلا. في رأيي أنهم غادروا في ظروف معينة محددة وذلك مسجل أيضا عند مانيتون[2] وفي العهد القديم والوثائق المصرية القديمة كذلك. والأحداث التي أود الحديث عنها هنا مرتبطة بانتهاء الأسرة التاسعة عشر وبداية الأسرة العشرين. وهنا أريد التقدم بحذر خطوة بخطوة، وربما أبدأ بمانيتون.

مانيتون كاهن مصري عمل وكتب في القرن الثالث قبل الميلاد. ونحن نعرف كلامه عن الخروج من مصر من اقتباسات المؤرخ اليهودي المعروف يوسف بن متتياهو (يوسيفوس فلافيوس) الذي عاش في نهاية فترة الهيكل الثاني.

وهو الموثـق الرئيس لخراب الهيكل الثاني على يد الرومان عام ٧٠ ميلاديا، واحتلال قلعة المسادا[3] وانتحار حاميتها عام ٧٤ ميلاديا. فإلى جانب كتاباه الرئيسان: «حروب اليهود» و«تاريخ اليهود»، كتب يوسيفوس كتاب جدلي اسمه

---

[1] من الأطعمة التقليدية لعيد الفصح عند اليهود الأشكناز، وهو مصنوع من الدقيق والبيض والتوابل، ويخبز على شكل كرات ويوضع في الحساء.

[2] النص الأصلي له فقد في حريق مكتبة الاسكندرية خلال صراع كليوباترا وقيصر روما في نهاية الأسرة البطلمية الحاكمة علي مصر

[3] يوجد على قمة جبل مسادا موقع أثري يحمل نفس الاسم ويشمل على بقايا قلعة قديمة وقصر محصن تم بناؤهما في نهاية القرن الأول قبل الميلاد بأمر هيرودس الكبير الذي ملك آنذاك على مملكة يهوذا.

«ضد أبيون». وأبيون كاتب مصري يوناني اليهود القاطنين الإسكندرية آنذاك، كتب كتابا ضد اليهود في النصف الأول من القرن الأول الميلادي. واستخدم كتابات قديمة جدا للكاهن المصري مانيتون الذي عاش وعمل في القرن الثالث قبل الميلاد كما ذكرت. ولقد ضاع كتاب أبيون لكن لدينا مقدمات منه تشمل اقتباسات من مانيتون في كتاب يوسيفوس.

وعندما نحاول تجريد قصة مانيتون من كل الخطوط الأسطورية التي فيها، سنحصل على الإيجاز التالي: جاء الهكسوس[١] من كنعان واستولوا[٢] على مصر وطردوا منها على يد أحد الفراعنة بعد فترة معينة عائدين إلى كنعان. وسكنوا بحسب مانيتون في أورشليم؛ أي أنه يربطهم بالإسرائيليين بشكل واضح. واستكمالا لكلامه يحكي مانيتون عن فرعون يدعى أمنوفيس الذي أراد رؤية المعبودات. فقال له مستشاره إنه إذا قام بتطهير أرض مصر من المجذومين فسيحظى برؤية المعبودات. يجمع أمنوفيس كل المجذومين في أرض مصر ويسكنهم في أرض أواريس المهجورة، التي كانت العاصمة السابقة للهكسوس.

يتمرد المجذومون على أمنوفيس وينصبون كاهنا مجذوما قائدا لهم عمل سابقا في معبد إله الشمس في هليولوبيس وهو «أون» في العهد القديم. يقدم «أوسارسيف» دينا جديدا للمجذومين مخالفا للديانة المصرية. فاحتقروا المعبودات والحيوانات المصرية المقدسة التي ذبحوها وقاموا بشيها وأكلها.

**يبدو مثل قربان الفصح، هذه الشاة التي يجب ربطها في الفراش ثم ذبحها بعد ذلك ...**

في كلامك بعض الحقيقة على ما يبدو، فيجب شواء قربان الفصح (انظر سفر الخروج ١٢: ٩) لكن دعنا نكمل قصة مانيتون عن أوسارسيف وأنصاره. أرسل

---

[١] حقا خاسوت في اللغة المصرية :حكام الأراضي الصحراوية/الأجنبية.

[٢] أقاموا دويلة مدينة لهم في شرق دلتا نهر النيل.

أوسارسيف الرسل إلى خارج مصر للحصول على دعم عسكري له. فتوجه إلى أحفاد الهكسوس في أورشليم فجاءوا بالآلاف من أرض كنعان لمساعدة أوسارسيف والمجذومين، وكونوا معا قوة قوية واستولوا على مصر.

أمر الفرعون أمنوبيس الذي خشي أن يهينوا آلهة مصر وحيواناتها المقدسة؛ كهنته بتخبئة تماثيل المعبودات في أماكن غير معلومة، وجمع هو الحيوانات المقدسة من جميع أنحاء مصر بنفسه وفر بها مع جنوده إلى بلاد الحبشة وأعطى ابنه ستي رمسيس الذي كان طفلا في الخامسة في ذلك الوقت إلى أحد أصدقائه. قام المجذومون وحلفاؤهم من أورشليم في ذلك الوقت بنهب المعابد المصرية وتدنيس تماثيل المعبودات وذبح الحيوانات المقدسة وأكلها. وعن ذلك يقول مانيتون إن أوسارسيف، زعيم المجذومين، غير اسمه عندما انضم إلى الأورشليميين وأصبح اسمه الجديد موسى.

وبعد مرور سنوات خرج أمنوفيس على رأس جيش كبير من بلاد الحبشة وعاد إلى مصر ومعه ابنه رمسيس الذي كان قد كبر وحارب اتحاد قوات المجذومين والأورشليميين وطاردهم حتى جبال سورية.

يدور خلاف بين الباحثين حول ما إذا كان الربط بين أوسارسيف وموسى من عمل مانيتون نفسه أم أضيف إلى كتاباته في فترة متأخرة. على أي حال إذا حذفنا من هذه القصة الأمور العدائية الناتجة عن كراهية إسرائيل مثل وصف موسى ورجاله بالمجذومين؛ فستصبح لدينا قصة عن مجموعة داخل مصر تعادي الديانة المصرية وتعارض عبادة المعبودات المصرية وتبجيل الحيوانات المقدسة. وتحصل هذه الجماعة على تعزيزات خارجية من الشمال من ناحية كنعان، وتسيطران معا على مصر حتى يأتي الفرعون أمنوفيس ويقوم بطردهم من مصر بمساعدة ابنه رمسيس.

لدينا هنا قصة تتشابك فيها عناصر دينية وسياسية: يظهر الجانب الديني في ازدراء المعبودات المصرية والحيوانات المقدسة وإهانتها بها. لكن هناك أيضا صراع سياسي وعسكري على الحكم في أرض مصر. وتستولي جماعة أوسارسيف - موسى على مصر بمساعدة من القوات المعاونة القادمة من الشمال.

**دعني أفهم! كم كان عدد جماعة المجذومين ...**

عشرات الآلاف.

**تبدو لي جماعة أصغر بكثير ...**

كان عددهم ثمانين ألفا بحسب رواية مانيتون[1].

**وتلقوا التعزيزات من الخارج، فما حجم هذه التعزيزات؟**

انضم إليهم عشرون ألف جندي من أورشليم.

**والآن، كيف نحاول ربط ذلك ببني إسرائيل؟**

بالتدريج، خطوة بخطوة. لقد انتبه توماس ريمر باحث العهد القديم الذي يقوم بالتدريس في باريس، وقال: لحظة! لدينا شيء مثير للاهتمام في قصة مانيتون عن هؤلاء الأجانب الذين يأتون من الخارج وينضمون إلى القوة تحت قيادة موسى. ولماذايقول إن هذا الأمر مثير للاهتمام؟ لأنه يذكرنا كثيرا بالكلمات التي قالها فرعون في بداية القصة في سفر الخروج. ففرعون يعلل قراره باستعباد بني إسرائيل في مصر بحسب رواية سفر الخروج الإصحاح الأول ...

**"וּבְנֵי יִשְׂרָאֵל, פָּרוּ וַיִּשְׁרְצוּ וַיִּרְבּוּ וַיַּעַצְמוּ-בִּמְאֹד מְאֹד; וַתִּמָּלֵא הָאָרֶץ, אֹתָם - وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرا جدا وامتلأت الأرض منهم".**

---

[1] المشكلة هنا ان كتابات مانيتون فقدت في حريق مكتبة الاسكندرية، وإن ما يشار هنا إليها هو اقتباس من المؤرخ اليهودي يوسيفوس بما له من انتماءات عقائدية.

بالضبط، هم يكثرون ويتكاثرون ويتزايدون ثم يروى: "וַיֹּאמֶר, אֶל-עַמּוֹ: הִנֵּה, עַם בְּנֵי יִשְׂרָאֵל-רַב וְעָצוּם, מִמֶּנּוּ. הָבָה נִתְחַכְּמָה, לוֹ: פֶּן-יִרְבֶּה, וְהָיָה כִּי-תִקְרֶאנָה מִלְחָמָה וְנוֹסַף גַּם-הוּא עַל-שֹׂנְאֵינוּ, וְנִלְחַם-בָּנוּ, וְעָלָה מִן-הָאָרֶץ - فقال لشعبه: "هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نختال لهم لئلا ينمو، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض (الخروج ١: ٩-١٠ ). أي يطرح هنا أيضا سيناريو يقول بإنه ستكون هناك قوة مشتركة لعدو خارجي ينضم إلى العدو الداخلي.

يزعم ريمر الذي يؤخر زمن أسفار كثيرة في العهد القديم بأن القصة الواردة في الإصحاح الأول من سفر الخروج ظهرت متأخرة جدا وأن مؤلفها اقتبس هذه الفكرة من مانيتون. وأنا لا أقبل هذا بالطبع، مع ذلك فالشبه بين قصة مانيتون وما هو وارد في سفر الخروج بهذا الشأن مثير للاهتمام والتفكير بالطبع.

إن قصة الخروج من مصر قصة معقدة للغاية لها في الحقيقة وجهان. فهي من ناحية قصة عن مجموعة من العبيد المساكين المستعبدين في مشروعات البناء المصرية. ثم يظهر لها زعيم يمتلك كاريزما اسمه موسى، فتنجح في الهروب من مصر تحت زعامته – "וַיֻּגַּד לְמֶלֶךְ מִצְרַיִם, כִּי בָרַח הָעָם - فلما أخبر الملك أن الشعب قد هرب،" (سفر الخروج ١٤: ٥).

وفي المقابل فالقصة بها خطوط مختلفة تماما تذكر أنهم يطردون لأنهم يخشوهم، وليس أنهم يهربون: "כִּי-גֹרְשׁוּ מִמִּצְרַיִם - لأنهم طردوا من مصر" (الخروج ١٢: ٣٩). وهم ليسوا مساكين جدا، فزعيمهم موسى شخصية محترمة في مصر: "גַּם הָאִישׁ מֹשֶׁה, גָּדוֹל מְאֹד בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם, בְּעֵינֵי עַבְדֵי-פַרְעֹה, וּבְעֵינֵי הָעָם - أيضا الرجل موسى كان عظيما جدا في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب" (الخروج ١١: ٣).

**كما أنهم يخرجون بممتلكات عظيمة ...**

صحيح، يخرجون بممتلكات عظيمة. فالله يلقي المحبة في قلوب المصريين فيعطوهم الذهب والفضة، وأمتعة فضة وأمتعة ذهب (انظر سفر الخروج ١١: ٢-٣؛ ١٢: ٣٥-٣٦). كما هناك نص لا يعرف المفسرون ماذا يصنعون به، ولقد أخرجته الترجمة السبعينية عن معناه البسيط، مكتوب فيه: "וַחֲמֻשִׁים עָלוּ בְנֵי יִשְׂרָאֵל מֵאֶרֶץ מִצְרָיִם – وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر"[1] (سفر الخروج ١٣: ١٨)، "مسلحين" بكل بساطة، فهذه ...

**أسلحة.**

أجل. أسلحة. سلاح! جنود! جيش! كيف يمكن ذلك؟ أليسوا عبيدا مساكين، فكيف حصلوا على السلاح؟

توجد فقرات أخرى تصف الخروج بشكل عسكري: "וַיִּסְעוּ בְנֵי יִשְׂרָאֵל מֵרַעְמְסֵס סֻכֹּתָה כְּשֵׁשׁ מֵאוֹת אֶלֶף רַגְלִי הַגְּבָרִים לְבַד מִטָּף וְגַם עֵרֶב רַב עָלָה אִתָּם - فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت، نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد. وصعد معهم لفيف كثير أيضا.." (سفر الخروج ١٢: ٣٧-٣٨).

سندرس في البداية الكلمات: "ستمائة ألف ماش. فكلمة "רגלי - ماش" وردت أحد عشر مرة في العهد القديم، مرتان في سياق الخروج من مصر أما التسعة الآخرين ففي سياق عسكري - حربي خالص. فمصطلح "רגלי" يشير إلى جنود المشاة ويميزهم عن سلاح الفرسان أو العربات.

وقال الباحثون أيضا إن العدد ستمائة ورد في مواضع مختلفة في العهد القديم كعدد لوحدة عسكرية. ويبدو أن العدد ستمائة هو العدد المعروف

---

[1] جاءت كلمة חמושים في الترجمة المعتمدة بمعنى متجهزين؛ غير أن معنى كلمة "חמושים" في اللغة العبرية تعني "مسلحين".

لكتيبة الجنود؛ إذن فوصف الرجال الخارجين من مصر بـ"ستمائة ألف ماشٍ" معناه ألف كتيبة من جنود المشاة.

لا أود القول أن ذلك كان بالفعل عدد الرجال الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى؛ لكني أقصد الإشارة إلى أن الراوي اعتبرهم قوة عسكرية. فالطابع العسكري للخروج من مصر ظاهر أيضا في الاستخدام المتكرر لمصطلح "צבאות – جنود" فيما يتعلق بالخارجين من مصر (سفر الخروج ٦: ٢٦؛ ١٢: ١٧، ٤١، ٥١).

نتحول الآن إلى الفقرة ٣٨ المكتوب فيها: "וְגַם עֵרֶב רַב עָלָה אִתָּם – وصعد معهم لفيف كثير أيضا".

**ما هو " ערב רב – اللفيف؟"**

نحن نفسر هذا المصطلح بشكل عام على أنه العامة، خليط من المصريين وأبناء الشعوب الأخرى الذين رافقوا بني إسرائيل عند خروجهم من مصر. ولقد ظهرت كلمة "ערב" بمعنى مشابه مرة واحدة في العهد القديم (نحميا ١٣: ٣)، لكنها وردت في العهد القديم أكثر من مرة، وهي ترادف الكلمة الأكدية "אורבי - أوربي"، وتحمل معنى آخر.

وفي سفر إرميا الإصحاح ٢٥ تتحدث الفقرات ١٩ و٢٠ عن فرعون، ومكتوب فيها: "אֶת פַּרְעֹה מֶלֶךְ מִצְרַיִם וְאֶת עֲבָדָיו וְאֶת שָׂרָיו וְאֶת כָּל עַמּוֹ וְאֵת כָּל הָעֶרֶב - وفرعون ملك مصر وعبيده ورؤساءه وكل شعبه، وكل اللفيف..". وكذلك في سفر إرميا الإصحاح ٥٠ الفقرات ٣٥، ٣٧ ورد فيها عن الكلدانيين: "חֶרֶב עַל כַּשְׂדִּים נְאֻם ה' וְאֶל יֹשְׁבֵי בָבֶל וְאֶל שָׂרֶיהָ וְאֶל חֲכָמֶיהָ ... חֶרֶב אֶל גִּבּוֹרֶיהָ וָחָתּוּ. חֶרֶב אֶל סוּסָיו וְאֶל רִכְבּוֹ וְאֶל כָּל הָעֶרֶב אֲשֶׁר בְּתוֹכָהּ - سيف على الكلدانيين، يقول الرب وعلى سكان بابل وعلى رؤسائها وعلى حكمائها ... سيف على أبطالها فيرتعبون، سيف على خيلها وعلى مركباتها وعل كل اللفيف الذي في وسطها".

أي يذكرون הערב اللفيف في سياق الأبطال والخيول والعربات. وكذلك في نبوءة حزقيال عن مصر في الإصحاح ٣٠ الفقرات ٤، ٥ حيث يقول: "וּבָאָה חֶרֶב בְּמִצְרַיִם וְהָיְתָה חַלְחָלָה בְּכוּשׁ ,בִּנְפֹל חָלָל בְּמִצְרָיִם ... כּוּשׁ וּפוּט וְלוּד וְכָל הָעֶרֶב - ويأتي سيف على مصر، ويكون في كوش خوف شديد، عند سقوط القتلى في مصر ... كوش ولود وكل اللفيف".

أبدى معلمي البروفسور موشه جرينبرج في تفسيره لسفر حزقيال في الطبعة الإنجليزية لسلسلة تفسيرات Anchor Bible صفحة ٦٢٢: ملحوظة قصيرة جدا بهذا الخصوص. ما هو اللفيف؟ اللفيف هو Mercenary unit أي وحدات مرتزقة.

وتفسير مشابه لكلمة "اللفيف" في سفر حزقيال ٣٠: ٥ ذكره أيضا الباحث الألماني فالتر تسيمرلي في تفسيره لسفر حزقيال. كما كتب باحث العهد القديم المهم البروفسور موشه فاينفلد عن "اللفيف" في دائرة معارف العهد القديم، واقترح أن الكلمة في الفقرة الواردة في سفر حزقيال وكذلك في فقرات أخرى ذكرتها من قبل من سفر إرميا تشير إلى المرتزقة الأجانب.

لدينا هنا مصطلح مقابل في الأدب الأشوري وهو أوربي Urbi ورد المصطلح كذلك في سياق حرب سنحريب ضد حزقيا. يحكي سنحريب عن حربه ضد أرض يهوذا بقيادة حزقيا في عام ٧٠١ قبل الميلاد. وكما ذكرنا فقد احتل سنحريب معظم أرض يهوذا ودمرها وحرقها ثم حاصر القدس ولم ينجح في احتلالها ووصل في نهاية الأمر إلى تسوية مع حزقيا. ويحكي أنه أغلق على حزقيا كالعصفور في القفص ثم أخذ منه الفضة والذهب والسراري، وكذلك سلاح "الأوربي".

واقترح بعض الباحثين أن الحديث هنا عن كتائب اللفيف، لكن البروفسور حاييم تدمور الباحث الكبير في علم الأشوريات، كتب مقالا عن "الأوربي" أوضح

فيه أن المصطلح في كلام سنحريب عن حربه لحزقيا وكذلك في الوثائق الأشورية الأخرى التي يظهر فيها معناه "سلاح المرتزقة". إذن لدينا هنا ترادف بين المصطلح الأشوري وبين المصطلح "ערב - لفيف" في الفقرات الواردة في سفري إرميا وحزقيال. فكل هذه المصادر تشير إلى وحدة عسكرية من المرتزقة الأجانب.

لنعد الآن بكل ذلك إلى الفقرة الواردة في سفر الخروج التي تصف خروج بني إسرائيل من أرض مصر: "وصعد معهم لفيف كثير أيضا" فما معنى ذلك؟ الواقع يقول إن كثير من المرتزقة قد صعدوا معم".

**ندرك الآن لماذا ذكر أن بني إسرائيل صعدوا من مصر مسلحين ...**

صحيح! هم مسلحون لأنه كان فيهم عسكريون، وكذلك مرتزقة عاونوهم. مثل قصة مانيتون بالضبط.

**أي أن هؤلاء "اللفيف" هم في حقيقة الأمر الهكسوس الذين تم طردهم من مصر إلى كنعان قد جاءوا الآن لمساعدتهم؟**

أنا لم أذكر الهكسوس. عند مانيتون هكسوس. وأنا لا أناقش الآن الهوية العرقية لـ"لفيف" لكني أخمن فقط أنه في ضوء السياق العسكري لهذه الفقرات فإن الكلام هنا عن وحدتين عسكريتين عملتا معا: ستمائة ألف مشاة من بني إسرائيل؛ أي ألف كتيبة من المشاة من بني إسرائيل، وإلى جانبهم عدد كبير من المرتزقة الأجانب "اللفيف". أي أن الخروج من مصر لم يكن بحسب هذه الفقرات خروجا لعبيد كانوا مستعبدين فقط – وأنا لا أنكر وجود العبيد المتحررين، ولا أرفضه – لكن يوجد عنصر عسكري – حربي: جنود مسلحون من بني إسرائيل ومرتزقة أجانب جاءوا من الخارج لمساعدتهم.

**أود الآن ترتيب الأمور في رأسي. تحدثنا الآن عن الخروج. فماذا عن الدخول؟ هل هم أبناء يعقوبئيل أنفسهم الذين هبطوا إلى مصر؟**

صحيح.

**يعقوبئيل بعد المجاعة في منطقة أدوم؟**

أجل. هبط بعض أبناء يعقوبئيل من أدوم إلى مصر بعد المجاعة. وحدث الخروج بعد فترة غير طويلة؛ أربعين سنة تقريبا – وسأشير إلى التاريخ الدقيق فيما بعد – لكن هذا الخروج عند مانيتون، ليس خروج ...

**عبيد مساكين ...**

صحيح، ليسو عبيدا مساكين أو على الأقل ليس خروج عبيد مساكين **فقط**، لكن هناك أيضا صراع عسكري وحربي تستعين فيه مجموعة موجودة في مصر بالمرتزقة من الخارج القادمين من الشمال، فيحاولون الاستيلاء على مصر عبر هذه القوات المشتركة لكنهم يطردون من مصر جميعا في نهاية هذا الصراع.

**هل يمكنك محاولة تحديد تاريخ الطرد؟**

أجل. أعتقد أنه من الممكن التحديد الدقيق للتاريخ الذي وقعت فيه هذه الأحداث التي تعد في رأيي أساس رواية العهد القديم، وكذلك خلفية رواية مانيتون.

أعود إلى قصتنا عن بيا-يوسف، وسي بتاح الفرعون الطفل الذي يجلسه "بيا" على العرش. فكما ذكرنا من قبل كانت الملكة الأرملة تاوسرت تعمل إلى جانب بيا. وكانت كما أشرنا أرملة ستي الثاني ابن مرنبتاح. وكنت قد ذكرت في بداية لقائنا اليوم أن سيبتاح بعد خمس سنوات من جلوسه على العرش يمقت الوصي بيا ويقتله. لكن سيبتاح نفسه يموت بعد سنة.

**أهي وفاة طبيعية؟**

لا نعلم. فليس لدينا أي شاهد على ذلك. على أي حال يموت سي بتاح نفسه بعد سنة من إعدام[1] بيا. ولانمتلك أية معلومات تقول إن كانت الوفاة طبيعية

---

[1] المصادر المصرية فيما يتعلق بعقوبة الاعدام تكاد تكون قليلة وبعضها ضمن نصوص أدبية، وليس هناك من تلك الفترة المرجحة ما يدعم مثل تلك العقوبة.

أم لا. فقد كان في السادسة عشرة من عمره تقريبا. ومن المحتمل أن يكون قد مات جراء مرض ما أو ربما قتله أحد. فقد كانت هذه الفترة فترة عصيبة جدا مليئة بالصراعات. وربما قتلته تاوسرت نفسها؛ لأنها جلست على العرش بعد موته وحكمت مصر حكما منفردا. لكن فترة حكمها استمرت سنتين أو ثلاثة فقط، ثم حدث شيء غامض ومثير للدهشة.

**هذا يبدو مثل قصص الإثارة ...**

تصل هذه الأسرة إلى نهايتها وتصعد أسرة جديدة، الأسرة العشرون ومؤسسها هو ست نخت والد رمسيس الثالث الذي سيحارب فيما بعد الفلست وشعوب البحر الآخرين. لكن تولي ست ناختي نفسه للحكم كان أثناء حرب.

**حرب من ضد من؟**

لندع الوثائق تتحدث! لدينا وثيقتان مصريتان مرتبطتان بالموضوع: الوثيقة الأولى بردية ضخمة وهي أكبر بردية موجودة اليوم طولها أربعون مترا تقريبا، وتسمى "بردية هاريس" وتروي شيئا ما: جزءا من الأحجية، والجزء الثاني موجود في اللوح الذي وضعه ست نخت في جزيرة "ابو - إلفنتاين" – (فيلة)؛ وهي الجزيرة التي ستصبح فيما بعد مستعمرة الجنود اليهود الإسرائيليين تحت الحكم الاخميني. وهذان المصدران يكملان بعضهما البعض.

**ماذا جاء في بردية هاريس؟**

تحكي البردية أن أرض مصر كانت مهملة، ولم يكن فيها حاكم واحد. وكان يحكم في كل مكان موظف أو ملك محلي تصارعوا وتقاتلوا فيما بينهم. وهناك ذكر كذلك لـ"سنوات فراغ" ربما تشير إلى حالة المجاعة. ثم جاء فيها التالي: استولى شخص ما على العرش. والكلمة المذكورة في البردية هي «إيرسو» والتي من المحتمل أن يكون معناها في اللغة المصرية: "شخص جعل من نفسه"[1] أو اسم

---

[1] تعنى في اللغة المصرية القديمة خالقه.

علم. ولأننا لا نعرف اسما مثل هذا الاسم لا في مصر أو في أي مكان آخر بالمنطقة، فأنا أرجح الاحتمال الأول.

يحكي النص بحسب هذا التفسير عن شخص ما جعل نفسه أميرا، حاكما؛ أي أنه لا يستحق وراثة عرش الفراعنة وأنه استولى على الحكم بطريقة غير شرعية. كما قيل عنه أنه كان «خارو» أي سوري الأصل من كنعان أو شرق الأردن – فكل هذه المنطقة تسمى «خارو». أي هناك شخص ما سوري الأصل أو كنعاني نصب نفسه أميرا وجعل نفسه حاكما وجمع الضرائب من البلاد واستخف هو وأتباعه بالمعبودات المصرية ومنعوا تقديم القرابين في المعابد.

وتواصل البردية وتحكي عن نقطة التحول: عندما عادت المعبودات المصرية لتشفق على البلاد، أجلست ابنها المولود من جسدها ليكون حاكما، فمن يكون؟ "ست نخت" الفرعون المؤسس للأسرة العشرين؛ حيث أعاد النظام إلى أنحاء البلاد وقتل أصحاب القلوب الشريرة الذين كانوا في مصر وطهر عرش مصر العظيم. وبكلمات أخرى: حارب "ست نخت" هذا الغريب الذي استولى على مصر وأبعده عن العرش والحكم وتولى هو حكم مصر.

أي بعد موت تاوسرت جاء[١] «حارو» شخص من أصل كنعاني، سوري أو من شرق الأردن واستولى على مصر. وكان لديه أنصار كثيرون اعترضوا على المعبودات المصرية وعبادتها. واستولى هو وأنصاره على البلاد لفترة معينة واستغلها اقتصاديا. ثم يقوم ست نخت بمحاربة الأجنبي الذي استولى على

---

١ ربما الأصوب كان أجنبيا خوريا مقيما مثله مثل أجانب آخرين في مصر وانتهز الخلل الداخلي وسيطر علي السلطة وحتى حين.

الحكم في مصر بشكل غير شرعي، ويطرده[1] هو وأنصاره من البلاد ويعيد النظام المفترض والصحيح إلى أرض مصر- بحسب اعتقاده.

لم تكتب هذه الوثيقة زمن الأحداث التي تحكي عنها لكن بعدها بعشرات السنين في نهاية عصر رمسيس الثالث خليفة ست نخت. لدينا أيضا وثيقة أخرى كتبت في فترة قريبة من تلك الحرب على حكم مصر؛ وهي اللوح الذي اكتشف في "أب - إلفنتاين"، ويؤرخ بالسنة الثانية لحكم ست نخت. يحكي اللوح أن ست نخت طهر أرض مصر من أولئك الذين قادوها في الطريق غير الصحيح وأهملوها. ولقد سيطر الخوف على أعدائه وهربوا مثل العصافير التي تهرب من الصقر تاركين وراءهم الذهب والفضة الذي قدمه أعداؤه إلى الأسيويين الذين أرادوا إحضارهم ليكونوا لهم مساعدين وحلفاء. فشل مخطط أعداء ست ناختي في الاستعانة بهذه الإرسالية الحربية الآسيوية التي قدمت لها الذهب والفضة، وطردهم ست نخت من أرض مصر. وبعد طرد الأعداء من أرض مصر التي ساءت أحوالها لدرجة نسيت فيها المعبودات ثم عادت لتكون مخلصة لآلهة مصر.

**من كاتب هذه الوثيقة؟**

يتحدث ست ناختي هنا بضمير المتكلم. ولا أقول إنه هو الذي خطها بنفسه لكنه الشخصية المتحدثة.

**أي أن لدينا مصدرين مصريين يتناولان نفس الحدث.**

[1] النص الهيروغليفي الحرفي في بردية هاريس يشير إلى تجلي الملك ست نخت علي هيئة خبري ست العضوب وأنه أعاد السلام الي الأرض القلقة (مصر) ، وفتك بالغادرين فيها وطهر عرش مصر العظيم.

أجل، مصدران مصريان من بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وإذا أوجزنا ما ورد في الوثيقتين سنجد أن لدينا قصة عن نهاية الأسرة التاسعة عشرة وبداية الأسرة العشرين. وماذا حدث؟

ماتت تاوسرت في عام ١١٨٨ قبل الميلاد تقريبا، بحسب المصادر المصرية، دخلت مصر بعدها في عامين من الصراعات الداخلية، ولم يكن هناك وريث معلن لعدم وجود وريث حي لتاوسرت. ثم يقوم شخص ما من أصل كنعاني أو سوري ويستولي على الحكم. ويحتقر هذا الشخص العبادات المصرية ويمنع تقديم القرابين للآلهة المصرية ويحضر له حلفاء من آسيا[١] من مكان ما في سوريا أو لبنان أو كنعان ويدفع لهم الذهب والفضة، ثم يخرج ست نخت الفرعون الجديد مؤسس الأسرة العشرين ويحارب الغريب الذي يحكم وكذلك أعوانه من المصريين والآسيويين وينجح في طردهم.

**هذا يبدو وصف لموسى بالضبط، هذا السوري الكنعاني ...**

سنصل إلى ذلك لاحقا. إذن لدينا ثلاث مجموعات مختلفة من المصادر: مانيتون الذي حفظت قصته في كتاب يوسيفوس؛ وسفر الخروج في العهد القديم؛ والوثائق المصرية من القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وأزعم أن القصة الأساسية تتكرر في المصادر الثلاثة: هناك جماعة موجودة في مصر تحتقر العبادة المصرية وتطلب مساعدين لها من الخارج من منطقة كنعان بسوريا الذين يهبطون إلى مصر وينضمون إلى المجموعة الموجودة فيها[٢]؛ لكن الفرعون المصري المخلص

---

[١] النص الهيروغليفي لم يدعم مثل تلك النظرية.

[٢] المؤلف يخلط الأحداث المفروض ان ما كان يهدد منطقة الأشرق الأدنى القديم آنذاك تلك المجموعات البشرية لما يسمي اصطلاحا شعوب البحر، بقايا الحضارة المينوية بعد انهيارها وهجرات مجموعاتها البشرية باحثة عن وطن جديد باتجاه بلاد الأناضول ومن ثم عبر سوريا باتجاه مصر ثم الي منطقة برقة، ليبيا أو عبر البحر المتوسط مباشرة الي دلتا نهر

للديانة المصرية ينجح في التغلب عليهم وطردهم. كما تذكر القصة الفضة والذهب الذي يقدمه المواطنون المصريون للأجانب. وكان لهذا الفرعون بحسب مانيتون ابنا اسمه رعمسيس وهو ما يتفق مع "ست ناختي" الذي ورثه ابنه رمسيس الثالث.

وأنا لست أول من يرى وجود علاقة بين المصادر المصرية القديمة وبين العهد القديم؛ فقد تم التأكيد بشكل خاص على الشبه بين الذهب والفضة المذكورين في لوحة "يب" وبين قصة العهد القديم عن أواني الذهب والفضة التي يقدمها المصريون لبني إسرائيل عشية خروجهم من مصر (سفر الخروج ١١: ٢، ١٢: ٣٥). غير أن الباحثين الذين درسوا ذلك قبلي أعتقدوا أن الأجنبي الذي استولى على مصر وحاربه ست ناختي هو "بيا"[١]. كما لم ير أي منهم وجود علاقة بين القصة في هذه الأحداث وبين قصة مانيتون.

اليوم نعلم أن "بيا" قد أعدمه سي بتاح قبل ذلك، لذا أقول إن الصراع على الحكم في مصر والذي حدث بعد عدة سنوات من موت بيا وسي بتاح لا يمكن أن يكون مرتبط ببيا-يوسف؛ لكن بشخصية أخرى، وهي موسى.

وبعد أن فهمنا أن "اللفيف" في قصة الخروج من مصر هم جيش من المرتزقة، أقدم هنا تفسيرا جديدا يقول إن كل هذه المصادر تصور حدثا تاريخيا واحدا. كما أزعم أن الخروج من مصر قد حدث في سنة محددة تماما وذلك في السنة الثانية من حكم الفرعون ست ناختي عام ١١٨٦ قبل الميلاد تقريبا. وأن

---

النيل وهو ما أكدته النصوص والمناظر المصرية من عهد رمسيس الثالث خليفة ست نخت، الأسرة العشرين.

[١] المصادر المصرية لم تشر سوي الي ايرسو، السوري في تلك المرحلة الزمنية الانتقالية من نهاية الأسرة التاسعة عشر الي العشرين.

القائد السوري الذي تتحدث عنه هذه المصادر الذي قام بازدراء الديانة المصرية واستدعى المرتزقة من كنعان أو من سوريا أو لبنان هو ...

**موسى الذي نعرفه.**

موسى الذي نعرفه.

**لقد ذكرت أنها أمضوا في مصر أربعين سنة. فهل هذا يتوافق مع اكتشافك؟**

أقول إنهم جاءوا إلى مصر في وقت المجاعة الكبرى في نهاية عصر رمسيس الثاني في حوالي عام ١٢٢٥ قبل الميلاد، وخرجوا تقريبا في بداية حكم ست نخت في عام ١١٨٦ قبل الميلاد؛ أي أربعون سنة.

هناك سؤال يطرح نفسه: من كان هؤلاء الجنود المرتزقة؟ يتحدث مانيتون عن هكسوس من أورشليم؛ ويعتقد دانإل كاهان الباحث في التاريخ المصري بجامعة حيفا بحسب وثائق مصرية أن المرتزقة جاءوا من لبنان من مملكة أمورو وهي نفس الجماعة العرقية التي يسميها العهد القديم "أموري". وهذا تخمين مقبول. على أي حال فقد جاء جيش كبير من المرتزقة لمساعدة موسى وأتباعه في مصر، ويحكي لوح ست نخت عن ذلك في"أبو - ألفنتين" كما حكي مانيتون عن ذلك وهذا هو "اللفيف" المذكور في قصة العهد القديم للخروج من مصر.

وعندما نتمعن مرة أخرى في المكتوب عن موسى: "גַּם הָאִישׁ מֹשֶׁה גָּדוֹל מְאֹד בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם - أيضا الرجل موسى كان عظيما جدا في أرض مصر" (الخروج ١١: ٣) سندرك أن المكتوب هو وصف للمكانة التاريخية لموسى. فقد كان

عظيما حقا في كل أرض مصر، وكان لديه أتباع مسلحين[1] صعدوا معه من أرض مصر ومعهم قوة من المرتزقة، "اللفيف".

إذن فـ بعد موت تاوسرت، التي لم تترك وريثا معروفا كما ذكرنا اعتبر موسى نفسه وهو الذي تربى وتعلم لفترة معينة في البلاط الملكي المصري وعرفه جيدا؛ جديرا بالجلوس على عرش الفرعون؛ ومن أجل الوصول إلى هذا الوضع الذي يسمح له بالاستيلاء على المملكة وطلب قوة أجنبية من المرتزقة عليه أن يكون - **مندمجا في الحياة السياسية.**

نعم، مندمجا في الحياة السياسية المصرية. اسم "موسى" –ـِمسس اسم مصري تماما، لكنه من أصل «خوري»[2] كما ورد في بردية هاريس. وأعتقد أن والديه كانا من جماعة بني إسرائيل التي هبطت من أدوم إلى مصر في زمن المجاعة. ونشأ في بلاط الملك تحت رعاية الملكة تاوسرت في ظروف سنحاول فهمها في لقائنا المقبل. وعندما ماتت تاوسرت اعتبر نفسه جديرا بل ويحق له الاستيلاء على عرش مصر والمملكة وإنه يستطيع استخدام قوة أبناء شعبه "بني يعقوبئيل" المستعبدين في مصر لتحقيق هذا الهدف ثم محاولة طلب التعزيزات من الخارج من "اللفيف" القادمين من هناك؛ جيش المرتزقة.

**بمثابة جيش من الأجانب ...**

---

[1] كيف وهم من خرجوا اختارو طريقا صعبا للهروب من ملاحقة جيش مصر بقيادة الفرعون، وأيضا تجنبا لخط التحصيان الشهير المصري عبر شمال سيناء فيما يعرف بطرق حورس.

[2] هذا يتناقض مع العبارة السابقة من أصل لغوي لمعنى اسمه في النصوص المصرية : سا مو بمعنى ابن الماء كما سلفت الاشارة إلى ذلك من قبل.

جيش من الأجانب[1] ورد ذكره في لوح "يب" وكذلك عند مانيتون، كل بصيغته. إذن لدينا هنا صراع بين قوتين على الحكم في أرض مصر. ويخسر موسى ورجاله، ويطردون من مصر ويتجهون إلى أرض كنعان. هذه هي القصة وهذا هو الخروج من مصر في رأيي.

**وقصة شق البحر...**

إن كنت قد ذكرت شق البحر فأريد القول هنا إن الزمن التاريخي للخروج من مصر يظهر كما عرضت من قبل في أنشودة البحر.

تحدثنا من قبل عن الفقرة التي تقول: "וְלֹא נָחָם אֱלֹהִים דֶּרֶךְ אֶרֶץ פְּלִשְׁתִּים כִּי קָרוֹב הוּא כִּי אָמַר אֱלֹהִים פֶּן יִנָּחֵם הָעָם בִּרְאֹתָם מִלְחָמָה וְשָׁבוּ מִצְרָיְמָה – أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلست مع أنها قريبة، لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر". (الخروج ١٣: ١٧). وقلنا إن المقولة التي تقول بأن الفلستينين حاربوا المصريين في منطقة "أرض فلسطين" أثناء الخروج من مصر لا تتوافق مع عصر رمسيس الثاني أو مرنبتاح، لكنها تتوافق مع ما حدث في عصر ست ناختي وابنه رمسيس الثالث حيث دارت المعارك وقتها بين شعوب البحر والفلستينيين وبين مصر. في الحقيقة أريد أن أقول إن أنشودة البحر تقدم تعبيرا عن وجود فلسطيني فيما نسميه "أرض الفلست" أثناء خروج بني إسرائيل من مصر. لذلك يجب أن يكون الخروج قد حدث في تلك الفترة تقريبا ولا يمكن أن يحدث في عصر رمسيس الثاني؛ لأنه ماذا ورد في قصيدة البحر؟ وصف الخوف الذي أحاط كل سكان الأرض.

---

[1] إذن كانت هناك مجموعات شعوبية تهدد مناطق نفوذ مصر في آسيا، بل وتحاول الدخول إلى أرض مصر ذاتها عبر سوريا ومن برقة اللبية أو عبر البحر المتوسط فهي مجموعات البشر لتلك الحضارة المنهارة المينوية السالف الاشارة لها ووقع عبء مواجهتها في فترات حكم رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح من الأسرة التاسعة عشر ومن عهد رمسيس الثالث في عهد الأسرة العشرين.

**"تأخذ الرعدة سكان فلسطين ..."**

صحيح. ففي سفر الخروج ١٥ يتم استعراض أسماء الأماكن بالترتيب الجغرافي من الغرب إلى الجنوب، ثم إلى الشرق. فتذكر الفقرات ١٤-١٥: "שָׁמְעוּ עַמִּים יִרְגָּזוּן ,חִיל אָחַז ישְׁבֵי פְּלָשֶׁת ,אָז נִבְהֲלוּ אַלּוּפֵי אֱדוֹם ,אֵילֵי מוֹאָב יֹאחֲזֵמוֹ רָעַד , נָמֹגוּ כֹּל יוֹשְׁבֵי כְנָעַן – يسمع الشعوب فيرتعدون، تأخذ الرعدة سكان فلسطين. حينئذ يندهش أمراء أدوم. أقوياء مؤاب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان". إن أول من يتم ذكرهم هم سكان فلسطين، أي كان الفلست يسكنون فلسطين[1] عند وقوع حادثة الخروج. في حين لم يكونوا موجودين هناك في عصر رمسيس الثاني ولا حتى في عصر مرنبتاح؛ وهو ما يأخذنا إلى عصر ست نخت ورمسيس الثالث.

---

[1] الأصوب هنا وفق الأحداث موطن البلست في غزه وليس كل فلسطين الجغرافية .

## الحوار السابع

# موسى في بلاط فرعون

**بروفسور! عندما راجعت حوارنا الأخير علمت أنك قمت بعمل أحجية لا مثيل لها؛ حيث قمت بربط الكاهن أوزراسيف ومجموعة المجذومين الذين احتقروا الديانة المصرية – المذكورين عند يوسيفوس الذي اقتبس من مانيتون – بالمصدرين المصريين: «بردية هاريس»، و«لوح أبو - ألفنتين» اللذين يتحدثان عن حدث مشابه جدا وهو ذلك الحاكم السوري أو الكنعاني الذي جعل من نفسه أميرا، وقام بمساعدة حلفاء ينضمون إليه من منطقة كنعان أو سوريا، بجمع الضرائب واحتقار آلهة المصريين وعباداتهم حتى ينجح ست نخت في طرده. أي أنه في الوقت الذي عمت فيها الفوضى مصر بعد وفاة تاوسرت وعدم وجود من يخلفها يستولى موسى على البلاط الذي نشأ فيه وعلى حكم مصر أيضا. كما استعان ببني يعقوبئيل المقيمين في مصر ثم طلب بعدها تعزيزات من الخارج من "اللفيف" جيش المرتزقة؛ حيث ذكرنا "וַחֲמֻשִׁים עָלוּ בְנֵי יִשְׂרָאֵל מֵאֶרֶץ מִצְרָיִם - وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر" (الخروج ١٣: ١٨). هم عبرانيون مسلحون انضم المرتزقة إليهم. وفي نهاية الأمر يفشل موسى ومن معه في الاستيلاء على مصر[١] ويطردون منها ويتوجهون نحو أرض كنعان. هذه هي قصة الخروج من مصر.**

صحيح جدا.

---

[١] الحذر من قبول مثل تلك النظرية في ضوء اختلاف الإطار الزمنى الذي يتنناول فيه المؤلف الأحداث مخالفا لما هو أكثر ترجيحا في فترة رعمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح.

**يبدو ذلك مثيرا للغاية، لكن أريد أن أطرح سؤالا، وربما تفسر لي من خلاله طريقة عمل المؤرخ. ما هو الاكتشاف الذي على أساسه يقول فيه المؤرخ فجأة "وجدتها" ثم يبني نظريته على هذا الاكتشاف. أعلم أن التاريخ ليس علما تجريبيا ولا يمكن دراسته بالأدوات التجريبية، لكن هناك اكتشافات لنقوش وفخار وكتابات واكتشافات أثرية أيضا على أساسها يبني المؤرخ فرضيته مع وضع قليل من رؤيته الشخصية عليها. هل من الممكن أن يحدث بعد عدد من السنين عند - في حال - العثور على برديات لم يتم الكشف عنها بعد تحوي اكتشافات جديدة تماما؛ أن تظهر نظرية جديدة فجأة؟ إذا تم العثور يوما ما على بقايا عجلات فرعون الحربية في البحر الأحمر وليس فقط في إطار فرية من مدرسة رون وايت[١]، حينها سيضطر باحثون كثيرون إلى تغيير كتب التاريخ التي وضعوها ...**

تتأثر كتابة تاريخ العصور القديمة، بطبيعة الأمر بالاكتشافات الحديثة أو الفهم الجديد للمادة الموجودة لكن يحتمل أنه لم يتم فهمها على الوجه الصحيح أو لم تتم ملاحظة شيء ما فيها. سأضرب مثالا على اكتشاف غير من اتجاه بحثي أنا شخصيا. لقد تحدثنا عن الشخصية الموجودة في بردية هاريس والمرتبطة بالكلمة "إرسو، irsu" وكما قلت إنه من الممكن أن يكون ذلك اسم شخص ما؛ لكن كلمة irsu في اللغة المصرية القديمة معناها "ذلك الذي جعل نفسه أو ذلك الذي يقدم نفسه[٢]". وهذا وصف لشخص ما أقحم نفسه، وفي هذه الحالة – جعل نفسه حاكما. والسائد في البحث حتى التسعينيات كان ربط هذه الشخصية ببيا صاحب المناصب الكثيرة فهو: رئيس الحكومة ووزير مالية

---

[١] Ronald Eldon Wyatt ١٩٣٣-١٩٩٩، طبيب تخدير وباحث في العهد القديم، كان يعمل على إثبات قصص العهد القديم عبر الاكتشافات الأثرية.

[٢] أيضا يمكن ترجمتها خالقه أو صانعه كناية عن الرب او المعبود كاسم فاعل ومفعول له في اللغة المصرية القديمة.

والمسئول عن الحرس الملكي. ووفقا لما ذكره عن نفسه في أحد المصادر فقد جاء من الشمال أي من كنعان، من سوريا، أو من مكان ما في تلك المنطقة؛ لذلك ربطوا تلك الأمور بعضها ببعض وقالوا:

بعد موت تاوسرت حاول ذلك الرجل رغم أصله الأجنبي الاستيلاء على عرش الفراعنة وتشير إليه بردية هاريس بالكلمة irsu.

لكن في تسعينيات القرن الماضي يظهر فجأة باحث يعثر على قطعتين من الفخار في المنطقة التي سكن فيها العمال الذين قاموا ببناء المقابر الملكية[١]. وقام بجمع القطعتين مع بعضهما البعض فظهرت بعض الكلمات غيرت الصورة كلها؛ حيث نقش عليها أمر ملكي للرجال الذي قاموا ببناء مقبرة "بيا" الفاخرة في وادي الملوك. وكان من المتبع في مصر أن يبدأ مرحلة تشييد المقابر الفاخرة في حياة من سيدفن فيها. وكما ذكرنا يخبر الفرعون الشاب العمال بأن العدو قد مات وعليه فلا حاجة إلى استكمال بناء مقبرته. يعود تاريخ ذلك إلى السنة الخامسة من حكم سي بتاح في حوالي عام ١٩٩١ قبل الميلاد؛ أي أن "بيا" كان قد فارق الحياة منذ سنوات وقت وقوع الأحداث التي تحكي عنها بردية هاريس في عصر ست نخت؛ وكذلك فإن احتمال أن يكون هو من تقصده كلمة irsu...

**قد تلاشى**

أجل تلاشى. إذن ما الذي يمكن أن نفعله حيث كتبت المقالات والكتب ثم يأتي اكتشاف جديد فيقومون بالتعديل. هذه طبيعة المهنة وطبيعة تاريخ العصور القديمة. ويستلزم ذلك بالطبع الوقوف على الاكتشافات الجديدة دائما.

سأخبرك الآن ما الذي جعلني أغير اعتقادي فيما يخص الزمن التاريخي للخروج من مصر وتحديد فترة أكثر تأخرا مما كنت أظن من قبل. كان ذلك في الحقيقة من الفهم الجديد عندما بدأت أقرأ النقش الجغرافي لرمسيس الثاني

---

[١] يقصد هنا قرية العمال في دير المدينة الحالية في غرب طيبه/ الأقصر

الذي يشير كما ذكرت إلى وجود جماعة يعقوبئيل في أدوم. وهو ما جعلني أبدأ في إعادة التفكير مرة أخرى. وذلك ليس اكتشافا جديدا أي أن المادة كانت معروفة منذ عشرات السنين لكن لم يلتفت أحد قبلي إلى أن اسم يعقوبئيل محاط هنا بالأدوميين من عبدة الإله "قوس"[1]. وهو ما يسلط ضوءا جديدا على قصص سفر التكوين ويدعم نظرية جونكل التي تحدثنا عنها بتوسع ما وضعني على طريق جديد تترابط فيه الأمور بالنسبة لي. إنها أحجية يعاد تجميعها بالنسبة لي.

أمر آخر لم أكن أعلم به ولم أفكر فيه وهو العنصر العسكري في رواية الخروج من مصر. فمسألة خروج بني إسرائيل مسلحين من أرض مصر والعلاقة المحتملة بينه وبين مصطلح "اللفيف - ערב רב" فكرت فيها لأول مرة بعد محاضرة أحد الزملاء وهو الدكتور روني جولدشتاين حول مصطلح "ערב" التي أشار فيها أيضا إلى العلاقة بالمصطلح الأشوري urbi. ولقد وجدت فيما بعد أن فهم "ערב – لفيف" على أنهم مرتزقة أمر موجود عند جرينبرج وتسيمرلي في تفسيرهما لسفر حزقيال وكذلك في كلام موشه فاينفيلد عن "ערב רב – اللفيف" في دائرة معارف العهد القديم. و ذات يوم يتم فجأة ربط جميع مصادر الأحجية في رأسي: في العهد القديم: المسلحون واللفيف وجيش المرتزقة؛ وفي قصة مانيتون عن أوزارسيف: موسى وجيش المدد من أورشليم؛ وفي لوح مرنبتاح في "يب": الجنود المرتزقة الذين أعطوهم الذهب والفضة. وتترابط كل أطراف الأحجية في رأسي من جديد وهو ما قادني إلى فكر جديد. وهذه العناصر العسكرية موجودة ليس في قصص العهد القديم فقط؛ بل نجدها أيضا في الشعر القديم، ويرى الكثير من الباحثين أنها الشكل الأدبي الأقدم للقصة المرتبطة بالخروج من مصر – أقصد أنشودة البحر في سفر الخروج ١٥. فعندما

---

١ يجب الإبقاء في الذاكرة بدء ممالك/دويلات مدن عديدة تاليا لانتهاء الامبراطورية المصرية في شرق نهر الأردن ممثلة في عمون ومؤاب وأدوم.

تقرأ الأنشودة تسأل نفسك: ما المقصد هنا؟ خروج عبيد من مصر؟ استعباد المصريين ... ؟ وهو ما يندر ذكره هنا، ربما في إشارة واحدة "נָחִיתָ בְחַסְדְּךָ ,עַם זוּ גָּאָלְתָּ – ترشد برأفتك الشعب الذي فديته" (الخروج ١٥: ١٣). يرد ذكر الخلاص هنا في نصف فقرة فقط. لكن معظم المصطلحات عسكرية: فالرب يوصف كرجل حرب، يحارب فرعون وعرباته الحربية (الخروج ١٥: ٣). ثم يوصف المصريون على النحو التالي: "אָמַר אוֹיֵב אֶרְדֹּף אַשִּׂיג ,אֲחַלֵּק שָׁלָל תִּמְלָאֵמוֹ נַפְשִׁי אָרִיק חַרְבִּי ,תּוֹרִישֵׁמוֹ יָדִי – قال العدو: أتبع، أدرك، أقسم غنيمة تمتلىء منهم نفسي. أجرد سيفي تنفيهم يدي" (الخروج ١٥: ٩). هذه لغة حرب: فهناك عدو يحمل السيوف يدبر للقتل وأخذ الغنائم. ويصاحب هذه الأنشودة الانطباع القادم من قصة العهد القديم التي يوصف فيها بنو إسرائيل على أنهم جيش من ألف كتيبة مشاة، وذكر أنهم خرجوا من مصر مسلحين وخرج مع الكتائب الإسرائيلية "لفيف" أي مجموعة كبيرة من المرتزقة بحسب تفسير الكلمة.

يضاف كل ذلك إلى ما نقرأه عند مانيتون[1] عندما يتحدث عن الحرب، حرب الجماعة في مصر بقيادة أوزارسيف الذي تم ربطه فيما بعد بموسى (سواء كان مانيتون نفسه هو الذي ربط أوزارسيف بموسى أو أضافه شخص آخر فيما بعد لمؤلفه). لدينا هنا حرب يحارب فيها أوزارسيف – موسى بمساعدة جيش أجنبي[2] قادم من كنعان بحسب مانيتون.

---

[1] المشكلة هنا اعتماد المؤلف علي ما نقله يوسفوس عن مانيتون الذي ضاع النص الأصلي له، وقد يكون هنا الاقتباس محورا وليس دقيقا.

[2] كيف يكون هناك جيش أجنبي في فلسطين وهي خلال تلك الفترة الزمنية ضمن الممتلكات المصرية لإمبراطوريتها في القطاع الأسيوي بشرق حوض البحر المتوسط.

**إذن من أخذ ممن – العهد القديم من مانيتون كما أشار الباحث ريمر أم مانيتون من العهد القديم؟**

في رأيي أن المصدرين لا ينبعان من بعضهما البعض (بل يحتمل أن تكون التوراة قد تمت ترجمتها إلى اليونانية في عصر مانيتون) إلا أنهما يعكسان الأحداث التاريخية التي صورتها المصادر المصرية القديمة منذ بداية الأسرة العشرين، كلٍ بطريقته.

وكما ذكرنا في حوارنا السابق وبحسب هذه المصادر فقد اندلع بعد موت الملكة تاوسرت آخر حكام الأسرة التاسعة عشرة صراع على الحكم. ويحارب ست نخت جماعة يقودها أجنبي أصله من "خارو – سوريا وكنعان". ويستعين الحاكم الذي يوصف كمن نصب نفسه حاكما على مصر بجيش من المرتزقة يأتيه من الخارج.

يبرز عنصر آخر عند مانيتون وكذلك في المصادر المصرية القديمة من عصر ست نخت؛ وهو احتقار هذه الجماعة للآلهة والعبادات المصرية، وهو عنصر موجود أيضا في قصة العهد القديم. فماذا صنع بنو إسرائيل في ذلك الوقت؟

**أخذوا كبشا وذبحوه فيما بعد كقربان لعيدهم.**

ذبحوه صحيح، لكن قصة العهد القديم ذكرت صراحة أن ما صنعوه هو أمر يمقته المصريون. وطلب موسى من فرعون المشي ثلاثة أيام في الصحراء والذبح هناك لإله إسرائيل. وعندما عرض عليهم فرعون عبادة ربهم في أرض مصر قال موسى إن هذا غير ممكن. فعبادتنا، كما يقول يمقتها المصريون وإنهم سوف

يرجموننا (انظر الخروج ٨: ٢٢). أي إننا شعب إسرائيل نقيم عبادة يمقتها المصريون وتغضبهم[١].

علينا أن نفهم الديانة المصرية في ذلك العصر فهي تجمع بين الإله "آمون" وإله الشمس «رع» – «آمون رع» اللذان اندمجا في إله واحد وكان هو السائد في هذا العصر. «آمون رع» هو أهم إله وماذا كان شعاره؟ الكبش. وعندما تأخذ هذا الكبش وتذبحه في عيد الفصح فإنك تذبح الحيوان المقدس للإله آمون[٢]. وهذه إهانة كبيرة في الديانة المصرية. لذلك رأيت فجأة ..

**أن الأحجية تم حلها.**

بشكل رائع.

**لكن بروفسور، من ناحية أخرى سيأتي باحث آخر ويقول لي، اسمع! الأحجية منضبطة عندي أيضا. فرمسيس الثاني الذي نعرفه وعاش حياة طويلة، يعد إلها في مصر. ولدينا في العهد القديم قصص الصراعات بين المعبودات؛ إله العبريين والإله المصري؛ كما لدينا بردية إيبوير[٣] التي تصور الضربات العشر بشكل كبير، وكتبت في ذلك العصر إن لم أكن مخطئا ...**

---

[١] يتجاهل المؤلف هنا التسامح المصري العقائدي تجاه معبودات أجنبية الأصل تكرر ذكرها عبر التاريخ المصري وسمح لمن يرغب في التعبد لها بممارسة شعائره سواء أكانت من شرق حوض البحر المتوسط أو من ليبيا أو النوبة.

[٢] يتجاهل المؤلف هنا أن المصري القديم تعبد إلى آلهته وجسد أشكالا لها مقدسة مثلما هو الأمر هنا الكبش لآمون إضافة إلى التجسيد البشري الكامل له أيضا والبقرة للمعبودة حاتحور وهكذا إلا أنه لم يحرم الاستفادة من باقي الحيوانات الممثلة للمعبودات، وبالتالي لم يمنع من استخدام البقرة في أعمال الفلاحة أو الذبح لها كطعام في تناقض مع ما نعرفه مع الهندوسية مثلا التى تمنع مطلقا التعرض للشكل الحيواني للمعبود.

[٣] إحدى برديات الشعر المصري القديم، المعروفة بـ معاتبة إيبوير أو حوار بين إيبوير ورب الجميع، ومحفوظة في المتحف الوطني الهولندي للآثار في ليدن، بعد شرائها من "جيوفاني

كلا؛ فبردية إيبوير كتبت قبل ذلك بفترة أكبر، وليس في عصر رمسيس.

**في أي فترة كتبت؟ لأني أذكر أنهم كانوا دائما يقدمونها كبرهان على مصداقية قصة الخروج من مصر...**

لا، لا، هي قبل ذلك بكثير. فهي تعود على الأرجح إلى عصر الهكسوس وليس عصر رمسيس.

**لكن لايزال لدينا لوح إسرائيل مع ذكر اسم إسرائيل في عصر مرنتباح، ابن رمسيس. أي أن الباحث أو المؤرخ يستطيع أن يقول هنا شيئا ما ...**

لحظة، بالتدريج. سأوضح رأيي أكثر. سأقوم بمقارنة مانيتون برواية العهد القديم. لدينا بالفعل في رواية العهد القديم بعض العناصر مثل ضربات المصريين وهي غير موجودة عند مانيتون. ويصف العهد القديم الضربات ومانيتون لا يفعل، وكذلك ليس الوثائق المصرية من عصر ست نخت. لكن هناك نوع من الدمج الفريد في العهد القديم وكذلك عند مانيتون لوضع عسكري وسياسي فريد للغاية. قصة عن صراع داخلي في مصر حيث هناك مجموعة محلية تستولي أو ترغب في الاستيلاء على المملكة، أو أن لها مكانة رفيعة في داخل مصر، وتعترض هذه المجموعة على العبادات المصرية وتستعين بقوة خارجية؛ بجيش من المرتزقة لمساعدتها. وأنا أتساءل هل كان مثل هذا الوضع موجودا في عصر رمسيس الثاني؟ هل يوجد ذكر لذلك في عصر رمسيس الثاني؟ كلا. هل وقع مثل هذا الحدث في عصر مرنبتاح؟ كلا. هذه هي الحالة الوحيدة الموجودة فقط في عصر نهاية الأسرة التاسعة عشرة، بعد موت تاوسرت، والصراع على الحكم، حيث نجح ست ناختي في النهاية في الانتصار

---

أنستاسي" القنصل السويدي في مصر في عام ١٨٢٨. البردية يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وتأسيس الأسرة العشرين. فهناك كل هذه العناصر بالضبط: مجموعة تعادي العبادات المصرية وتحاول الاستيلاء على مصر، تعاونها قوات من الخارج. وهذا وضع خاص جدا وفريد.

**وهل كتبت فعلا المصادر التي تحكي عنه في عصر ست نخت؟**

لدينا هنا مصدران: اللوح – لـ "يب" الذي يحكي عن الجيش، وعن المرتزقة، وقد كتب في عصر ست نخت في السنة الثانية من حكمه؛ ولدينا أيضا بردية هاريس التي كتبت بعد ذلك التاريخ بعشرات السنين في نهاية حكم رمسيس الثالث الذي خلف ست نخت. غير أن رمسيس الثالث كان في حوالي الثلاثين من عمره وقت وقوع ذلك الصراع ويبدو أنه كان له دور فيه؛ أي أن الوثيقة قد كتبت على مايبدو على أساس شهادة عيان. وإذا أضفنا كذلك مسألة الذهب والفضة المكتوب عنها في لوح "يب": الذهب والفضة الذي قدمه المصريون للجيش الأجنبي، الذهب والفضة الذي قدمه المصريون ...

**في رواية العهد القديم ...**

صحيح، في رواية العهد القديم – وكل شيء منسجم معا بشكل مبهر.

**إذن، كما قلت في البداية، لقد قمت بحل الأحجية بشكل رائع، وأود بعد إذنك أن أتطرق لحياة موسى في القصر المصري.**

تفضل.

**تختصر التوراة حياة موسى في القصر المصري بشكل شديد.**

أجل.

**فبعد أن تأخذه ابنة فرعون إلى القصر، لا تخبرنا ماذا حدث له هناك.**

صحيح.

**أعلم أنه نشأت عن ذلك أساطير كثيرة، فيحكي يوسيفوس أنه كان قائدا عسكريا وعاد مع امرأة إثيوبية من أرض كوش، وأعتقد أن هذه النظرية قد**

**نشأت من ذكر امرأة موسى الكوشية في سفر العدد (١٢: ١). يحكي الشاعر الألماني فردريك شيلر قصة رائعة عن موسى الذي يظهر الإيمان بإله واحد من صغره، ويتبنى فرويد هذا الرأي، ويقول إن موسى كان يقود العبريين بالفعل نحو ديانة الملك أخناتون التوحيدية. ولدينا القصة عن موسى في المدراش عندما اكتوى بالجمرات ثم أدخل يده بالجمرة في فمه ليبردها فأصبح ثقيل الفم واللسان، وأعتقد أن الأحبار (حازل) ذكروا ذلك ليفسروا تلعثم موسى ..**

أجل، لدينا مثل هذه القصة الأسطورية. فالحاخامات يحاولون أن يخبرونا قليلا عن ما حدث في المواضع التي لا تسهب التوراة في ذكر تفاصيلها؛ حيث لا تقدم تفاصيلا عن نشأة موسى في القصر، وهنا يأتي دورهم أي الحاخامات ليكملوا المنقوص.

**إذن هذا هو المدراش، كما توجد بقية التخمينات. لكن ماذا حدث فعلا لموسى في طفولته؟**

أنا أخبرك: قصة طفولة موسى قصة أسطورية، وكما قال الباحثون إن قصة الصندوق - الطفل الذي يضعوه في الصندوق على صفحة النهر - موجودة في أسطورة قديمة ...

**بالنسبة لسرجون إن لم أكن مخطئا ...**

صحيح فسرجون الأكدي أحد حكام بلاد النهرين القدامى (في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد) وربما الحاكم العظيم الأول في بلاد النهرين. وبحسب القصة التي تظهر في القرن السابع قبل الميلاد؛ أي حوالي بعد ألف وسبعمائة سنة من العصر التاريخي لسرجون؛ تضعه أمه الكاهنة الكبرى التي حملت به في السر من أب غير معروف في صندوق في نهر الفرات. وظهرت أيضا قصة

مشابهة في فترة أكثر تأخرا عن قورش ملك فارس. إذن علينا الحذر وتنقية العناصر الأسطورية وغير المعقولة.

وابنة فرعون التي لا تعرف العبرية لا يمكن أن تسمي الطفل موسى بالطبع "כִּי מִן הַמַּיִם מְשִׁיתִהוּ - لأني انتشلته من الماء" (الخروج ٢: ١٠) فذلك مدراش[١] «اسم» ومثل هذه المدراشيم معروفة لنا في التوراة.

لكن كما هو معلوم فإن الاسم موسى اسم مصري خالص "مسس" معناه طفل أو "الذي ولد لـ..[٢]". وفي كثير من المرات خاصة عند أبناء البلاط الملكي يأتي مضافا إلى اسم الألوهية مثل: رعمسيس. فما معنى اسم رعمسيس؟ ابن الاله رع، أو مولود الإله رع إله الشمس. أو اسم آخر ذكرناه وهو تحتمس الذي معناه المولود لـ« تحوت» .. إلخ. لذلك فحقيقة تسميته بهذا الاسم تدل على علاقة موسى بالثقافة المصرية في طفولته.

ذكر الباحثون أن حقيقة كتابة اسم "مسس" في التوراة بحرف الشين وليس السين – موشه وليس مسس – ، تظهر أن هناك رواية أقدم فمبادلة حرف السين المصري بالشين أمر نعرفه كما هو في معاهدة السلام التي عقدت بين الحثيين ورمسيس الثاني بعد معركة قادش الشهيرة؛ حيث ورد اسم رمسيس في المعاهدة "رمشيشا". إذن فاسم موسى مصري تماما قبل أي شيء، لكنه منقول بحسب قواعد النطق والنسخ في العصر القديم في القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد، مما يدل هنا على وجود شيء أصيل وقديم. هذا الطفل له

---

١ مجموعة من التعليقات القديمة على كل أجزاء العهد القديم بتنظيم وتقسيم مختلفين من مجموعة إلى أخرى فكل جزء من كتاب في المدراش يمكن أن يكون قصيرا جدا وبعضه يصل في القصر إلى كلمات قليلة أو جملة واحدة ويوجد بعض من أجزاء من المدراش في التلمود.

٢ تفسير لغوي آخر من اللغة المصرية القديمة بمعنى سا مو : ابن الماء، سا ابن ومو بمعنى الما.

اسم مصري جميل جدا وصل إلينا بحسب قواعد النسخ والنطق الصوتي القديم. والسؤال المطروح الآن هو لماذا يطلق اسم مصري على أحد أطفال العبرانيين؟ وربما كان اسمه في الأصل مضافا إلى أي من أسماء المعبودات المصرية وتم حذفه عندما كبر مثل: تحتمس ورعمسيس. فهل ابنة فرعون هي التي أطلقت عليه هذا الاسم حقا؟

**خطر ببالي فجأة شيء ما. بأي لغة تحدث كل من يوكابد ومريام هناك؟**

في رأيي أن فترة استقرارهما في مصر كانت أربعين سنة تقريبا وهو ما تحدثنا عنه من قبل، وأنت أردت تقليل كمية الطعام لأني قلصت فترة وجود بني إسرائيل في مصر إلى أربعين سنة تقريبا. وأعتقد أنه من الممكن إتقان لغة خلال أربعين سنة، أو أتقنها بعضهم على الأقل؛ لكنهم تحدثوا فيما بينهم باللهجة التي تحدثوها في شرق الأردن[1] حيث سكنوا قبل مجيئهم إلى مصر.

**الشعوب الكنعانية؟**

كلا، بل لهجة الشاسو من شرق الأردن على ما يبدو وهي أقرب إلى الأدومية والمؤابية. بالمناسبة زعم أنسون ريني الباحث الكبير الذي زار إسرائيل قادما من الولايات المتحدة وقام بالتدريس هنا كما ذكرنا؛ أن اللغة العبرية هي أقرب بالفعل من لهجات شرق الأردن أكثر منها من اللغة الكنعانية. لكن لنعد إلى موسى. فمكتوب أن ابنة فرعون أخذته "וַיְהִי לָהּ לְבֵן וַתִּקְרָא שְׁמוֹ מֹשֶׁה – فصار لها ابنا ودعت اسمه موسى" (الخروج ٢: ١٠). ما هذا؟ هل كل ذلك أسطورة؟ أم لدينا أيضا نواة تاريخية؟ أقترح النظر إلى الظروف التاريخية أولا.

**السؤال هو إلى أي حاكم مصري يمكننا أن ننسب له "ابنة فرعون" هذه؟**

---

[1] الدلائل النصية من حضارات شرق نهر الأردن تعود بصفة جوهرية الي الألف الأول قبل الميلاد وربما حتى من القرن الثامن ق.م، ومن ثم يجب الحذر هنا من مثل هذا التخريج للمؤلف.

إذا كنت أعتبر موسى كمن حاول الاستيلاء على الحكم بعد موت تاوسرت وإنه ملك المعرفة السياسية والعسكرية وإنه كان قادرا على العثور على المرتزقة في خارج مصر؛ فمن الضروري أن يكون قد نشأ في بلاط فرعون وتشرب المعرفة السياسية فيه. فما هو السيناريو المحتمل هنا؟ دعنا ننظر إلى الملكة تاوسرت التي كانت إحدى السيدات القلائل في تاريخ مصر القديم التي حكمت بشكل مستقل لفترة تتروح بين سنتين وأربع سنوات...

**ذكرنا حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة باختصار...**

صحيح جدا لكن ذلك أمرا نادرا بالطبع. فمن هي تاوسرت؟ وماذا نعرف عنها؟ لقد كانت على ما يبدو ابنة أو حفيدة أحد الفراعنة. ولا يمكننا التأكد من ذلك الأمر لكنها كانت من العائلة المالكة بالطبع. يزعم البعض أنها كانت ابنة مرنبتاح ويزعم آخرون أنها كانت حفيدة رمسيس الثاني، ليس عبر مرنبتاح لكن عبر ابن أو ابنة آخرين لرمسيس الثاني. على أي حال يمكننا أن نطلق عليها "ابنة فرعون". وزوجها هو ستي الثاني ابن مرنبتاح ولم تكن هي زوجته الأولى بل الثانية.

وماذا نعرف عن حياتهم الشخصية؟ ليس الكثير لكن حدث اكتشاف مهم في وادي الملوك الذي دفنا فيه وهو: القبر رقم KV56 (ومعناه وادي الملوك kings valley) الذي دفن فيه ولد أو بنت لهذين الزوجين واكتشف في القبر أيضا نعل ذهبي صغير وقفاز من الفضة لطفل. يعتقد علماء المصريات أنه ولد لهذين الزوجين ستي الثاني ابن مرنبتاح وحفيد رمسيس الثاني وزوجته تاوسرت طفل أو طفلة مات في طفولته وأن هذه المتعلقات تخصه. ونحن لا نعلم بمولد طفل آخر لهما. أي أنهما لم ينجبا مرة أخرى بعد موت هذا الطفل في سن مبكرة. وأعتقد أنه من المحتمل في هذه الحالة أن تتخذ تاوسرت ولدا من أبناء

العبرانيين وتربيه كابنا لها[1]– ولا أعلم إن كان ذلك بشكل رسمي، فلا أدري إن كان ذلك مسموحا به لكن أن ينشأ في بيتها كما يحكي العهد القديم فهذا ممكن بالطبع حتى إن لم تعثر عليه في صندوق في النهر.

وبهذه المناسلة فقد كتب مؤلفان يهوديان إغريقيان عاشا في مصر في الفترة بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي وهما أرطافنوس وفيلون أن ابنة فرعون لم يكن لديها أطفال. فهل يمتلكان رواية قديمة عن ذلك أم كتبا ذلك بناء على رأيهما الخاص؟ لا يمكننا التأكد من ذلك. على أي حال فإن روايتهما تتسق مع ما نعرفه عن تاوسرت.

إن كان قد نشأ تحت رعاية تاوسرت فذلك يمكنه أن يفسر كيف اعتبر موسى نفسه جديرا بميراثها وحكم مصر عندما كبر، وإلا من أين له بهذه القدرات والمعرفة لقيادة مجموعة كبيرة في مصر – اعتمد بالطبع أيضا على أبناء يعقوب المستعبدين هناك. كما أيده كذلك بحسب الروايات مصريون كثيرون. على هذا الأساس يمكننا تفسير قدرته على استدعاء جيش أجنبي ليأتي من بعيد لمساعدته في حربه الداخلية على السلطة في مصر.

**لكن إذا كان الابن الوحيد كما ذكرت –**

أجل، يبدو أنه لم يكن هناك ابنا آخر -

**فمن المفترض أن يرث هو. فلماذ عليه القتال؟ من المفترض أن يرث.**

ليس مقبولا أن يتولى عرش الفراعنة أجنبي ليس له علاقة بيولوجية أو علاقة نسب مع العائلة المالكة. أنت محتاج إلى علاقة قرابة مع العائلة المالكة. أما أنك وقد نشأت كابن أو كطفل قامت الملكة بتربيته فهذا غير كافٍ. فيجب أن تكون من نسل الملك السابق أو أحد أبناء العائلة المالكة وإذا لم تكن كذلك فتكون

---

[1] لم تتضمن النصوص المصرية ما يعكس التبنى المصري لأبناء من أصول أجنبية واتخاذهم ولدا لهم.

متزوجا على الأقل من امرأة من العائلة المالكة أو امرأة تكون لها صلة قرابة بالعائلة المالكة. وسنتحدث فيما بعد بإسهاب عن أخناتون من الأسرة الثامنة عشرة[1]. وآخر حكام الأسرة الثامنة عشرة هو حور محب قائد جيش أخناتون والذي أصبح ملكا بفضل زوجته؛ لأنها كانت أخت زوجة أخناتون، نفرتيتي الشهيرة، وهو ما يؤهله للجلوس على عرش الفراعنة. وإن لم تكن مرتبط ارتباط حقيقيا بالعائلة المالكة فليس لك الحق الشرعي في المطالبة بالجلوس على العرش.

**لكن لماذا تتخذ لها بوصفها الملكة أو شخص ما يشغل هذا المنصب المهم؛ ولدا من أبناء العبرانيين؟ ألا يوجد لديهم أيتام مصريون، ليكن من دم مصري على الأقل؟**

ليس لدي إجابة واضحة لذلك، لكن يجب أن نشير في هذا السياق إلى الشخصية التي تحدثنا عنها: بيا – يوسف الذي عمل إلى جوار تاوسرت كوصي في عصر سيبتاح. وكان بيا يخدم قبل ذلك في بلاط زوجها ستي الثاني، فهل كان بيا هو الذي أعطاها هذا الطفل العبراني؟ هذا احتمال يجب دراسته.

**هل توجد أي مصادر لهذه النظرية؟**

هناك مؤرخان من القرن الأول قبل الميلاد أحدهما يوناني والآخر روماني زعما بأن موسى كان ابن يوسف[2]. وإن كان الأمر كذلك فمن الممكن حتى محاولة نسج قصة حول وجود قصة حب بين بيا-يوسف وتاوسرت كان موسى ثمرتها. لكني لست واثقا إذا كانت لديهما مصادر موثوقة. مع ذلك ربما يجعلنا ذلك

---

[1] الأصوب الثامنة.

[2] المؤلف دائما ما يستند لدعم وجهة نظره علي مصادر تالية زمنيا للأحداث بكثيرة وغالبا كلاسيكية أو لاهوتية ولا يدعم وجهة نظره بنصوص مصرية قديمة إن وجدت عن مثل تلك الآراء.

نفكر في التقارب بين الاسم "ـمفى" ابن يوسف والاسم "موسى". في الفقرة ١٨: ٣٠ من سفر القضاة التي تشير إلى حفيد موسى ويحدث تبادل بين الاسمين.

**يبدو لي ذلك مثل سفر أستير. شخص ما من الخارج مع ابنة أخيه يخلصان شعب إسرائيل ...**

صحيح، هناك وجه للشبه. حتى وإن لم توجد علاقة قرابة بين بيا – يوسف وبين موسى، فمن الممكن أن تكون تاوسرت حصلت على هذا الطفل من أطفال العبرانيين بوساطة من بيا، وهذا محتمل.

**هل تعلم ماذا يدور بخاطري الآن؟ أنه كان من الممكن بحسب ما تقصه علي الآن وفي اللقاءات الأخيرة أيضا أن يكون قد كتب التوراة أو جزء منها على الأقل كتبة مصريون ...**

ماذا تعني؟

**في الحقيقة وبحسب نظريتك تحكي لنا التوراة الأمر الكثير عن أخبار المصريين في مصر.**

وإذا كان ما أقوله صحيحا، فإن التوراة تقدم لنا جانبا آخر من التاريخ المصري. ليس من وجهة نظر ست نخت لكن من وجهة نظر أعداءنا. فست نخت يقول: لقد طردتهم وأبعدتهم، وهربوا من أمامي مثل سرب العصافير الذي يهرب من الصقر. والصقر هو شعار ملك مصر. لكن التوراة تخبرنا أن جنود فرعون وعرباته غرقوا في بحر سوف. كل طرف يقدم لنا روايته للأحداث. ويروي مانيتون المصري أيضا حكايته لكن لا يمكنني في النهاية عدم ملاحظة وجه الشبه بين الروايات الثلاثة. إذن كيف يمكن تحديد كيف حدثت الأمور بالضبط؟ فلكل مصدر توجهاته الخاصة كما يجب التخلص بالطبع من الكثير من التفاصيل والنظر إليها في سياقها الأشمل. فمانيتون مثلا يزعم أن

أوزارسيف – موسى وأتباعه كانوا مجذومين[1] ويفهم من ذلك أنه يعكس كراهية إسرائيل التي ظهرت في مصر في العصر الهيليني.

إذن فلكل مصدر توجهاته الخاصة وأنا يمكنني إعادة تصور ما حدث بالضبط لكني أقول إنه كان يوجد خلاف وصراع على الحكم في مصر أصبح فيه ست ناختي حاكما لمصر في نهاية الأمر، وإن من خرج منها أو هرب أو طرد أو قرر الخروج فهو موسى وجماعته فلم يبقوا فيها. وهذه هي الحقائق.

**ذكرت من قبل إننا سنتحدث أيضا عن علاقة موسى بأخناتون. فأين بالضبط نربط موسى بأخناتون؟**

علينا أن نتطرق هنا إلى سؤال من نوع آخر؛ حيث لا يكون ماذا حدث من الناحية العسكرية والسياسية؟ لقد حاولنا أن نستقي الخطوط العريضة للصراع من المصادر: الملكة تاوسرت ماتت وليس لها وريث شرعي ولا ابن أو بنت ومن غير الواضح إن كان قد بقي شخص من نسل العائلة المالكة يمكنه وراثتها. وبعد التخبط حول مسألة وراثة عرش الفراعنة تندلع صراعات داخلية. وتظهر المواجهة التي وصفناها من قبل وهي مواجهة سياسية وعسكرية تشارك فيها أيضا قوات معاونة قادمة من الخارج. لكن ويظهر ذلك ثانية في مصادرنا الثلاثة لهذه المواجهة جانب ديني أيضا.

بحسب المصادر المصرية القديمة من عصر ست نخت فإن ذلك الرجل الذي ارتبط به اسم إرسو irsu يوصف كما ذكرنا كمن يحتقر آلهة المصريين ويؤدي إلى وقف عبادة المعبودات المصرية ونسيان المعبودات المصرية. ويتحدث مانيتون[2] أيضا عن المساس بالعبادة وعن ذبح الحيوانات المقدسة وشيها وعن

---

[1] مقطوعي الأنف "رينوكورورا"[ وان كان هذا المصطلح كان للخارجين علي القانون وعقوبة جسدية تم تنفيذها عليهم ويتم نفيهم إلى الصحراء : الواحات والي العريش].

[2] الأصوب الاقتباسات عن مانيتون من خلال يوسيفوس.

تحقير تماثيل المعبودات المصرية. وتحكي لنا التوراة عن القيام بعمل يمقته المصريون وهو ذبح الكبش شعار الإله آمون على يد هذه الجماعة وشيه وأكله. وورد في سفر الخروج أيضا (١٢:١٢): "וּבְכָל אֱלֹהֵי מִצְרַיִם אֶעֱשֶׂה שְׁפָטִים – وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين" أي يوجد هنا إهانة لتماثيل المعبودات المصرية. إذن يتضح لنا عند الجمع بين هذه المصادر الثلاثة إلى جانب المواجهة العسكرية والسياسية ...

**وجود مواجهة هي في الحقيقة دينية.**

صحيح مواجهة دينية. علينا بعدها أن نسأل أنفسنا مواجهة سياسية ومعركة حول الميراث ووجود استقرار بمصر وهو ما لا يحدث فيها في كل عصر لكنه يحدث بالطبع يحدث. وحتى في عصر ستي الثاني ابن مرنبتاح يظهر شخص لا يعرف مدى ارتباطه بالعائلة المالكة اسمه أمنموسيس يحاول سلب العرش من ستي الثاني. مثل هذه الأمور تحدث وكعهد المواجهات السياسية في تلك الفترة يكون فيها جانب عسكري أحيانا. بذلك فالمواجهة العسكرية والسياسية أمر مفهوم؛ لكن من أين جاءت المواجهة الدينية؟ نحن نعيش اليوم عالما فيه الحروب الدينية أمر معتاد ومقبول للغاية. لكن لم يكن ذلك هو الحال في العالم القديم. فالعالم القديم هو عالم التعددية، عالم المعبودات الكثيرة، عالم التسامح الديني العظيم. هناك آلهة كثيرة لا بأس فلهذا الشعب آلهته ولشعب آخر آلهته كما هناك انسجام مع المعبودات المحلية – ولقد وقفنا عند ذلك عندما تحدثنا عن الاسم ستي،

**فيما يخص الهكسوس ...**

أجل، لقد شرحنا أن الاسم ستي[1] كان واسع الانتشار عند الهكسوس فهم يربطوه بالإله بعل إله العواصف. إذن فعلى الرغم من الاختلافات حيث

[1] الأصوب ربما ست المعبود المصري الشهير وطابقه الهكسوس مع معبودهم سوتخ.

العواصف في كنعان التي هي مطر الخير لكنها في مصر عواصف رملية مضرة؛ إلا أنهم كانوا لايزالون قادرين على القيام بذلك الربط. فـ"ترجمة" هوية المعبودات كان أمرا معتادا في العالم القديم. وكما ذكرنا كان يوجد بين اليونانيين والرومانيين آلهة متشابهة، وتسامح عظيم.

ثم تسأل نفسك لحظة ماذا حدث هنا؟ يهينون المقدسات والتماثيل والحيوانات المقدسة، لماذا؟ ما خلفية ذلك؟ إنها ظاهرة نادرة جدا حقا لأننا نتحدث هنا عن دولتين مختلفتين عن بعضهما البعض. فنحن نتحدث عن ظهور صراع ديني داخلي داخل مصر نفسها مع مجموعة لها زعيم معين يهين التراث المصري والمقدسات والمعبودات والحيوانات المصرية. فهل يمكننا فهم هذه الظاهرة الاستثنائية؟ نقول أولا إن هذه الظاهرة شاذة لكن ليس صحيح أنها لم تحدث أبدا في مصر وإن لم يكن كثيرا لكنها حدثت مرة واحدة على الأقل. هل يمكن أن يكون الصراع الديني الذي حدث في مصر قبل حوالي مائة وخمسين سنة قد ألقى بظلاله على ذلك الصراع في عصر موسى؟ وأنا أقصد الثورة الدينية الكبرى التي قام بها الفرعون أخناتون. وكنا قد تحدثنا عنه في أحد الفصول الأولى فيما يخص أرشيف المراسلات الذي تم حفظه في عاصمته – وثائق تل العمارنة لكننا سنتوسع الآن فيما يخص إصلاحه الديني.

عاش أخناتون في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد في عام ١٣٥٠ق.م تقريبا. والأحداث التي نتحدث عنها في عصر ست نخت وموسى تقع بين ١١٩٠ و١١٨٥ قبل الميلاد أي أنه قبل مائة وخمسين سنة من عصر ست نخت وموسى، كان يحكم مصر ملك يدعى أمنحتب الرابع[١] ووالده أمنحتب الثالث؛ فرعون عظيم جدا بنى الكثير من المعابد والقصور.

**ومن ناحية الأسر المصرية فنحن نتحدث عن الأسرة الثامنة عشرة، صحيح؟**

---

[١] إخناتون.

صحيح الأسرة الثامنة عشرة. وعندما مات أمنحتب الثالث ورثه ابنه أمنحتب الرابع الذي حكم سبع عشرة سنة. وبعد عامين من توليه الحكم وليس على الفور قام بعمل ثورة عظيمة في جميع المجالات على رأسها المجال الديني فترك الديانة المصرية القديمة ديانة تعدد المعبودات. وأعلن الحرب على الإله آمون بشكل خاص وعلى معابده؛ حيث كان الإله الرئيس واختار له إلها كان معروفا في الديانة المصرية حتى قبل عصره، لكنه أعاد تشكيله من جديد وهو الإله آتون الذي يرمز إلى أشعة الشمس. وكان يرمز إلى آتون مثل بعض المعبودات الأخرى في مصر على شكل حيوان مندمج مع شكل إنسان فألغى أخناتون هذا الرمز وصوره كقرص الشمس.

**ذلك نقش الشمس التي ترسل أشعتها وفي نهايتها أكف أيدٍ بشرية .**

صحيح شمس ترسل أشعة في نهايتها أكف أيدٍ بشرية تمسك برمز الحياة[1]. ولا توجد تماثيل في ديانة أخناتون لكن رسومات فقط أو نقوش بارزة. حتى الإله آتون لا يوجد تمثال له لكن رسومات فقط. قام أخناتون بتشويه تماثيل المعبودات الأخرى وصورها بشكل ممنهج خاصة التي تخص الإله آمون. كما أرسل رجاله لفحص الآثار التي عليها نقوش كلمة "آلهة" في صيغة الجمع فمحوها جميعا. فلا توجد آلهة لكن إله واحد فقط هو أصل كل شيء فهو أصل الحياة والطبيعة بل هو تجسيد للطبيعة فكل شيء مصدره هو.

ونظرا لقيامه بمثل هذه الثورة العميقة لم يشعر أخناتون بالارتياح في الإقامة في مراكز مصر القديمة فهو لم يرغب في الإقامة لا في طيبة في الجنوب المحسوبة على الإله آمون أو في منطقة القاهرة الحالية التي كان بها أيضا آلهة مختلفة حاول الابتعاد عنها؛ لذلك قام بشيء استثنائي جدا فاختار لنفسه

---

[1] فقط تجسيد كف اليد البشرية تجاه انف الملك هي من حملت علامة الحياة (العنخ) وليست كل تلك الأشعة للشمس المنتهية بأكف أيدي بشرية.

موقعا في منتصف المسافة بين القاهرة والأقصر لم يسكنه أحد من قبل[1] وأقام هناك عاصمة جديدة سماها "أخت آتون" أو أفق الشمس. كما قام بتغيير اسمه من أمنحتب الرابع وهو الاسم الذي كان به اسم الإله أمون إلى أخناتون الذي يعني المؤمن أو جالب المنفعة[2] ...

**للإله آتون.**

نعم للإله أتون. ثم قام بتشييد المعابد في عاصمته الجديدة. وعلى عكس معابد الإله آمون التي كان فيها تمثال الإله مخفي ومظلم في مخبأ المعبد، كانت المعابد التي بناها أخناتون للإله آتون مفتوحة على الشمس ونورها. وبنى القصور كل ذلك في الرمال. لقد شيد مدينة ضخمة من العدم،كتب فيها الكثير من النصوص الأدبية والأناشيد والترانيم للإله آتون اكتشفت بعد آلاف السنين.

**أيمكنني أن أخبرك كيف يبدو لي الأمر، كمراقب من بعيد؟**

أجل، كيف؟

**مثل الصراع السياسي ضد بطانة الكهنة؛ حيث يرتدي الملك عباءة الدين لكن غرضه هو التخلص من قوة الكهنة فيقرر التخلص منهم بطريقة محكمة. فأنت لا يمكنك محاربة هذه القوة العظيمة لأن الكهنة لهم مكانة رفيعة ويقول في نفسه: حسنا سأقوم الآن بتغيير قواعد اللعبة وسأبني معابد جديدة للإله الجديد الذي سأجعله الإله الوحيد مما سيضعف مكانة الكهنة القدامى.**

كنت لأقبل هذا التفسير لو أن ذلك حدث في عصر الأسرة الثانية والعشرين أو في فترة مشابهة؛ حيث كان لكهنة آمون وقتها قوة وممتلكات وكانوا أقوى بكثير من الفرعون نفسه. ولو أن ذلك هو الهدف لقبلت نظريتك المقترحة. لكنه ليس

---

[1] المقصود هنا منطقة تل العمارنة بمحافظة المنيا حاليا.

[2] المفيد بالنسبة لآتون.

الحال في الأسرة الثامنة عشرة فأبو أخناتون هو أمنحتب الثالث الذي كان ملكا قويا ويبدو أنه لم تكن لديه أي مشكلة في السيطرة على الكهنة. صحيح أن الكهنة لهم أهمية كبيرة وممتلكات، وأن معابد آمون كانت لديها القوة والمال الكثير لكن أمنحتب الثالث كانت له اليد العليا ولم يشكلوا أي تهديد عليه.

يخرج أخناتون على موروث أبيه ويقوم بشيء ممنهج للغاية شاهدت آثارها بعيني عندما سافرت إلى مصر قبل عدة سنوات فكان من المهم بالنسبة لي أن أشاهد معبد مرنبتاح الجنائزي في غرب الأقصر. لأنه وفي هذا المكان تم العثور على لوح مرنبتاح المعروف بلوح إسرائيل الذي ذكر فيه حربه[1] مع إسرائيل. ولم يكن المعبد الجنائزي في البرنامج السياحي للشركة المصرية وكان علي مجادلة المرافقين المصريين الذين سمحوا لي في النهاية بالذهاب إلى هناك مع أفراد عائلتي وبدون مرافقين مصريين.

يقع معبد مرنبتاح الجنائزي أو معبد الموت قريبا جدا من أطلال معبد ضخم يعد أكبر معبد بني على الإطلاق في "المدينة الجنائزية" وهو معبد أمنحتب الثالث والد أخناتون. وفي معبد أمنحتب الثالث تقف العواميد الضخمة التي لايزال اثنان منها صامدين.

وعثر على عامود مدفون في الرمال قبل عدة سنوات فقد تهدم هذا المعبد في زلزال وبقي الكثير من حطام البناء في المكان. تحدثنا عن مرنبتاح الذى تولى

[1] حرفيا ليست سوي كلمة : أبيدت بذرة إسر... وهناك اختلاف حتى حول مطابقة تلك الكلمة المهشمة مع مجموعات العبرانيين المتنقلة آنذاك عبر سيناء في فترة التيه المقدرة بأربعين عام، واللافت للنظر أيضا أن الكلمة هنا علي اللوحة بمخصص البشر في اللغة المصرية القديمة بمعنى أنه ليس لديهم وطن أو مكان جغرافي محدد كعادة الكتابة المصرية القديمة.

الحكم في الستين من عمره، وكان ذلك في سنوات المجاعة الكبرى[1] ؛ حيث ولت سنوات المجد والرخاء بلا عودة. وبحسب الروايات كان عليه أن يبني لنفسه معبدا جنائزيا لكن لم يكن في مقدوره بناء أي شيء جديد، فقد كان يعيد البناء. يعيد بناء ماذا؟ كان يأخذ بقايا المعبد الضخم المنهار - معبد والد أخناتون - ويعيد استخدامها.

فما ذا نرى هناك؟ شيئا مدهشا. يمكنك مشاهدة نقوش بارزة ضخمة مع صورة أمنحتب الثالث وبجواره شكل ضخم ممحو كله. وكذلك صورة لأمنحتب الثالث وصورة لشيء ممحو تماما، وهكذا. سلسلة من الصور الضخمة لأمنحتب الثالث يقف أمام شخصية ممحوة تماما. فما تفسير ذلك؟ لقد أرسل أخناتون رجاله إلى معبد أبيه الجنائزي لكنه لم يرغب في المساس بصورة أبيه فهو ليس إلها أما الشخصيات الأخرى المحيطة به فكانت صور المعبودات التي رفضها بسبب ديانته التوحيدية. لذلك قام رسله بتشويه صور جميع المعبودات بشكل ممنهج وأبقوا على صور والده. مثل إبراهيم الذي حطم أصنام أبيه تارح. فأخناتون يمحو صور آلهة أبيه. إذن لدينا هنا غيرة دينية مصدرها رؤية توحيدية مثيرة للدهشة.

**لكنها لم تنجح فبعد فترة قصيرة يعود كل شيء إلى سابق عهده ...**

صحيح وسنناقش ذلك فيما بعد لكن أود إضافة شيئا لتأييد فكرتي. أنا أتحدث عن أعمال هذا العصر المهمة من إبداع أدبي وترنيمة آتون العظمى التى عثر عليها في مقبرة "آي" وزير أخناتون الذي جهز مقبرة لنفسه وعثر فيها على هذه الترنيمة. إنها عمل جميل قصيدة مديح للإله خالق الطبيعة.

---

[1] أي مجاعة اذا كانت النصوص المصرية تتحدث عن إمداد مرنبتاح بالعديد من السفن محملة بالقمح لمواجهة القحط في بلاد الأناضول، المملكة الحيثية استمرارا لحسن النية وتطبيق بنود معاهدة السلام التى وقعها والده رمسيس الثاني.

**ما يذكرنا كثيرا بمزمور "باركي يا نفسي" في سفر المزامير...**

صحيح المزمور ١٠٤ "باركي يا نفسي" يشبهه جدا. شاهد الآن إلى أي درجة تعكس ترنيمة آتون العظمى الثورة الدينية وما أقوله قائم على ما كتبه باحث مهم في الديانة المصرية وهو يان أسمان. زعم أسمان إننا بدراستنا لهذه الترنيمة سنقف على ثورات أخناتون الدينية المبهرة. لماذا؟ أين تختفي الشمس التي تضيء النهار في المعتقدات المصرية أثناء الليل؟ إنها تغرب ثم تنير عالم الأموات الموجود في الغرب.

إن القصور التي عاشوا فيها في الأقصر موجودة في الضفة الشرقية للنيل. أما مدينة الموتى، مدينة القبور التي بها المعابد الجنائزية التي تحدثت عنها فموجودة على الضفة الشرقية من النهر؛ لأن الأموات يعيشون في الغرب. والشمس بحسب المعتقدات المصرية متعددة المعبودات تغرب وتذهب لإنارة عالم الموتى الموجود في الغرب. فهي تنتقل إلى الضفة الثانية من النهر في سفينة عظيمة وتهبط إلى عالم الموتى وتنير لهم أثناء الليل. أما الظلام فيكون عندنا نحن الأحياء، ويكون النور عند الموتى والعكس. وفي كل ليلة يحدث صراع عظيم لأن هناك قوى سلبية فأبوفيس[1] وصديقه يحاولان القضاء على الشمس. وكل ليلة تتصارع الشمس وأعوانها في معركة حياة أو موت. ولحسن حظ الانسان دائما ما تنتصر الشمس لذلك فهي تشرق كل صباح من جديد. وتعد هذه دراما كونية.

**هل تكون لديهم مخاوف في كل مرة ألا تشرق الشمس في الصباح من جديد؟**

نعم والمدهش أن ذلك يتكرر. ويصف الإنتاج الديني المصري قبل عصر أخناتون هذه الدراما الليلية بكل تفاصيلها. لكن أخناتون يتجاهل ذلك تماما فلا وجود

---

[1] الأفعى الشريرة في الميثولوجيا المصرية القديمة، وتعتبر رمز الشر، وبذلك فهي عدو رمزي الخير "رع وماعت" رمزي الحقيقة والعدل.

لآلهة أخرى. ويرى أن الإله آتون الذي يمثل ضوء الشمس يغرب ليلا فتنشط الحيوانات في الغابة وأحداث أخرى مشابهة لكن لا توجد حرب آلهة في الليل فليس هناك آلهة أخرى بل إله واحد فقط. من الواضح إذن أننا أمام ثورة دينية وليست مسألة سياسية دينية فقط. وأنا لا أرفض تماما وجود فكرة صراعات على السلطة في الخلفية؛ فالدين عادة ما يرتبط بالسياسة بطريقة ما و كذلك بالمال وبأشياءٍ أخرى. لكنه لم يكن بالأمر الأساسي في ثورة أخناتون.

لكن هذه الثورة الدينية فشلت ولم تنجح في استيعاب الشعب المصري كله. فقد عثر على تماثيل لآلهة في بيوت البسطاء من سكان العاصمة الجديدة وليس من العائلة المالكة بعد الحفر في المكان. أي أن أخناتون لم يقنع حتى بيئته المحيطة به والقريبة منه. وتولى بعد موته ابنه الصغير توت عنخ آمون الشهير (بسبب مقبرته التي تم اكتشافها كاملة) وهو في العاشرة تقريبا ويقوم الوصيان عليه "آي" و"حورمحب" بتغيير اسمه الذي أطلقه عليه أبوه من توت عنخ آتون ويستبدلا آمون بآتون فيصبح اسمه بعد توليه العرش توت عنخ آمون. ويأخذانه إلى طيبة العاصمة الجديدة.

أما المدينة التي شيدها أخناتون من العدم فتهجر تماما وتغطيها الرمال تدريجيا فتحفظ أنقاضها تحتها بما في ذلك الأرشيف الملكي الذي ضم المراسلات التي ساعدتنا كثيرا في دراسة أرض فلسطين في تلك الفترة. وهو ما تناولناه في أحد لقاءاتنا الأولى. أطلق العرب على هذه المدينة اليوم اسم تل العمارنة. وأنت تذكر بالطبع إننا تحدثنا عن الأرشيف الدبلوماسي الكبير لهذه المدينة الذي ضم مراسلات من عصر أمنحتب الثالث والد أخناتون وكذلك من عصره هو أيضا. وهي المراسلات بينه وبين حكام المنطقة والتي كتبت باللغة الأكدية على ألواح من الفخار بما فيهم حكام مدن أرض كنعان. إن ما تم كشفه في هذه المدينة لكنز عظيم.

لكننا مازلنا في حاجة إلى التساؤل هل وصل هذا التحول الديني وعقيدة التوحيد إلى عصر موسى؟ فهل تأثر موسى بأخناتون؟ تحدثنا عن وجود فجوة حوالي مائة وخمسين سنة بين هذه الأحداث وبين قصة موسى كما ذكرنا أن هذه الثورة استمرت فترة قصيرة جدا ولم تتوغل في الشعب.

فهل عرفها موسى؟ سؤالي علينا مناقشته. لقد زعم فرويد في كتابه الشهير «موسى وعقيدة التوحيد» أن "موسى كان ثقيل الفم واللسان"، لتنسوا هذه الأساطير عن الجمرة التي حرقت لسان موسى. فتفسير ثقل فمه ولسانه هو أنه لم يتحدث العبرية بطلاقة. لماذا لم يتحدث العبرية بطلاقة؟! لأنه كان في واقع الأمر مصريا. وبحسب ادعاء فرويد. من كان موسى؟ أميرا، أحد أمراء العائلة الملكية المصرية وكان تلميذا لأخناتون أو حاملا لتراثه.

ما الذي يمكن قوله عن ذلك؟ عندما أدرس احتمال تأثر موسى بأخناتون أجد أن ما يؤيد هذا الاحتمال هو في الحقيقة الشبه المبهر بين ترنيمة أخناتون ترنيمة آتون العظمى وبين المزمور ١٠٤ من سفر المزامير: "בָּרְכִי נַפְשִׁי אֶת יהו־ה: יהו־ה אֱלֹהַי גָּדַלְתָּ מְּאֹד ,הוֹד וְהָדָר לָבָשְׁתָּ - باركي يا نفسي الرب. يا رب إلهي. قد عظمت جدا. مجدا وجلالا لبست". هكذا يفتتح المزمور ١٠٤. وورد في ترنيمة آتون "كثرت أعمالك، وغابت عني، الإله الواحد، لا شريك له ... تظهر بمجد في أفق السماء، قرص الشمس الحي باعث الحياة".

وصف الطبيعة في الترنيمتين متشابه. وسنقارن كذلك وصف الليل:

"תָּשֶׁת חֹשֶׁךְ וִיהִי לָיְלָה בּוֹ תִרְמֹשׂ כָּל חַיְתוֹ יָעַר. הַכְּפִירִים שֹׁאֲגִים לַטָּרֶף וּלְבַקֵּשׁ מֵאֵל אָכְלָם – تجعل ظلمة فيصير ليل. فيه يدب كل حيوان الوعر." وفي ترنيمة آتون "تغرب في الأفق فيخرج كل أسد من عرينه، وتعض كل الزواحف." وكما ذكرنا نلاحظ أن الدراما الكونية لصراع الشمس والمعبودات الأخرى قد حذفت وأن الأحداث الليلية قليلة وطبيعية فالحيوانات تخرج وتسيح لشئونها.

كما يثير الاهتمام التشابه في وصف البحر ففي المزمور ١٠٤: ٢٥-٢٦ ورد: "זֶה הַיָּם גָּדוֹל וּרְחַב יָדָיִם ,שָׁם רֶמֶשׂ וְאֵין מִסְפָּר ;חַיּוֹת קְטַנּוֹת עִם גְּדֹלוֹת .שָׁם אֳנִיּוֹת יְהַלֵּכוּן ,לִוְיָתָן זֶה יָצַרְתָּ לְשַׂחֶק בּוֹ – هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد. صغار حيوان مع كبار. هناك تجري السفن. لوياثان[1] هذا خلقته ليلعب فيه". لاحظ أن السفن ورد ذكرها أيضا في وصف البحر. ورغم أنها ليست من كائنات البحر أو من صنع الإله الخالق الذي يصف المزمور عمله، مع ذلك يذكر السفن.

وفي ترنيمة آتون يذكر عن البحر: "السفن تبحر شمالا وجنوبا، كل الطريق مفتوحة أمام تجليك، وأسماك النهر تتراقص أمام وجهك". يرد ذكر السفن هنا أيضا إلى جانب أسماك البحر!

وفي ختام وصف الخلق في المزمور ١٠٤ (٢٨ - ٢٩) ورد:

"תִּפְתַּח יָדְךָ יִשְׂבְּעוּן טוֹב .תַּסְתִּיר פָּנֶיךָ יִבָּהֵלוּן .תֹּסֵף רוּחָם יִגְוָעוּן וְאֶל עֲפָרָם יְשׁוּבוּן- تفتح يدك فتشبع خيرا. تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود."

ولذلك أيضا ما يقابله في ترنيمة أخناتون التي ذكرت: "أشرقت فعاشوا، غربت فماتوا".

التشابه كثير فعلا. وكما ذكر الباحث الإنجليزي جون داي أن الدمج الشاذ للسفن مع مخلوقات البحر في الترنيمتين يشير على ما يبدو إلى أن هذا التشابه لم يكن بمحض الصدفة.

فمن أخذ ممن؟ من الواضح أن الترنيمة المصرية قد كتبت قبل وضع سفر المزامير؛ فالترنيمة المصرية قد وضعت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد في الفترة التي سبقت نشأة شعب إسرائيل. فكيف وصلت إلى مؤلف المزمور في سفر

---

[1] الحوت

المزامير؟ لا نعلم. لكن حتى لو اعترفنا أن هذا التشابه لم يأتِ عن طريق الصدفة فالسؤال إذن: هل كان هناك لديانة أخناتون تأثير ديني حقيقي على ديانة العهد القديم؟

كنت أميل فيما مضى إلى احتمال وجود تأثير لكني أكثر تشككا اليوم لسببين رئيسيين: الأول هو ما ذكرته في سؤالك وأخناتون هو بالفعل ظاهرة إنسانية مهرة واستثنائية، لكن كما ذكرنا كان عمر ثورته قصيرا وتأثيرها محدودا. وتظهر الشواهد أن الأفراد الذين اقتنعوا بالفعل بالديانة الجديدة كانوا: زوجته نفرتيتي وربما ثلاثة من بناتهما الكبار. أما البنات الثلاثة الأخريات فكن صغار جدا. إذن لا يمكن الإشارة إلى أكثر من خمسة أشخاص آمنوا بهذه الديانة. وبعد موت أخناتون عاد الجميع إلى الديانة القديمة بما فيهم كاهنه الأكبر ووزيره "آي" الذي عثر في مقبرته على ترنيمة أخناتون الرائعة. أمر آخر وهو المجهود العظيم الذي بذل لمحو اسمه من التاريخ فمحوه هو ومن خلفه.

**مثلما قام هو بمحو المعبودات في معابد أبيه ...**

أجل محوا اسمه من قائمة الملوك ولم يذكروه وهجرت المدينة كما أسلفت. أنا لا أقول إنه لم يتم الحفاظ على ذكريات من تلك الفترة بشكل ما لكن يجب أن تكون هناك سلسلة من التبليغ منه إلى بلاط تاوسرت الذي يبدو أن موسى كبر فيه. ومن الصعب جدا مشاهدة أي استمرارية هنا.

**لكن ذلك يعيدنا إلى السؤال الذي طرحناه من قبل: لماذا شن موسى حربا دينية على فرعون وعلى الديانة المصرية ...**

أنا لا أتهرب من السؤال وسأعود إليه لكن أود قبل ذلك أن أخبرك بشيء وهو موضوع مهم يجب أن أذكره علق عليه قويفمان أيضا في كتابه «تاريخ العقيدة الإسرائيلية» وكذلك في نقده الخاص الذي كتبه عند نشر كتاب فرويد. لقد كتب فرويد كتابه قبل سنوات من نشره لكنه خشي نشره عندما كان يعيش في

فيينا بسبب ردود أفعال الكنيسة النمساوية المحتملة. وفقط بعد أن استولى النازيون على فيينا وأخذ رجال الجستابو ابنته "آنا" ليحققوا معها أدرك أنه من الأفضل أن يغادر المكان. فترك النمسا رغم مرضه الشديد وكبر سنه وعاش في نهاية حياته في لندن مريضا ومسنا. وهناك لم يخش من الكنيسة فيما يبدو فنشر كتابه في السنة الأخيرة من حياته. وفي عام ١٩٣٩ بعد صدور الكتاب كتب قويفمان نقدا له أشار فيه كما هو في كتابه «تاريخ العقيدة الإسرائيلية» إلى الفرق المهم جدا بين ديانة أخناتون وديانة العهد القديم. فديانة أخناتون قائمة على ارتباط الطبيعة بالألوهية أي أن آتون هو ألوهية الطبيعة ويرتبط بالطبيعة لذلك، يرمز إليه بضوء الشمس وديانة العهد القديم بحسب قويفمان هي سمو الإله على الطبيعة وفصله عنها.

**الإله خارج الطبيعة ...**

خارج الطبيعة ولا يخضع لقوانين الطبيعة فالنور بكل وضوح بحسب سفر التكوين الإصحاح الأول ليس الإله لكنه مخلوق بيده: "וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יְהִי אוֹר וַיְהִי אוֹר – وقال الله ليكن نور فكان نور" (التكوين ١: ٣). والإله يغطيه النور مثل الملبس لكنه غير مرتبط بالنور. وذلك فرق جوهري ومهم لا يمكن تجاهله بين ديانة العهد القديم وديانة أخناتون فالديانة الطبيعية الأخناتونية تختلف تماما عن ديانة العهد القديم التي تفصل بين الإله وبين الطبيعة وترفع الإله فوق الطبيعة. لذلك أتشكك في مسألة تأثير ديانة أخناتون على موسى. لذا فكما قلت يجب أن نطرح السؤال:

**ما هي خلفية هذا الصراع الديني الكبير بين موسى والديانة المصرية ...**

صحيح، فإذا لم يتأثر موسى وجماعته بأخناتون فما هي خلفية هذا الصراع الديني؟ تحدث فرويد أيضا عن مدرسة كهنة هليوبوليس أو «أون» باسمها في التوراة أو «مدينة الشمس» التي أكدت على سمو إله الشمس. في الحقيقة لقد

بدأ سمو الشمس فوق جميع المعبودات قبل عصر أخناتون لكنه استمر أيضا بعده. وفي هذا السياق نشير مرة أخرى إلى علاقة بيا-يوسف بالكهانة ومعبد هليوبوليس-أون وهي العلاقة التي عبرت عنها قصة العهد القديم التي تقول بإن موسى تزوج من ابنة كاهن أون وكذلك الكشف الأثري حول وجود اسم بيا على تمثال عثر عليه في هليوبوليس. لقد كانت السنوات التي نشأ فيها موسى وتعلم في بيت فرعون بحسب تصورنا هي السنوات التي ارتقى فيها بيا-يوسف مكانة ذات تأثير كبير في البلاط الفرعوني.

مع ذلك فهذا لا يفسر الصراع بين موسى وبين الديانة المصرية. فارتقاء كهنة هليوبوليس بالشمس لا يفسر التصادم مع الديانة المصرية. ولا نملك هنا تفسيرا كافيا للصراع الديني الذي ينعكس في روايات مختلفة حول "إرسو – أوزارسيف – موسى". وسنضطر للبحث في اتجاه آخر وليس في الاتجاه المصري الأخناتوني لكن في اتجاه على صلة بزوجة موسى "صفورة" المديانية وهو ما سنتناوله فيما بعد.

# اسمه "غيور" – آلهة مدين وإله التوراة

**بروفسور! لقد ذكرت قبيل نهاية الحوار الأخير أن قويفمان مؤلف كتاب «تاريخ العقيدة الإسرائيلية» الذي يزعم أن خصوصية العقيدة الإسرائيلية تكمن في رفعها للإله فوق الطبيعة. ونحن نرى أيضا في قصص سفر التكوين أن النور ليس هو الألوهية مثلما كان في عصر الإصلاح عند أخناتون لكنه مخلوق بواسطة نفس الإله المتعال. لذلك يصعب القول إن موسى وجماعته الذين بدأوا في احتقار آلهة المصريين وتدمير معابدهم قد تأثروا بأخناتون.**

صحيح.

**لذلك مازلنا نبحث عن إجابة عن السؤال: ما الذي جعل موسى يهين الديانة المصرية ويحتقر آلهتها ومعابدها فجأة؟**

صحيح، إذا كنا لا نستطيع العثور على شيء ما في الخلفية المصرية التي نشأ فيها موسى. أود أن أتقدم نحو حدث مهم آخر في قصة موسى وهو هروبه إلى أرض مديان وزواجه بصفورة المديانية.

الأمر الذي أود التأكيد عليه أولا وأكرر هنا كلمات وردت في البحث بأن هذه المقولة بشأن زواجه بامرأة مديانية – مثل الاسم المصري بالنطق القديم الذي تحدثنا عنه في اللقاء السابق – تشير إلى شيء أصيل. لأنه لماذا يتم اختلاق قصة عن زواج أهم زعيم ديني بامرأة من شعب آخر؟ هناك بالفعل تطرقات مختلفة في المصادر لمديان ولدينا في التوراة نفسها قصة طويلة تستنكر العلاقة ببنات مديان وتحكي عن قتل زمري من زعماء سبط شمعون لمضاجعته امرأة مديانية.

ويحظى فنحاس الذي قتل الزوجين بسبب غيرته ببركة الرب والوعد بالكهانة الأبدية (انظر سفر العدد ٢٥: ٦-١٥). وعلى هذه الخلفية تسأل نفسك: كيف يعقل أن يتزوج موسى بامرأة مديانية؟ بالطبع لم يكونوا ليختلقوا مثل هذه القصة. مع ذلك يقولون إنه تزوج بامرأة مديانية أبوها "كاهن مديان" (سفر الخروج ٢: ١٦-) وهو زعيم ديني في الشعب المدياني – لدينا هنا مقولة تبدو أصلية تعود إلى شخصية موسى التاريخية.

**هل لاسم صفوره نفسه أصل مدياني؟ هل عثرنا عليه في مكان آخر؟**

كلا، لكن لدينا اسم مشابه له في شرق الأردن فكان ملك مؤاب يدعى بالاق بن صفور (سفر العدد ٢٢: ٣) ويجب أن أستبق وأتحدث عن مديان أين تقع ومن هم المديانيون، وماذا نعرف عنهم من الأدب القديم ومن الأدب الأكثر تأخرا؟

مديان اسم مكان معين ومحدد ذكره لأول مرة الجغرافي بطليموس الذي كتب في القرن الأول الميلادي كتاب جغرافيا تحدث فيه عن مديان التي تقع على ساحل البحر الأحمر بالقرب من خط عرض شرم الشيخ تقريبا؛ أي عند الطرف الجنوبي لسيناء. لكن مديان لم تكن تقع في شبه جزيرة سيناء نفسها لكن شرقها على الساحل الشرقي للبحر الأحمر أي شمال شبه الجزيرة العربية - المملكة العربية السعودية حاليا. كما توجد في مصادر أخرى تعود إلى نفس الفترة إشارات لاستيطان بهذا الاسم وفي هذا المكان.

إلى جانب ذلك يتضح من الاكتشاف الأثري وجود أمة لها حضارة خاصة عاشت في ذلك المكان، حضارة قامت في الفترة بين القرنين الرابع عشر والعاشر قبل الميلاد في نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي. نحن نتحدث عن أمة كانت تضم فيما بينها جماعات من الرحل وكذلك بعض المستوطنات الدائمة. وكان لديهم السيراميك الخاص بهم أي تركوا أثرا واضحا يستطيع الأثريون تمييزه.

**هل تقصد جرة شفة الياقة؟**

كلا فجرة شفة الياقة مرتبطة بالإسرائيليين الأوائل لكن هذا السيراميك جميل جدا وملون وبه رسومات طيور النعام وطيور أخرى. وكان مركز صناعته بحسب الفحوصات التي أجراها الأثريون شرقي موقع مديان على ساحل البحر الأحمر. أي إذا قمت بالسير من مديان الموجودة كما ذكرنا على ساحل البحر الأحمر ثم اتجهت نحو الداخل إلى شبه الجزيرة العربية سوف تصل إلى المكان الذي يسمى اليوم القورايه. واكتشف في هذا المكان أفران ومصانع هذا السيراميك الذي تم صنعه هناك خصيصا. لذلك يسميه بعض الباحثين السيراميك المدياني ويسميه آخرون سيراميك القورايه. ولقد اتضح مؤخرا وجود مركز إنتاج آخر في واحة تيماء[1] الكبيرة التي تقع جنوب شرقي القورايه.

ما الذي نعرفه كذلك عن هذه الجماعة من خلال البحث الأثري؟ نعلم أنهم عملوا في استخراج النحاس وتميزوا به. ولا توجد طبقات النحاس في قورايه نفسها لكن اكتشفت بعثة كانت تنقب في السعودية مؤخرا شواهد على استخراج النحاس تم جلب ركائزها من وسط شبه الجزيرة العربية. وأين يعرفون أيضا، فيما يخص النحاس؟ في تمنع في مناجم النحاس شمال إيلات؛ حيث يوجد هناك الكثير من السيراميك المدياني. وكذلك في صحراء العربة على الجانب الأردني في مكان يسمى فينان في الأردن «فونون» التوراتية (انظر سفر العدد ٣٣: ٤٢) حيث تم اكتشاف مناجم نحاس ضخمة. وفي السنوات الأخيرة قام باحثون أثريون من جامعة سان دييجو بكاليفورنيا بالبحث في هذه المناجم حيث عثر هناك أيضا على السيراميك المدياني.

---

١ تيماء في بلاد العرب في منتصف الطريق بين دمشق ومكة وعلى مسافة متساوية من بابل إلى مصر.

اختتم عوزي أفنير - أثري قام بالحفر مؤخرا في تمناع مرة أخرى - بحثه بمقولة واحدة عن المديانيين وهي إنهم كانوا في رأيه خبراء عِظام في النحاس. وإذا تحدثنا بلغة عصرنا يمكننا القول إنهم كانوا جيولوجيين ومهندسي مناجم – كما سماهم عوزي أفنير - حيث كانوا الخبراء في استخراج النحاس. رأي مشابه ذكره مؤخرا إيريز بن يوسف الذي لايزال يحفر في منطقة تمناع في الوقت الحالي. سيطر هؤلاء الرحل الذين استوطنوا شمال شبه الجزيرة العربية وصحراء العربة والطرق التي كانت تمر بها على مختلف التجارات خاصة تجارة العطور وذلك في عصور مختلفة. وكانت هذه السيطرة مهمة جدا جدا في العصر القديم.

**هو ما سيفعله النبطيون فيما بعد ...**

بالضبط ما سيفعله البنطيون فيما بعد. والنبطيون هم ورثتهم من الناحية العرقية فيما يبدو. وكانت زراعة النباتات العطرية الغالية التي تستخدم في البخور على وجه الخصوص وفي أشياء أخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية. وكانوا يقطفون زهورها في مناخ شبه الجزيرة العربية الاستوائي ثمينقلونها بطول شبه الجزيرة العربية مرورا بالطريق الرئيس عبر شرق نهر الأردن ومنه إلى الجانب الغربي من النهر. ولدينا شهادة جميلة جدا على ذلك في قصة يوسف حيث ورد ...

**"واجتاز رجال مديانيون تجار" (سفر التكوين: ٣٧ ٢٨). الآن وبعد هذا التفسير الذي قدمته يمكنني فهم هذه الآية بشكل أفضل ...**

صحيح، قافلة المديانيين وقافلة الإسماعيليين وسوف نتحدث لاحقا عن هوية المديانيين مع الاسماعيليين وهم يحملون العطور، قافلة العطور.

ومن ناحية الأنساب في سفر التكوين يعتبر مديان من نسل امرأة إبراهيم الثالثة "קְטוּרָה - قطورة" (سفر التكوين ٢٥: ١-٢). ويبدو أن هذا الاسم مرتبط

أيضا بالبخور. ذكرت من قبل أن المديانيين يتشابهون مع الإسماعيليين، ويظهر ذلك فيما ورد في قصة يوسف؛ لكنه ذكر صراحة في نهاية قصة جدعون؛ حيث ذكر سفر القضاة الإصحاح الثامن أن جدعون صنع درعا ذهبيا من الأقراط الذهبية التي حصل عليها رجاله من المقاتلين المديانيين ويذكر التالي: "כִּי-נִזְמֵי זָהָב לָהֶם, כִּי יִשְׁמְעֵאלִים הֵם - لأنهم كان لهم أقراط ذهب لأنهم إسماعيليون" (٨: ٢٤).

سألت من قبل إن كان الاسم "صفورة" يظهر في موضع آخر وأجبت بالنفي لكن اسم أباها "يثرون יתרו " أو "يثر יתר " (الخروج ٣: ١، ٤: ١٨) موجود في مواضع أخرى في العهد القديم فقد كان لداود الملك أخت اسمها "أبيجايل" وبحسب ما هو مكتوب في سفر أخبار الأيام الأول ٢: ١٧، كان "يثر الإسماعيلي" زوجها.

المديانيون على ما يبدو هم مجموعة قبائل ارتكزت في شمال شبه الجزيرة العربية وكانت أمة إسماعيلية ترتحل بين المناطق في شمال شبه الجزيرة العربية وصحراء العربة وأرض أدوم وكذلك في المنطقة الجنوبية الغربية من صحراء سيناء.

**إذن هرب موسى بحسب وصفك لمسافة بعيدة ...**

صحيح، إنها مسافة بعيدة جدا.

**لكن لماذا كان عليه الهرب كل هذه المسافة الكبيرة؟**

إذا أراد الخروج من حدود السلطة المصرية والوصول إلى المنطقة التي لا تقع تحت السيطرة المصرية لم يكن يستطيع الهرب إلى داخل أرض كنعان، فكنعان كانت تحت الحكم المصري.

**وماذا عن سيناء؟**

كانت سيناء تحت الحكم المصري بشكل معين. فالمصريون سيطروا على مناجم الفيروز في سرابيط الخادم وفي مواضع أخرى في شبه الجزيرة. لذلك كان على موسى الهرب إلى منطقة شمال شبه الجزيرة العربية لأنها كانت فيما ما يبدو منطقة لم يصل إليها المصريون في عصر موسى ولم يسيطروا عليها.

يبدو أن المديانيين لم يعرفوا القراءة والكتابة، لأنه لم يعثر في كل المنطقة التي تجولوا فيها وفي كل المواقع الأثرية المرتبطة بهم على أي كتابات لهم. المجتمع المدياني القديم لم يكتب لكن ذلك لا يعني أنه لم يمتلك حضارة ولو بسيطة. فكما قلت فإن كل ما يتعلق بالتعدين واستخراج النحاس كانوا هم أعظم خبراء فيه في المنطقة. وعندما استولى المصريون على تمنع وحفروا فيها مناجم النحاس كانوا في حاجة إلى عون المديانيين لاستخراجه. فقد كانوا كما ذكرنا خبراء الحفر والمهندسين والجيولوجيين؛ أي أن المديانيين كانوا يملكون مستوى تكنولوجيا متقدما للغاية.

**لذلك يدهشني بعض الشيء أنهم لم يكتبوا فقد كانوا تجارا وعندما تشتري وتبيع هناك نوع من التسجيل وبهذه الصورة بدأت تتطور الكتابة.**

ليس لدينا أي دليل على وجود كتابة في شبه الجزيرة العربية تعود إلى هذه الفترة التي تعود إلى القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد. والكتابات المبكرة جدا في هذه المنطقة تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد وذلك في جنوب الجزيرة العربية على وجه التحديد. ولا يمكننا أن نستنتج من ذلك بالطبع عدم وجود إنتاج أدبي شفهي ويمكننا مقارنة ذلك بالمجتمع العربي القديم قبل الإسلام الذي لم يكن مجتمعا بلا حضارة حيث كانت له حضارة فكتبوا الشعر المعروف في الإسلام بالعصر الجاهلي - عندما عبدوا الأوثان قبل ظهور محمد والإسلام. كانت الكتابة قليلة جدا لكن كان هناك شعر جميل ومدهش يلقى شفهيا شعر رفيع المستوى أدبيا ولغويا.

ماذا نعرف عن ديانة هؤلاء المديانيين؟ نحتاج هنا إلى العودة مرة أخرى إلى ما تحدثنا عنه باختصار عند حديثنا عن الاسم "بيا" الذي ربطناه بيوسف؛ حيث قلت إن أقدم إشارة صريحة لدينا للاسم "يهوه" تظهر في النصوص المصرية للقوائم الجغرافية. وكنا قد تحدثنا في لقائنا السابق عن أخناتون وعن أبيه أمنحوتب الثالث ذلك الأب الذي قام أخناتون –

**بمحو أي شخصية لإله كانت تحيط به.**

أجل صور المعبودات التي تتحدث معه محاها ابنه والموجودة في أحد المعابد التي بناها الملك أمنحتب الثالث. أي إننا نتحدث عن النصف الأول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد قبل عام ١٣٥٠، عن قائمة جغرافية تصف المناطق المحيطة بصحراء العربة وأرض أدوم وتسمى هذه الأراضي في القائمة ببلاد "الشاسو"، أي البلاد التي تحوي جماعات مختلفة من قبائل الرحل. وتذكر القائمة أرض "الشاسو سعير" أي منطقة سعير أدوم. ويذكر بجوار أرض الشاسو سعير أرض "الشاسو ياهو". ولا نعرف بالضبط طريقة نطق الاسم "ياهو" لأن الكتابة المصرية القديمة تكتب الصوامت فقط وليس فيها صوائت؛ أي أن حرف الواو لا يمثل حركة الضم. ولننتبه بأن لدينا هنا الحروف الثلاثة الأولى من لفظ الجلالة: «يهوه». إذن فقد ورد ذكر الاسم الرئيس لإله العهد القديم قريبا من المنطقة المتاخمة لسعير أدوم وذلك في شهادة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

**لماذا تعتقد أن ذلك ذكر للألوهية؟ فإن كنت ذكرت لي من قبل أن شاسو سعير اسم مكان فيمكنني أن أفترض أيضا أن اسم "ياهو" اسم مكان.**

أنت محق، لقد تحدثت عن البعد الجغرافي للاسم "ياهو" عندما قمنا بتفسير اسم "بيا" على أنه إله يتجلى في أرض "الياهو". وإذا كنت قد اضطررت إلى الاعتماد على المادة المصرية وحدها فإني كنت سأفكر في أن الحديث هنا عن

اسم جغرافي فقط. لكن لدي شهادة مقرائية أيضا فعندما تتحدث أشعار العهد القديم الأولى عن ظهور الرب فإنها تصفه كمن يأتي من هذه المنطقة وترتعد الأرض في طريقه.

فنقرأ في قصيدة دبورة: "יהו־ה בְּצֵאתְךָ מִשֵּׂעִיר בְּצַעְדְּךָ מִשְּׂדֵה אֱדוֹם אֶרֶץ רָעָשָׁה – يا رب بخروجك من سعير، بصعودك من صحراء أدوم الأرض ارتعدت" (سفر القضاة ٥: ٤). وكذلك في بركة موسى: "יהו־ה מִסִּינַי בָּא וְזָרַח מִשֵּׂעִיר לָמוֹ הוֹפִיעַ מֵהַר פָּארָן جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران". (سفر التثنية ٣٣: ٢). وكذلك في القصيدة الواردة في سفر حبقوق ٣: ٣، ٦، ٧: "אֱלוֹהַּ מִתֵּימָן יָבוֹא וְקָדוֹשׁ מֵהַר פָּארָן ... וַיִּתְפֹּצְצוּ הַרְרֵי עַד שַׁחוּ גִּבְעוֹת עוֹלָם ...יִרְגְּזוּן יְרִיעוֹת אֶרֶץ מִדְיָן – الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران ... ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم ... رجفت شقق أرض مديان".

تصف هذه القصائد يهوه كمن يأتي من هذه المنطقة من الجنوب أو من تيمان بلغة العهد القديم. وكما ذكرنا فإنسان العهد القديم ينظر إلى الأمام صوب الشمس المشرقة لذلك يكون الجنوب عن يمينه ومن هنا تأتي التسمية "تيمان" نحو الجنوب. وإلى جانب الاسم "تيمان" توجد أيضا أسماء أخرى: سعير، سديه أدوم، سيناء، جبل فاران، أرض مديان.

أين تجلى الرب لموسى وأخبره باسمه "يهوه"؟ في العليقة في أرض مديان (سفر الخروج ٣: ١-١٥).

أي أن روايات العهد القديم كلها توجهنا نحو نفس المنطقة التي تحدد فيها القائمة المصرية أرض "الشاسو ياهو". وهنا يحدث اكتشاف الاسم يهوه ومن هنا يخرج ويظهر الرب.

أود أن أضيف كذلك فيما يخص سؤالك عن البعد الجغرافي للاسم "ياهو"، حيث ذكرت من قبل أن لدينا حالة مشابهة للدمج بين الاسم الجغرافي واسم الألوهية: فالإله أشور هو "الإله الرئيس عند الأشوريين وكان في البداية اسم مدينة مكان يسمى أشور ارتبط به اسمه في البداية؛ ثم أصبح فيما بعد اسم مملكة أشور والأمة الأشورية كلها. أي في هذه الحالة أيضا كما هو في حالتنا هناك دمج بين اسم الألوهية والاسم الجغرافي والمصطلح القومي. لذا فالكلمات الموجودة في القائمة المصرية "أرض الشاسو ياهو" تشير أيضا إلى اسم مكان واسم مجموعة مرتحلة فيما يبدو؛ لكن ذلك المكان هو المكان الذي تجلى فيه الإله "ياهو" أي أنه عندما جاء موسى إلى مديان وتزوج بصفورة وسكن هناك مع يثرون كاهن مديان، فإنه قد تعرض لـ ...

**الألوهية عندهم.**

صحيح جدا، للألوهية عندهم.

لكن تكن هذه في رأيي نقطة الاتصال الأولى بين بني يعقوب وبين الألوهية. من الواضح كما ذكرنا من قبل أن والدي موسى كانا من أبناء جماعة يعقوبئيل في أدوم التي هبط بعضها إلى مصر أثناء المجاعة. وفي ذلك الوقت الذي استقر فيه آباء موسى من أبناء يعقوبئيل في أدوم كانوا جيرانا لجماعتين أخريين من السكان الذين ارتحلوا وتجولوا في هذه المنطقة. الجماعة الأولى هي جماعة الأدوميين عبدة الإله "قوس" التي انعكس وجودهم في هذه المنطقة في القائمة الجغرافية لرمسيس الثاني ومما نعرفه من الإشارة إلى أرض "الشاسو ياهو" في منطقة سعير أدوم. كما كانت هناك جماعة أخرى وهي جماعة المديانيين من عبدة "ياهو".

يتضح إذن أن أبناء يعقوبئيل في أدوم قد عرفوا الإله "ياهو" الذي عبده جيرانهم المديانيون. لذلك أعتقد أن معرفة الألوهية المرتبطة بلفظ الجلالة

والصفات الدينية الخاصة بالإيمان بهذا الإله قد انتقلت من المديانيين إلى جيرانهم أبناء يعقوبئيل في أدوم حتى قبل عصر موسى.

لذلك عندما يقول موسى للرب: "וְאָמְרוּ לִי מַה שְּׁמוֹ - قالوا لي ما اسمه" (سفر الخروج ٣: ١٣)، أي إني ذاهب إلى بني إسرائيل وسيسألوني ما اسم ذلك الإله الذي أرسلني، حينها يقول له الرب: "כֹּה תֹאמַר אֶל בְּנֵי יִשְׂרָאֵל, יהו־ה אֱלֹהֵי אֲבֹתֵיכֶם ...שְׁלָחַנִי אֲלֵיכֶם – هكذا تقول لبني إسرائيل، يهوه إله آبائكم ... أرسلني إليكم". (سفر الخروج ٣: ١٥)

من الممكن أن نفترض أن موسى الذي نشأ في سن صغيرة في بيت فرعون، لم يعرف الإله يهوه واسمه في ذلك الوقت أثناء إقامته الأولى في مصر. وهذا يوافق قصة التجلي في العليقة التي يظهر منها أن موسى تعرف حينها فقط على المضامين الدينية الجديدة.

نحن في حاجة إلى توضيح معنى الاسم يهوه وفهم السياق المدياني وهو ما سيساعدنا في محاولة الإجابة عن هذا السؤال الكبير الذي كتب عنه الكثيرون. لقد أشرت إلى قصة التجلي في العليقة وهي قصة مركبة: عندما سأل موسى الرب عن اسمه يتلقى جواب آخر في البداية: "וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים אֶל מֹשֶׁה אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה וַיֹּאמֶר כֹּה תֹאמַר לִבְנֵי יִשְׂרָאֵל אֶהְיֶה שְׁלָחַנִי אֲלֵיכֶם – فقال الله لموسى "أهيه الذي أهيه"، وقال هكذا تقول لبني إسرائيل: أهيه أرسلني إليكم" (سفر الخروج ٣: ١٤).

تحملنا هذه الفقرة إلى الرؤية التي نجدها كثيرا جدا في مصادرنا القديمة وكذلك في البحث حيث أن اسم "ההוויה – יהו־ה - هافايا، يهوه، مرتبط بالفعل הווה هوفيه (يكون)، הי׳ה (كان)، being، بصورة ما. وهذا تفسير شائع للغاية في تفسير لفظ الجلالة.

**أو يمكنك القول "אהיה אשר אהיה - إهيه الذي إهيه (أكون ما أكون)" بدلا من لا تقلب رأسي –**

صحيح.

**أنا اخترتك في مهمة، فماذا يعنيك كيف ينادوني؟**

صحيح. كتب تلميذي صيماح يوريه أطروحة الدكتوراة تحت إشرافي وسيتم نشرها قريبا في كتاب زعم فيها ذلك بالضبط. لا تطرح أسئلة ولا تطلب ما هو أكبر منك. هناك باحثون كثيرون يرغبون في تفسير هذا الاسم بمفهوم الكينونة. فهو الكائن والخالق؛ غير أن لدينا مشكلة: إذا كان السياق فعلا مدياني والمديانيون هم الإسماعيليون أي أن هناك قبيلة قبل العرب كان مركزها وسط شبه الجزيرة العربية فمن المحتمل جدا أن تكون تحدثت لهجة قديمة قبل اللغة العربية. وهناك توثيق متأخر قليلا عن اللغات التي تم الحديث بها في شبه الجزيرة العربية أصله من المنطقة الجنوبية في شبه الجزيرة العربية يشير إلى أن الجذر "كان" "يكون" بمفهوم الكينونة being لم يكن موجودا هناك كما لم يكن مستخدما في اللغة العربية بهذا المفهوم. واستخدام هذا الجذر بمفهوم الوجود والكينونة وما إلى ذلك معروف لدينا في اللغة العبرية والأرامية لكن ليس في اللهجات التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية. لذلك فإن تفسير ذلك على أنه لفظ الجلالة "يهوه" غير مقنع. ويحتمل حقا أن الكلمات "إهيه الذي إهيه – أكون ما أكون" لم يكن من أجل كشف معنى الاسم لكن لذكر أن معناه غامض.

غير أن التوراة نفسها تقدم لنا تفسيرا في موضع آخر لاسم "يهوه" فبعد واقعة العجل وتحطيم الألواح تحكي لنا التوراة عن تقديم الألواح الأخرى. وفي هذا السياق يقول الرب لموسى: "כִּי לֹא תִשְׁתַּחֲוֶה לְאֵל אַחֵר כִּי יהו־ה קַנָּא שְׁמוֹ אֵל קַנָּא הוּא - فإنك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور، إله غيور هو"

(سفر الخروج ٣٤: ١٤). من الممكن بالفعل تفسير كلمات "غيور اسمه" بمفهوم جوهره. لكن المعنى الحرفي الأولي هو أن "يهوه" معناه "غيور".

وهنا يأتي باحث كبير مجاله الأساسي ليس دراسة العهد القديم لكنه كتب كثيرا فيه أقصد هنا شلومو دوف جويطاين الذي عمل أستاذا للدراسات الإسلامية في الجامعة العبرية ثم انتقل بعدها بفترة إلى جامعة برنستون بالولايات المتحدة وتخصص في دراسة الجنيزه القاهرية، ومن هنا ذاع صيته. لكنه درس أيضا العهد القديم أثناء فترة وجوده في إسرائيل وعمل فترة انتدابه مشرفا على دراسات العهد القديم في إسرائيل. وفي مقال له عن لفظ الجلالة تطرق جويطاين إلى هذه الفقرة بشكل حرفي وقال إنه يمكن تفسير اسم "يهوه" على أساس اللغة العربية. فهناك فعل في اللغة العربية وهو الفعل "هوى" الذي يصف المشاعر القوية ومن الممكن أن يشير إلى الغيرة. إذن فجويطاين يرى أن لفظ الجلالة تفسيره "الإله الغيور". وهو ما ورد ذكره هنا "لا تسجد لإله آخر"، لماذا؟ لأن الرب اسمه غيور إله "غيور هو" فهو إله غيور لايسمح بإقامة علاقة مع إله آخر، فهو يريد التفرد والحصرية.

تفسير جويطاين يبدو لي مقنعا لأنه قائم على اللغة العربية أي اللغة التي ظهرت في نفس المنطقة التي كانت مركز المديانيين. كما كانت هناك تفسيرات أخرى تربط لفظ الجلالة بالأفعال العربية الأخرى التي تعطي معنى الهبوب أو الإسقاط. وبحسب هذا الرأي فإن "يهوه" في أساسه إله العواصف وذلك تفسير يصعب عليّ تقبله؛ فرغم الفقرات التي تصف ظهور الرب من الجنوب في قصيدة دبوره: "גַּם שָׁמַיִם נָטָפוּ גַּם עָבִים נָטְפוּ מָיִם - السماء أيضا قطرت، كذلك السحب قطرت ماء". (سفر القضاة ٥: ٤) لكن عاصفة المطر ليست هي العنصر المميز الخالص لظهور الرب في الأشعار القديمة؛ فالعنصر المميز المرتبط بظهور الإله هو الظواهر البركانية كزلزلة الأرض: "אֶרֶץ רָעָשָׁה ...הָרִים נָזְלוּ מִפְּנֵי יהו־ה - الأرض ارتعدت ... تزلزلت الجبال من وجه الرب (سفر القضاة ٥: ٤-٥). وفي

سفر حبقوق ٣: ٦-٧ "וַיְתְפֹּצְצוּ הַרְרֵי עַד שַׁחוּ גִּבְעוֹת עוֹלָם הֲלִיכוֹת עוֹלָם לוֹ ...יִרְגְּזוּן יְרִיעוֹת אֶרֶץ מִדְיָן – ودكت الجبال الدهرية ... رجفت شقق أرض مديان". وبالفعل كان يوجد في أرض مديان جبال بركانية. لذلك أفلح اتباع جويطاين وتفسير لفظ الجلالة مرتبط بغيرة الرب. وإذا كنا نفهم الاسم "يهوه" بهذه الصورة، فقد ارتبط على المستوى الديني المدياني القديم بألوهية الغيرة التي تطلب الإخلاص الكامل؛ وهو ما نسميه في البحث "المونولترية"[1] أي الرغبة في عبادة إله واحد فقط. ولا يوجد هنا أي ادعاء توحيدي تام يرفض وجود آلهة أخرى لكن رغبة دينية في عبادة الإله الواحد لأنه إله غيور. وهذا أيضا ما ورد في حقيقة الأمر في الوصايا العشر:

"אָנֹכִי יהו־ה אֱלֹהֶיךָ אֲשֶׁר הוֹצֵאתִיךָ מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם מִבֵּית עֲבָדִים: לֹא יִהְיֶה לְךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים עַל פָּנָי ...לֹא תִשְׁתַּחֲוֶה לָהֶם וְלֹא תָעָבְדֵם כִּי אָנֹכִי יהו־ה אֱלֹהֶיךָ אֵל קַנָּא – أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ... لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور" (سفر الخروج ٢٠: ٢-٥).

غير مذكور هنا عدم وجود آلهة أخرى "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"؛ أي أنك لن تعبد آلهة أخرى أمامي. لماذا؟ لأني إله غيور. إذن كانت هذه على ما يبدو رؤية مستقاة من الثقافة المديانية التي ظهر فيها اسم "يهوه" الذي هو اسم الإله الغيور.

أي أن اسم لفظ الجلالة "يهوه" لا يعبر عن صفة الإله كخالق ومنشيء فهو غير مرتبط بكونه مصدر كل شيء، مصدر الوجود. إن البيئة المديانية التي ظهر فيها الاسم "يهو" أو "يهوه" لم تعرف الفعل "היה, הוה – كان". فالصفة الخاصة

[1] عبادة إله واحد في ظل وجود آلهة أخرى.

بالإله "يهو" من ناحيتهم غير مرتبطة بعمل الإله كخالق لكن بطلب العلاقة الخاصة التي يطلبها من المؤمنين به. مثل الزوج الغيور على زوجته الذي يطلب منها ولاء خاصا، كذلك "يهو" يغار على المؤمنين به ويطلب منهم عبادته هو وحده. لدينا هنا نوع من الرفض للعالم متعدد المعبودات غير قائم على الرفض المبدئي لوجود آلهة أخرى باستثناء الإله الواحد، كما هو في ديانة أخناتون؛ لكنه رفض يعكس عالم مشاعر "يهو – يهوه" الذي تحركه مشاعر الغيرة.

**ما تقوله إذن هو أنه عندما مكث موسى عند كاهن مديان وتزوج بصفورة – بالمناسبة هل مكتوب في التوراة كم سنة مكث هناك؟**

ذلك غير مكتوب في التوراة وبحسابي الزمني لم تكن الفترة طويلة فيما يبدو، ربما أربع سنوات.

**وفي هذه السنوات يتبنى ... من الجائز أن يكون قد أخذ بعض الشيء من أخناتون في مصر، ويرى هنا مرة أخرى نوعا من هذه الألوهية الفريدة فيتبناها ...**

موسى كما ذكرت الذي نشأ في بيت فرعون كان ينقصه في طفولته الوعي الديني الذي عرفه بنو يعقوب من قبل؛ حيث كانوا في أدوم وكانوا جيران المديانيين، وعلى دراية بهذا الاتجاه الديني من قبل؛ لكن موسى نشأ في بلاط فرعون ولم يتعرض للإله "يهو" في مصر. والآن، بفراره هذا يتصل بعالم ديني جديد لأنه متزوج بابنة كاهن مدين، وهذه هي الديانة التي تعرف عليها في العائلة الجديدة.

إنه دين الإله الغيور الذي يأتي معه المطالبة بالخصوصية وحظر عبادة المعبودات الأخرى. لكن يوجد بـه أيضا جانب آخر وهو مهم بالنسبة لنا جدا. هذا الجانب قد يلقي الضوء على الرؤية الخاصة التي وجدناها في كل المصادر التي تحدثنا عنها فيما يخص الخروج من مصر – كذلك عند مانيتون وفي التوراة وفي المصادر المصرية القديمة. وإهانة شعارات المعبودات التي من الممكن

أن تكون إهانة التماثيل وكذلك الحيوانات المقدسة المصرية مثل ذبح الكبش كقربان للفصح وأكله. ما نحتاجه الآن في الحقيقة هو سؤال أنفسنا: باستثناء حقيقة طلب هذا الدين الخصوصية وعبادة الإله الواحد هل كان في الديانة المديانية كذلك اعتراض على التماثيل والصور؟ هل كانت ديانة أمرت بتدمير التماثيل؟ والمصطلح الذي نستخدمه في البحث هو"إيقونولوستيكا" أي تدمير الأيقونات، الخاصة بالتماثيل، فهل لدينا شواهد على ذلك؟

الإجابة هي: نعم. فعلم الآثار يشير إلى ظهورين بعيدين عن بعضهما البعض من ناحية الوقت لكنهما مرتبطان  فيما يبدو بالرؤية "الأيقونولية" للمديانيين. وسأبدأ بالظاهرة الأولى الأقدم ثم أنتقل بعدها إلى المتأخرة وسأحتاج حينها إلى الإسهاب قليلا فيما يخص المديانيين. الظهور الأول الأقدم ويهمنا بشكل خاص لأنه من نفس حقبة موسى؛ أقصد الاكتشافات في تمنع. فقد حفر في تمنع[١] للمرة الأولى العالم الأثري بنو روتنبرج وهو الذي اكتشف الاكتشافات التي أرغب في الحديث عنها. لقد سيطر المصريون على تمنع في عصر الرعامسة وظهرت هناك كتابات لستي الأول والد رمسيس الثاني أي في بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد. استمر حكم المصريين هناك حوالي مائة وخمسين سنة حتى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد ثم ضعفوا بعد الكارثة الكبرى. وضعف حكمهم لأرض كنعان حتى تركوها بشكل نهائي. كما أنهم لم يصمدوا في المنطقة الجنوبية لتمنه واضطروا إلى تركها.

وفي الوقت الذي حكموا فيه مناجم النحاس في تمنه شيدوا هناك معبدا للإلهة المصرية حتحور، وهو المعبد الذي تم كشفه في حفريات بنو روتنبرج. ولقد ارتبطت المعبودات حتحور بأمور متنوعة مثل: الحب والحرب وتم

---

[١] حاليا هجر كحلان باليمن من مملكة قتبان وربما الأصوب تمنه كموقع تم نشاط تعديني مصري به خلال الرعامسة خاصة رمسيس الثالث.

تصويرها في شكل امرأة بقرني بقرة. وكذلك في سرابيط الخادم في مناجم الفيروز الكبرى في شبه جزيرة سيناء تم اكتشاف معبد للإلهة حتحور.

**معبد شيده المصريون؟**

أجل، إنه معبد مصري وهي إلهة مصرية خالصة مرتبطة بمختلف الأساطير المصرية. وفي اللحظة التي انسحب فيها المصريون من مناجم النحاس في تمنه وتركوها بعد ضعفهم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد كان من استولى على المكان هم هؤلاء "الجيولوجيون" – أعود لاستخدام مصطلح عوزي أفنير – ومهندسو المناجم من المديانيين. فكانوا يعملون قبل انسحاب مصر لصالح مصر ثم استولوا بعدها على المنطقة. اكشتف عوزي أفنير ولم يكن هذا واضحا في حفريات روتنبرج أنه حتى أثناء وجود المصريين هناك كان للمديانيين مركز عبادتهم الخاص؛ أي أنه كان يوجد في نفس الفترة من حكم المصريين مكانين للعبادة: الأول للعبادة المصرية؛ للإلهة حتحور وكان يحتوي على تماثيل ونقوش على صورة المعبودات؛ والآخر في مكان جانبي وهو مكان العبادة المديانية وكان مصنوعا من المصاطب والأحجار المنتصبة فقط، وذلك مكان عبادة المديانيين بدون أي رموز أو صور. وفي اللحظة التي غادر فيها المصريون استولى المديانيون عل المعبد المصري لحتحور. كما كان هناك عامودان نقش عليهما المصريون وجه المعبودات حتحور فقام المديانيون بمحوه مثلما فعل أخناتون مع صور المعبودات في معبد أبيه الجنائزي – واستخدموا أحد هذين العامودين استخداما آخر فوضعوه بجوار أعمدة حجرية أخرى كنصب في داخل خيمة العبادة التي أقاموها. ونظرا لشدة الجفاف في منطق مناجم النحاس في تمنه تم الحفاظ على بقايا هذه الخيمة. وهي كنوع من خيمة الاجتماع المديانية في داخلها مصاطب – عواميد حجرية ملساء بدون صور. هكذا تم استخدام الحجر الذي محوا منه وجه حتحور كأحد أعمدة النصب في خيمتهم.

وإلى جانب هذه البقايا عثر روتنبرج ليس في داخل المعبد المدياني ولكن خارجه على مجموعة من كل أنواع التماثيل التي تم تقديمها كهدايا للمعبد المصري حملت صور إنسان، حطمها المديانيون ودفنوها في حفرة فقد اعترضوا على التمثيل الديني في صورة إنسان.

ويؤكد ذلك اكتشاف أكثر تأخرا لكن قبل التطرق له من الضروري أن أضيف تفصيلا آخر عن المديانيين. فنحن نرى في العهد القديم نفسه أن المديانيين ارتبطوا أيضا بالقينيين. ومن المحتمل أن يكون القينيون إحدى القبائل المديانية. يحكي لنا سفر القضاة في الإصحاح الأول ١٦: "וּבְנֵי קֵינִי חֹתֵן מֹשֶׁה עָלוּ מֵעִיר הַתְּמָרִים אֶת בְּנֵי יְהוּדָה מִדְבַּר יְהוּדָה אֲשֶׁר בְּנֶגֶב עֲרָד וַיֵּלֶךְ וַיֵּשֶׁב אֶת הָעָם – وبنو القيني حمى موسى صعدوا من مدينة النخل مع بني يهوذا إلى برية يهوذا التي في جنوبي عراد وذهبوا وسكنوا مع الشعب". حمى موسى ليس اسمه هنا يثرون أو يثر فهو يسمى "القيني حمى موسى". ويتكرر هذا المسمى في عدد غير قليل من الإصحاحات ففي قصة دبوره وباراق في الإصحاح الرابع: ١١ مكتوب: "וְחֶבֶר הַקֵּינִי נִפְרָד מִקַּיִן מִבְּנֵי חֹבָב חֹתֵן מֹשֶׁה וַיֵּט אָהֳלוֹ עַד אֵלוֹן בצעננים אֲשֶׁר אֶת קֶדֶשׁ – وحابر القيني انفرد من قاين، من بني حوباب حمى موسى، وخيم حتى إلى بلوطة في صعنايم التي عند قادش". إذن فقاين من أبناء حوباب حمى موسى.

**الحقيقة أن الأحبار (حازل) يميزون بين الأسماء الكثيرة ليثرون وهو ما دفعهم إلى القول بوجود سبعة أسماء له.**

صحيح سبعة أسماء ليثرون بحسب الأحبار (حازل) ومنها قاين أو القيني. ومن المفهوم الآن أن هذا يذكرنا أيضا باسم قاين في بداية سفر التكوين ومن المهم جدا أن توبال قاين من نسل قاين: "לֹטֵשׁ כָּל חֹרֵשׁ נְחֹשֶׁת וּבַרְזֶל - الضارب كل آلة من نحاس وحديد" (سفر التكوين ٤: ٢٢). ولا يبدو ذلك مصادفة؛ فقد ذكرت هنا أشياء مرتبطة بتخصص المديانيين - القاينيين في العمل بالمعادن.

كما يجب أن نذكر أيضا أن أول مرة يستخدم فيه شخص اسم يهوه في العهد القديم كان مرتبط باسم قاين: "וְהָאָדָם יָדַע אֶת חַוָּה אִשְׁתּוֹ וַתַּהַר וַתֵּלֶד אֶת קַיִן וַתֹּאמֶר קָנִיתִי אִישׁ אֶת יהו־ה - وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت: اقتنيت رجلا من عند الرب" (سفر التكوين ٤: ١)

ورد في سفر القضاة الإصحاح الأول أن القاينيين جاءوا إلى نقب عاراد حيث اكتشفت هناك في الثمانينيات مستوطنة تعود إلى العصر الملكي الذي يطلقون عليه في البحث الأثري "خربة عوزا" لكن الباحثين المهمين أمثال ناداف نئمان وشموئيل أحيطوف يربطون هذه المستوطنة بمدينة "قينه" المذكورة في سفر يشوع (١٥: ٢٢)، لماذا؟ لأنه يوجد أسفل خربة عوزا وادي يطلق عليه وادي القيني. ولقد حفر الأثريون الإسرائيليون والأمريكيون هناك وكتب ناداف نئمان من جامعة تل أبيب مقالا مهما للغاية عن أثر الاكتشافات التي ظهرت من الحفريات وأشار إلى الاكتشاف الفريد في "قينه" فهناك عدد غير قليل من المواقع الأثرية من عصر المملكة تم الحفر فيها في هذه المنطقة وعثر فيها جميعا على تماثيل على شكل إنسان، أما في "قينه" فلم يعثر على تمثال واحد في صورة إنسان!

يقول ناداف نئمان: لا توجد هنا تماثيل على شكل إنسان لأن القينيين سكنوا هنا؛ فقد كانوا مخلصين للتراث القيني المدياني القديم الذي رفض التماثيل والصور التي على هيئة إنسان، لذلك اعترضوا على التماثيل التي على شكل الانسان. إذن، لدينا دليل أثري آخر الآن على رفض المديانيين القينيين للأيقونات.

أود أن أختتم هنا هذا النقاش عن الرفض القيني المدياني للتمثيل الديني في صورة التماثيل بذكر شخصية أخرى مهمة للغاية. يحكي سفر الملوك الثاني ٩: ٦-١٠، عن الملك ياهو بن نمشي الذي استولي على الحكم في مملكة إسرائيل من

أسرة أحاب ولأنه غيور كبير على يهوه يقوم بالقضاء على عبادة البعل التي أقامها آخاب وإيزابل (١٠: ٢٦-٢٧). وفي الإصحاح التاسع وصف لياهو الراكب لعربته وعندما يراه الرقيب من بعيد يقول: "וְהַמִּנְהָג כְּמִנְהַג יֵהוּא בֶן נִמְשִׁי כִּי בְשִׁגָּעוֹן יִנְהָג - والسوق كسوق ياهو بن نمشي لأنه يسوق بجنون" (الملوك الثاني ٩: ٢٠). السائق المجنون كان يسوق ويسافر بسرعة كبيرة جدا. وبحسب ما ورد في الإصحاح العاشر ١٥-١٦ كان ياهو السائق المجنون في طريقه إلى السامرة للقضاء على عبادة البعل لكنه أوقف المركبة وأخذ من يوصله:

"וַיֵּלֶךְ מִשָּׁם וַיִּמְצָא אֶת יְהוֹנָדָב בֶּן רֵכָב לִקְרָאתוֹ וַיְבָרְכֵהוּ, וַיֹּאמֶר אֵלָיו: הֲיֵשׁ אֶת לְבָבְךָ יָשָׁר כַּאֲשֶׁר לְבָבִי עִם לְבָבֶךָ? וַיֹּאמֶר יְהוֹנָדָב יֵשׁ וָיֵשׁ. תְּנָה אֶת־יָדֶךָ וַיִּתֵּן יָדוֹ ,וַיַּעֲלֵהוּ אֵלָיו אֶל הַמֶּרְכָּבָה. וַיֹּאמֶר לְכָה אִתִּי וּרְאֵה בְּקִנְאָתִי לַיהו־ה – ثم انطلق من هناك فيصادف يهوناداب بن ركاب يلاقيه فباركه، وقال له: هل قلبك مستقيم نظير قلبي مع قلبك؟ فقال يهوناداب: نعم ونعم، هات يدك، فأعطاه يده. فأصعده إلى المركبة وقال: هلم معي وانظر غيرتي للرب".

دعا ياهو يهوناداب بن ركاب وقال له لأن قلبك كقلبي فكلانا غيوران على يهوه ونعارض عبادة البعل فلتنضم إلي.

"يهوناداب بن ركاب". ماذا نعرف عن بيت الركابيين؟ سمعنا عنهم متأخرا في سفر إرميا في سياق القصة عن أورشليم عشية خرابها على يد البابليين. الرب يرسل إرميا إلى بيت الركابيين ويقول له اذهب إلى بيت الركابيين واسقهم خمرا. ويحضرهم إرميا إلى المخدع في المعبد:

"וָאֶתֵּן לִפְנֵי בְּנֵי בֵית הָרֵכָבִים ,גְּבִעִים מְלֵאִים יַיִן וְכֹסוֹת; וָאֹמַר אֲלֵיהֶם שְׁתוּ יָיִן .וַיֹּאמְרוּ לֹא נִשְׁתֶּה יָּיִן ,כִּי יוֹנָדָב בֶּן־רֵכָב אָבִינוּ צִוָּה עָלֵינוּ לֵאמֹר ,לֹא תִשְׁתּוּ יַיִן אַתֶּם וּבְנֵיכֶם עַד עוֹלָם .וּבַיִת

לֹא תִבְנוּ, וְזֶרַע לֹא תִזְרָעוּ וְכֶרֶם לֹא תִטָּעוּ, וְלֹא יִהְיֶה, לָכֶם כִּי בָּאֳהָלִים תֵּשְׁבוּ כָּל יְמֵיכֶם, לְמַעַן תִּחְיוּ יָמִים רַבִּים עַל פְּנֵי הָאֲדָמָה אֲשֶׁר אַתֶּם גָּרִים שָׁם - وجعلت أمام بني بيت الركابيين طاسات ملآنة خمرا وأقداحا، قلت لهم: اشربوا خمرا، فقالوا لا نشرب خمرا لأن يوناداب بن ركاب أبانا أوصانا قائلا: لا تشربوا خمرا أنتم ولا بنوكم إلى الأبد. ولا تبنوا بيتا ولا تزرعوا زرعا، ولا تغرسوا كرما، ولا تكن لكم بل اسكنوا في الخيام كل أيامكم لكي تحيوا أياما كثيرة على وجه الأرض التي أنتم متغربون فيها" (إرميا ٣٥: ٥-٧).

لماذا جئنا إلى المدينة إلى أورشليم يقول الركابيون؛ بسبب الحصار الذي فرضه نبوخذ نصر لكننا نحافظ على وصايا يهوناداب بن ركاب بعدم غرس الكرم ولا شرب خمر أو بناء البيوت وعدم زراعة الزرع لكن العيش في الخيام أي عيش حياة الرحل فهذه هي حياتنا نحن أبناء الركابيين.

**هذا يبدو مثل قوانين النبطيين بالضبط ...**

جميل جدا. هذه هي قوانين النبطيين بالضبط التي سمعنا عنها من المؤرخ اليوناني إيرونيموس (جيروم) القارضي الذي عاش في عصر الإسكندر الأكبر. أي لدينا هنا جماعة مديانية قينية سبقت العادات النبطية ويبدو أن هناك صلة قرابة بينها وبين النبطيين. وبالفعل نجد في سفر أخبار الأيام الأول الإصحاح الثاني الفقرة ٥٥ علاقة صريحة بين بيت ركاب والقينيين: "הֵמָּה הַקִּינִים הַבָּאִים מֵחַמַּת אֲבִי בֵית רֵכָב – هم القينيون الخارجون من حمة أبي بيت ركاب".

"من حمة أبي بيت ركاب" فسرها شمرياهو طلمون: من عائلة أبي ركاب أي أن القينيين على قرابة بالركابيين؛ أي أن جماعة بني ركاب كانت جماعة من أصل قيني مدياني عارض يهوناداب بن ركاب زعيمها المؤسس عبادة البعل

وانضم إلى ياهو عندما ذهب لتدمير معبد الإله بعل والقضاء على عبادته في إسرائيل. وهذا دليل آخر على الرفض المدياني القيني للأيقونات .

من المهم جدا أن تكون لدينا فيما يخص النبطيين شهادة أدبية إلى جانب الاكتشاف الأثري الذي يشير إلى معارضتهم للتماثيل في عصورهم الأولى على الأقل، ولقد خصص زميلي في الجامعة العبرية الأثري يوسف باتريك كتابا لذلك.

وبكل هذه المعلومات الأثرية والتوراتية – أقصد هنا الاكتشافات في "تمنه" و"خربة عوزا" التي هي "قينة" التوراتية، وقصة يهوناداب بن ركاب – أود العودة إلى موسى في مصر الذي عاد من مديان إلى مصر مع الاسم "يهوه" لفظ الجلالة اسم الإله الغيور، الذي يرتبط بتراث رفض الأيقونات والتماثيل والصور. ويتضح ذلك جليا في الوصايا العشر. ولتنظر إلى بداية الوصايا العشر وما قيل بعد الوصية الأولى: "לֹא יִהְיֶה לְךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים עַל פָּנָי – لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"؟ ماذا قيل؟!!: "לֹא תַעֲשֶׂה לְךָ פֶסֶל וְכָל תְּמוּנָה אֲשֶׁר בַּשָּׁמַיִם מִמַּעַל וַאֲשֶׁר בָּאָרֶץ מִתַּחַת וַאֲשֶׁר בַּמַּיִם מִתַּחַת לָאָרֶץ – لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء تحت الأرض" (سفر الخروج ٢٠: ٤). لا تصنع لك تمثالا ولا صورة، أي كما في الديانية المديانية كذلك في الوصايا العشر؛ فالمطالبة بعبادة الإله الواحد "يهوه" تأتي بعد الاعتراض على التماثيل والصور.

يعود موسى من بيت حميه كاهن مدين إلى مصر مع كل هذه الشحنة الدينية. وتكون هذه هي خلفية محاولته فرض هذه الديانة على المصريين؛ ديانة عبادة الإله الواحد ورفض عبادة التماثيل والصور. لذلك يوصي أتباعه بذبح الكبش حيوان الإله آمون المقدس وشواءه. لذا ورد في هذا السياق: "וּבְכָל אֱלֹהֵי מִצְרַיִם אֶעֱשֶׂה שְׁפָטִים – وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين" (سفر

الخروج ١٢:١٢). وتحدث عن ذلك مانيتون الذي وصف إهانة موسى - يوزارسيف وأتباعه لتماثيل المعبودات وذبحهم الحيوانات المقدسة وشوائها[1]. وهو ما تشهد به المصادر المصرية القديمة من عصر ست نخت على معارضيه بأنهم أهانوا المعبودات المصرية ولم يقيموا شعائر عبادتها.

أعتقد أن هذا الاتجاه كانت له جذور عند بني يعقوب نتيجة مكوثهم في أرض أدوم بجوار المديانيين لكن موسى الذي سكن أرض مدين في قلب هذه الحضارة وتزوج بابنة الكاهن المدياني تعلق بهذا التراث الديني[2] بكل قوة وأتى به إلى مصر ليطبقه فيها بكل حماس. وحاول مثل أخناتون قبله فرض دينا جديدا يوحد الإله لكن بشكل مختلف عن الشكل الأخناتوني ومع نفس المطالبة بالخصوصية وحظر عبادة التماثيل. هذا هو الصراع الديني الذي تحدثت عنه المصادر الثلاثة: مانيتون والوثائق المصرية القديمة من عصر ست نخت والعهد القديم.

**دعني أفهم جيدا هذا الكلام المهم الذي شرحته الآن. هذا يعني أن موسى هرب من مدين وعاد إلى مصر وانضم إلى نفس جماعة يعقوبئيل بعدما تأثر به من يثرون حميه – كل ما ذكرته الآن بخصوص الإله الغيور ومنع عبادة إله آخر لدرجة تحطيم تماثيل المعبودات الأخرى – وما قلته عن ثقافة تحطيم الأيقونات ...**

صحيح.

---

[1] هنا التداخل متكرر من قبل المؤلف ما بين الشكل الحيواني المقدس داخل حرم المعبد المشيد لذلك المعبود ورمزه وبين الحيوان ذاته في مناحي الحياه : حيث استخدمه المصري في أعمال الفلاحة والرعي ولم يجد حرجا في ذبح الكبش العادي طعاما له.

[2] موسي تلقي الوحي الالهي في سيناء من الرب بالعقيدة اليهودية ولم ينقل موسي عن تراث بشري لتلك المجموعة البشرية : مدين.

**إن ما أفهمه في الحقيقة هو أن لدى هذه الجماعة التي تصورت حتى الآن أنها جماعة صغيرة من الرحل بزعامة موسى القوة حقيقية في التعامل مع الإمبراطورية المصرية ومحاولة السيطرة عليها ...**

يحتمل أن بعض المصريين الأصليين ناصروه. وأعتقد أن الحديث هنا ليس عن محاولة السيطرة وفرض هذه العبادة على جميع أنحاء مصر. وأننا نتحدث عن العاصمة في الأساس فقد كانت العاصمة في هذه الفترة لاتزال بر-رعمسيس نفس المدينة التي بناها رمسيس الثاني حيث سكن بنو يعقوبئيل. ويعتقد أن هذه الأحداث وقعت في هذه المنطقة تحديدا، منطقة شرق الدلتا.

**شيء محلي تماما.**

محلي لكن في مكان مهم للغاية، في العاصمة وحولها كما تركزت ثورة أخناتون كذلك في العاصمة التي شيدها.

**سؤال آخر إذا أذنت لي . ذكرنا من قبل قويفمان وأنا أريد أن أطرح هنا شيئا يؤرقني؛ نجد بحسب نظريتك التي سمعناها من قبل أن ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم وهي ما نطلق عليه التوحيد قد مرت بنوع من النشوء والارتقاء. فقد كانت في البداية قبل الاتصال بالمديانيين ديانة تعددية ثم مرت بعدها بعدة مراحل. لكن ذلك عند قويفمان بمثابة "ثورة جذرية". فكرة أساسية كما يسميها شيء ما غير تدريجي كما ذكرت أنت الآن.**

أنا أختلف مع قويفمان وأتفق معه في آن واحد. أختلف معه في عرضه لظاهرة ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم كثورة يقوم بها موسى ليس لها أي سابقة خارج شعب إسرائيل. فأختلف معه في ذلك؛ ففي اللحظة التي قبلت فيها ما يسمى في البحث "التخمين القيني-مدياني" أكون قد اختلفت معه. لكني أتفق معه في رفضي للرأي الذي يعتبر حالة التعددية جزءا من مراحل العقيدة الإسرائيلية. وسأوضح مقصدي. تحدثنا الآن عن القرنين الثالث عشر والثاني

عشر قبل الميلاد هل عبدت الجماعة الشمالية ليعقوبئيل التي ذكرناها من قبل الجماعة التي لم تعرف المديانيين إلها واحدا؟ لا أعتقد أنها عبدت إلها واحدا. ماذا كانت ديانتهم إذن؟ التعددية الوثنية. أجل كما هو مكتوب في صلاة عيد الفصح: "في البداية عباد أوثان كان أباؤنا ... حيث قيل ... عبر النهر سكن أباؤكم ... وعبدوا آلهة أخرى".

إذن فآباء بني إسرائيل الأولين كانوا عبدة أوثان. لكني أتفق مع قويفمان بأن الوثنية لم تكن ِمرتبة في ديانة بني إسرائيل فهي تسبقها؛ فديانة بني إسرائيل مرتبطة بلفظ الجلالة "يهوه" المرتبط بالتوحيد أي عبادة الإله الواحد ومعارضة عبادة الأوثان.

لدينا هنا ثورة ضد الوثنية والتعددية، يحاول موسى وجماعته في مصر فرضها[1] على المصريين وهي المحاولة التي باءت بالفشل فموسى لم ينجح في تغيير الثقافة المصرية. ويطرد موسى وجماعته من مصر ويخسرون المعركة على الحكم في مصر –المعركة العسكرية والسياسية وكذلك الدينية.

حقا يمكننا القول: حسنا كانت في مصر محاولتان لفرض رؤية ذات طابع توحيدي معارضة لعبادة الأوثان. ومحاولة مثلها في عصر أخناتون في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد حوالي عام ١٣٥٠ قبل الميلاد والتي استمرت سبع عشرة سنة وفشلت. وهجرت عاصمته وغطت الرمال معابده وتغيرت الأسماء وحذف اسمه من كتب التاريخ المصرية كما ذكرنا. وبعدها بفترة متأخرة بعد أخناتون بمائة وخمسين سنة تقريبا يأتي موسى ويحاول مرة أخرى لكنه يفشل أيضا. وتبقى الحضارة المصرية على مدار مئات السنين الأخرى حضارة وثنية تعددية.

---

[1] موسي لم يفرض دعوته وفقا للنص القرآني بل دعا فرعون لعبادة يهوه، الاله الواحد المفرد.

**إذا ما قرأت في العهد القديم سأجد أن موسى لم ينجح أيضا كثيرا مع شعبه في تطبيق ذلك.**

أود أن أشير إلى شيء ما هنا. دعنا نأخذ العهد القديم مع القليل من التشويق. لقد فشل أخناتون ولم يدخل قلب شعبه. ولم يبق مؤمن واحد بثورته بعد إبعاده عن المشهد؛ فقد سارع الجميع إلى العودة إلى التعددية الوثنية بما في ذلك الكاهن الأكبر للإله آتون. وفي المقابل فشل موسى في محاولته فرض ديانته على المصريين لكنه حقق نجاحا حقيقيا مع بني إسرائيل. فعصر القضاة في رأيي هو العصر الأول لشعب إسرائيل في أرضه ويظهر فيه بوضوح تأثير مسيرة موسى الدينية. وهنا أختلف مع بعض مما ورد في سفر القضاة ...

**تختلف جدا ...**

صحيح، أختلف جدا. فأنا أود أن أزعم اعتمادا على الاكتشافات الأثرية أن بني إسرائيل كانوا يؤمنون في عصر القضاة بإله واحد ولم تكن لديهم عبادة أوثان. أي أن موسى حقق في اعتقادي نجاحا، على الأقل في فترة بداية شعب إسرائيل. حتى وإن حدثت أزمات فيما بعد وفترات وثنية؛ فالحقيقة هي إننا الآن وبعد موسى بآلاف السنين نجلس ونتحدث سويا عن ديانته، رغم كل المشكلات وليس عن شيء ما تاريخي أثري كما هو مع ديانة أخناتون نتحدث عنها في حوار في إطار حضارة مستمرة بشكل أو آخر وهو ما لم يحدث مع أخناتون وهذا فرق كبير جدا.

**لكني لن أذهب إلى سفر القضاة لكن إلى موسى فعندما يصعد للقاء الرب فور الخروج من مصر للحصول على الألواح وبعد كل المعجزات والعجائب التي شاهدوها يقومون على الفور بصنع العجل ويعودون إلى عبادة آلهتهم السابقة دون الانتظار كثيرا.**

بخصوص خطيئة العجل أقترح أن تقرأ كلمات رابي يهودا اللاوي الشاعر والمفكر الديني الذي عاش وكتب في الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي الذي وصف في كتابه "الخزري" للحوار بين ملك الخزر" وصديق "حكيم يهودي" محاولا إقناعه باعتناق اليهودية ويحكي له عن موسى وعظمته فيقول له الخزري ما قلته أنت بالضبط: إنه في الوقت الذي صعد فيه موسى جبل سيناء ولم يرجع في الموعد صنع بنو إسرائيل العجل على الفور. أي أن موسى فشل فشلا ذريعا.

فيقول له الحكيم اليهودي الذي هو رابي يهودا اللاوي في حقيقة الأمر: لحظة! لنهدأ قليلا! لم يعبد كل الشعب العجل لكن ثلاثة آلاف فقط بحسب ما ورد في سفر الخروج ٣٢: ٢٨. كما إني غير واثق من أن عبادة العجل كانت عبادة فعلية لإله آخر. فما المكتوب؟ عندما صنع هارون العجل قال: "חַג לַיהו־ה מָחָר - غدا عيد للرب" (سفر الخروج ٣٢: ٥). أي أن العجل صنع في إطار الاحتفال بيهوه.

كما قال الحكيم اليهودي لملك الخزر: أتعلم؟ سأحضر لك دليلا قويا جدا على أن ذلك لم يكن عبادة أوثان. وما هو الدليل؟ أتذكر ذلك السائق المجنون؟ ياهو الغيور على الرب الذي دعا يهوناداب بن ركاب لمشاهدة غيرته على الرب؟ هو يصف نفسه بالغيور على الرب، وبعد عرض سفر الملوك الثاني لعملية تنفيذ الثورة الدينية من القضاء على عبادة البعل في إسرائيل والتي قام بها ياهو بغيرة كبيرة بشكل مفصل يذكر: "וַיַּשְׁמֵד יֵהוּא אֶת הַבַּעַל מִיִּשְׂרָאֵל .רַק חֲטָאֵי יָרָבְעָם בֶּן נְבָט אֲשֶׁר הֶחֱטִיא אֶת יִשְׂרָאֵל לֹא סָר יֵהוּא מֵאַחֲרֵיהֶם עֶגְלֵי הַזָּהָב אֲשֶׁר בֵּית אֵל וַאֲשֶׁר בְּדָן - واستئصل ياهو البعل من إسرائيل. ولكن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطيء لم يحد ياهو عنها. أي عجول الذهب التي في بيت إيل والتي في دان. (سفر الملوك الثاني ١٠: ٢٨-٢٩)

لاحظ: ها هو الغيور الكبير على الرب "الذي عمل ضد عباد البعل بكل حزم، بحسب ما هو مكتوب، يستمر في إقامة عبادة العجل الذهبي في بيت إيل وفي

دان. من هنا وبحسب رأي ياهو، لم تكن عبادة العجل تعارض عقيدته وغيرته الدينية.

وإذا سألته: لحظة يا ياهو، أنت تعتبر نفسك غيورا على الرب فلماذا تذهب إلى عبادة العجل الذهبي؟ سيجيبك ياهو، ماذا تريد مني؟ العجل الذهبي هو رمز ليهوه. وهو ليس تمثيلا للإله نفسه، إنه مركبة الرب. وعندكم في أورشليم "الكروبيم" والرب هو الجالس على الكروبيم. وعندنا في مملكة الشمال لا يعتبر الرب جالسا على الكروبيم لكنه واقفا على ظهر العجل. فما الفرق بين الكروب والعجل؟

هذه ليست عبادة أوثان كما أن ذلك ليس تمثالا للرب نفسه فذلك ليس تجسيدا حيا للألوهية نفسها فهو مثل المركبة الحيوانية للرب فلديكم مركبة ولدينا أخرى. وهاهو النبي حزقيال يأتي ويصف لنا الحيوانات - المركبات وستكون هنا على هيئة ثور (حزقيال ١: ١٠).

**يبدو أن موسى لم يقبل هذا التفسير إن كان قد غضب لهذه الدرجة وحطم الألواح عندما رأي العجل ...**

السؤال هو: متى تم تدوين هذه القصة وما الرؤية التي تعكسها. لم يتفق الجميع على عبادة العجل في بيت إيل وفي دان، لكنها كانت عبادة رسمية لمملكة إسرائيل وليس الملوك فقط هم الذين عبدوا الأوثان. وأعتقد إننا في حاجة إلى قراءة كتاب الخزر في هذا الشأن. فالوضع لم يكن بهذه البشاعة وموسى في رأيي قد ...

**قام بعمل جيد.**

بالطبع.

الحوار التاسع

# من يعقوبئيل إلى إسرائيل

**بروفسور، أعتقد أنك تميزت في لعبة حل الألغاز عندما كنت صغيرا.**

لم أكن سيئا.

**لأنك تضع بالفعل كل جزء وكل قصة، في مكانها الصحيح بالضبط. لقد راجعت كل ما تحدثنا عنه في حواراتنا الأخيرة، وفجأة أصبح لكل الأشياء التي درستها وقرأتها في التوراة والعهد القديم، وفي المدرسة والجامعة وعند سماع قصة الأسبوع في الكنيس معنى مختلف تماما. فقد أصبحت أكثر وضوحا ومنطقية وتنظيما. ومازلت لا أعرف كيف سيتقبل الجانب العقدي عندي ترتيب أجزاء أحجيتك، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد، لكن لايزال هناك جزء سنضطر إلى النظر في كيفية وضعه في موضعه في هذه الأحجية. أقصد هنا لوح إسرائيل لمرنبتاح ابن رمسيس الثاني. فإذا كنت تؤخر قصة موسى والخروج من مصر إلى عصر ست نخت وليس لعصر رمسيس الثاني، إذن فمن هي تلك الجماعة الإثنية التي عرفت باسم إسرائيل[1] وذكرها مرنبتاح في لوحه، في قصة حملته الحربية في ليبيا وكنعان؟ إننا نتحدث بشكل عام طوال الوقت عن تلك الجماعة "يعقوبئيل" التي سكنت أدوم وهبطت إلى مصر بسبب المجاعة وانضمت إلى موسى في مصر. لكنك ذكرت في أحد حواراتك السابقة جماعة يعقوبئيل أيضا التي سكنت شمال فلسطين، فمن هي تلك الجماعة الشمالية؟ وما علاقتها بالجماعة التي سكنت منطقة أدوم؟ وهل يصح القول إنها الجماعة التي تحدث عنها مرنبتاح في لوحه؟**

---

[1] النص الفعلي تضمن بقايا كلمة من حروف إسر...، جادل البعض في الربط بينها وبين كلمة اسرائيل.

أعتقد بالفعل أن هذا هو الاتجاه الذي يجب أن نفكر فيه. في الحقيقة إن صعوبة الترتيب الزمني التي تشير إليها قائمة حتى بدون مقترحي وضع الخروج من مصر في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد. فحتى الذين يجعلون الخروج من مصر في عصر رمسيس الثاني لديهم مشكلة. فالتوراة تذكر أن ملك الاستعباد ليس هو الملك الذي حدث الخروج في عهده، حيث ورد قبل بداية قصة الضربات والخروج: "וַיְהִי בַיָּמִים הָרַבִּים הָהֵם וַיָּמָת מֶלֶךְ מִצְרַיִם וַיֵּאָנְחוּ בְנֵי יִשְׂרָאֵל מִן הָעֲבֹדָה - وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو إسرائيل من العبودية" (سفر الخروج ٢: ٢٣)

**لكن هناك باحثون يقولون إن سِتي[١] والد رمسيس كان هو المستعبد، ولو كان الأمر كذلك سيكون الخروج من مصر في عصر رمسيس الثاني منضبطا ...**

ومكتوب أيضا من ناحية أخرى: "וַיִּבֶן עָרֵי מִסְכְּנוֹת לְפַרְעֹה אֶת פִּתֹם וְאֶת רַעַמְסֵס – فبنوا لفرعون مدينتي مخازن: فيثوم ورعمسيس". ومدينة بر رعمسيس بناها رمسيس الثاني وليس ستي وإذا أردت أن تكون مرتبط أكثر بما هو مكتوب بالتوراة فعليك القول إن فرعون المستعبد كان رمسيس الثاني وقد مات وخرجوا من مصر في عصر ابنه مرنبتاح. حكم مرنبتاح مصر حوالي عشر سنوات من ١٢١٣ - ١٢٠٣ قبل الميلاد. إذن حتى مع هذا التقدير ستكون هناك مشكلة في الحساب: فلو إنك أضفت الأربعين سنة فترة التيه في الصحراء سوف تحصل على موعد دخول إسرائيل إلى أرض كنعان حوالي ١١٧٠ قبل الميلاد.

---

١ ستي الأول.

لكن مرنبتاح يحكى في لوحه عن الحرب التي حارب فيها إسرائيل في كنعان[1] أي أن المعطيات التوراتية ستكون غير منسجمة مع الاكتشافات الأثرية في جميع الأحوال.

علينا أن نفترض أن هذه الجماعة التي خرجت من مصر ليست هي الجماعة التي قابلت مرنبتاح في كنعان. ولو إنها نفس الجماعة فلن تتسق الأمور من ناحية الترتيب الزمني.

**وهو ما سيحملنا إلى الشق الأخير من السؤال: من هي تلك الجماعة التي قابلها مرنبتاح؟**

تحدثنا في بداية كلامنا عن جماعتين: عن يعقوبئيل الشمالية، ويعقوبئيل من أدوم. وسأراجع أصلهما باختصار. ورد ذكر يعقوبئيل مرتين في قوائم الحملات المصرية: الأول في وصف حملة تحتمس الثالث الحربية لاحتلال أرض كنعان في النصف الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وذكر فيها يعقوبئيل التي في الشمال؛ والثاني بعد حوالي مائتي سنة من ذلك التاريخ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد في قائمة حملة رمسيس الثاني. وكما شرحنا بالتفصيل ففي قائمة رمسيس يكون الحديث عن يعقوبئيل المحاطين بعبدة الإله "قوس الأدومي"، يعقوبئيل التي تسكن أرض أدوم.

أود التأكيد الآن على شيء كنت أشرت إليه من قبل ويستحسن تكراره والتأكيد عليه. يظهر الاسم يعقوبئيل قبل هاتين الإشارتين في أماكن أخرى في بلاد الرافدين لكنها كانت أسماء أشخاص سميت بهذا الاسم. والخصوصية في الإشارات المصرية سواء بالنسبة للشمالي أو الجنوبي هي أن اسم يعقوبئيل فيها

---

[1] هنا أيضا المؤلف يخلط بين كنعان والكنعانيون سكان فلسطين وبين اسر... تلك المجموعة البشرية بمخصص البشر وبدون تحديد مكان جغرافي لها وفقا لقواعد اللغة المصرية.

ليس اسم شخص لكنه اسم جماعة. ويتضح أن الحديث هو عن جماعة تسمى يعقوبئيل على اسم أب قديم لهذه الجماعة فيما يعتقد.

علينا العودة إلى جماعة يعقوبئيل الشمالية ونتذكر ما قلناه عن تموضعها. كانت لدينا إشارتان حملتانا إلى مكان أكثر دقة. فمن ناحية ورد ذكر اسم المكان حلقر في القائمة نفسها بجوار يعقوبئيل. وفي الوثائق الأشورية حدد ناداف نئمان على هذا الأساس كما أسلفنا مكان حلقر بجوار يعقوبئيل في منطقة حوران. ونذكر أن حوارن هي المنطقة التي تقع شرق هضبة الجولان، المنطقة البركانية في جزء منها. وفيها جبل مرتفع هو اليوم حصن الدروز أو جبل الدروز. وفي حوران كذلك مناطق جيدة جدا للاستصلاح الزراعي وكذلك مناطق بازلتية.

ورد الاسم "حوران" في سفر حزقيال في الحديث عن حدود البلاد ويذكر حزقيال حوران بالركن الشمالي الشرقي من البلاد (حزقيال ٤٧: ٨). وتظهر الكلمة في حزقيال منطوقة حِوران.

**هل لها علاقة بحاران محل إقامة تارح والد إبراهيم بعد أن ترك أورالكلدانيين؟**

بالفعل يشبه اسم مدينة حاران جدا حوران كما هو منطوق في سفر حزقيال لكنها غير مرتبطة بها جغرافيا كما ذكرنا من قبل. فحوران اسم منطقة بجوار هضبة الجولان ومدينة حاران موجودة في الشمال بعيدا في تركيا إلى الشمال قليلا من الحدود السورية التركية والمسافة بين المكانين كبيرة جدا. لكن أسماءهما كما ذكرت متقاربة جدا، والسؤال الذي أطرحه على نفسي هو: إذا كان تم بالفعل نطق اسم حوران حِوران فهو من الناحية الصوتية غير بعيد عن حاران؛ أليس من المحتمل أن تكون الرواية عن حاران كأصل الآباء نتيجة الارتباك في تبليغ الاسم حوران من جيل لجيل؟ فقد ذكرنا إن هذه الروايات

تناقلت شفاهة على مدار مئات السنين وبهذه الطريقة ربما تحولت حاران إلى حوران. وأنا أترك هذا السؤال مفتوحا فلا أعرف له إجابة مؤكدة.

تناولنا في أحد الحوارات السابقة فقرة خاصة ومهمة في سفر التكوين؛ حيث ورد في الإصحاح ٢٩: ١: "וַיִּשָּׂא יַעֲקֹב רַגְלָיו וַיֵּלֶךְ אַרְצָה בְנֵי קֶדֶם – ثم رفع يعقوب رجليه وذهب إلى أرض بني المشرق" وقلنا إن أرض بني المشرق هي أرض الرحل: منطقة شاسعة بدايتها في شبه الجزيرة العربية وأطرافها الشمالية في حوران. وحوران هي الطرف الشمالي لأرض بني المشرق. أما في سفر هوشع فقد ورد: "וַיִּבְרַח יַעֲקֹב שְׂדֵה אֲרָם – وهرب يعقوب إلى صحراء آرام"[١] وكذلك في داخل الأرض الآرامية، والاحتمال الوحيد الذي يتماشى مع التحديدين الجغرافيين هو حوران. وعن حوران فقط يمكن القول إنها جزء من "أرض بني المشرق" في الطرف الشمالي من أرض بني المشرق، وكذلك تحديد موقعها في الأراضي الآرامية، لذلك يمكن تسميتها "صحراء آرام".

الآن أود ذِكر شيئا آخر عن حوران وطبيعتها الاستيطانية. ولماذا ضمت إلى أرض بني المشرق...

**في الحقيقة إذا حاولت تخيل جغرافية منطقة أرض بني المشرق فأنت تتحدث عن مساحة شاسعة تبدأ في شمال المملكة العربية السعودية وتنتهي في الحوران...**

صحيح. وهل تعلم من سكن أيضا هذه المساحة الشاسعة؟ من انتشر في المنطقة من شمال المملكة العربية السعودية، شمالي شبه الجزيرة العربية، عبر شرق الأردن ومنطقة العربة وحتى الحوران؟ النبطيون.

---

١ مصطلح آرام والآراميون زمنيا يعود إلى أواخر العصر الحديدي ربما القرن السادس قبل الميلاد، وبالتالي هنا تداخل خاطئ زمنيا في تناول الأحداث من قبل المؤلف.

**هل سكن النبطيون هذه المساحة أم أنهم مروا بها فقط بقوافلهم فيما يسمى بـ"طريق النبطيين"؟**

كلا. سكنوها بالفعل. كانت لديهم مستوطنات في كل هذه المنطقة. كان لديهم ثلاثة ارتكازات. ويذكر الأدب التلمودي هذه الأماكن "رقم وحجر" (انظر مشنا جيطين ١: ١) حجر هي هجارا في شمال غرب شبه الجزيرة العربية حيث كان هناك مركزها الجنوبي؛ وشمالا في جنوب شرق نهر الأردن، في أدوم كانت "رقم" وهي البتراء التي كانت بالطبع مركزا مهما للنبطيين. لكن كان لديهم أيضا استيطان واسع في داخل حوران. ونجد هناك الكثير من الكتابات النبطية. وعندما تحدثت عن أبناء الركابيين، وعن الوصية التي حصلوا عليها من يهوناداب بن ركاب ...

**تقصد قوانينهم ...**

أجل، عدم الجلوس في البيوت وعدم الزراعة أو شرب الخمر، قلت لي ...

**يبدو ذلك بالضبط مثل القوانين النبطية.**

بالضبط، النبطيون. فكما ذكرنا هذا هو ما قاله المؤرخ اليوناني عن النبطيين بالضبط. فهذه القوانين راسخة في الروايات القديمة جدا جدا. وهذه هي منطقة أرض بني المشرق؛ ساكنو الخيام ورعاة الأغنام وتجار القوافل التي تحمل العطور الخضراء من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال.

أعود إلى نقطتنا. فلو كان يعقوب قد ذهب إلى هناك وفي نفس الوقت إلى أرض بني المشرق وكذلك صحراء آرام فهذه هي منطقة الحوران. وترتكز في هذه المنطقة الجماعة الشمالية ليعقوبئيل. إذن على غرار النبطيين الذين سكنوا في عصر متأخر في حوران وكذلك في أرض أدوم انقسم بنو إسرائيل أيضا إلى جماعتين شمالية في حوران وجنوبية في أدوم.

لنرجع الآن إلى مرنبتاح! إلى أين ذهب مرنبتاح؟ ومن حارب؟ وأين وقعت هذه الحرب؟

**لقد حارب في عدة أماكن ويذكر أيضا ثلاث مدن حاربها في كنعان: عسقلان والجيزر وينوعام.**

صحيح. يرى المؤرخ دانإل قاهان أن مرنبتاح خاض معارك عدة في وقت وآن واحد ترتبط جميعها بأزمة المجاعة الكبرى التي تحدثنا عنها بشكل ما. فقد كان هناك في البداية أناس جوعى جاءوا من بعيد مثل شعوب البحر الذين لم يكونوا خاضعين له وحاولوا غزو مصر. ويحكي المضمون الرئيسي للوح مرنبتاح كما ذكرنا من قبل عن محاربته لتحالف شعوب البحر مع القبائل الليبية التي دخلت مصر من الغرب وقام بصدهم. ومن ناحية أخرى قام بحملة حربية في كنعان وحملة أخرى في أرض كوش بالسودان. ويبدو أنه كان هناك كثير من حركات التمرد في الامبراطورية المصرية بسبب الأزمة الكبرى لم يستطع الناس تحملها وانهاروا تحت عبء الضرائب. وعلينا أن نفهم وضع الضرائب[1] في كنعان في تلك الفترة. فلو كنت على سبيل المثال مواطنا في عسقلان المدينة الرئيسية في كنعان التي حاربها مرنبتاح مواطنا في هذه المدينة الكنعانية في عصر رمسيس الثاني أو مرنبتاح لكان عليك دفع الضرائب مضاعفة: تدفعها لحاكم المدينة ولملك عسقلان الكنعاني وللملوك المصريين وللفراعنة.

---

[1] وفقا للمصطلحات اللغوية الخاصة بمناطق النفوذ الإمبراطوري المصري في آسيا (شرق حوض البحر المتوسط) خلال عصر الدولة الحديثة كانت تدفع inw بمعنى الجزية أما الضرائب b3k فكانت يتم جبايتها من المصريين في وادي النيل ومن أهل النوبة بعد ضم مصر لأراضيها للأراضي المصرية ذاتها.

**يبدو ذلك ملفا ثقيلا جدا ...**

صحيح، عبء ثقيل جدا خاصة في سنوات المجاعة[1] التي كان المحصول فيها قليلا. تلك على ما يبدو خلفية التمرد الذي اندلع في عدة مواضع في كنعان التي خرج مرنبتاح لقمعها. ولا نعرف التاريخ الدقيق لحملة مرنبتاح إلى كنعان. فيظهر في اللوح تاريخ حرب شعوب البحر التي وقعت في العام الخامس من حكمه. ولقد تولى مرنبتاح الحكم عام ١١١٣ قبل الميلاد فإذا كانت حرب شعوب البحر قد حدثت في عام ١١٨٨ قبل الميلاد فمن المحتمل أن محاربة كنعان كانت في نفس السنة أو ربما قبلها بفترة، وهذا غير معلوم بوضوح.

بدأت حملة مرنبتاح الحربية بعسقلان؛ حيث خرج مرنبتاح بجيشه من منطقة بر-رعمسيس الموجودة في الطرف الشرقي لدلتا النيل بالضبط وذلك عبر مدينة العريش اليوم ورفح وغزة حتى عسقلان. وكان التقدم حتى عسقلان عبر الوادي بطول الساحل، وتوجد في معبد الأقصر نقوش تصف مشهد الحرب وكلمة "عسقلان" مكتوبة هناك فوق رسم لمدينة يحاصرها الجيش المصري. وكان من المعتاد الاعتقاد أن هذه النقوش تصور حروب رمسيس الثاني لأنها موجودة على جدار المعبد الذي شيده؛ لكن يعتقد بعض الباحثين أن مرنبتاح بن رمسيس هو الذي نقشها وإنها تصور حربه في كنعان.

تقدم مرنبتاح من عسقلان نحو الشمال الشرقي حتى وصل إلى مدينة جزر[2] وحاربها، ولقد بقيت أطلال المدينة في التل القديم الموجود اليوم بين اللطرون ورام الله بجوار طريق القدس. كانت جزر مكانا مهما للحكم المصري؛ حيث

---

[1] راجع ما سبق قوله عن إمداد مصر للحيثيين بسفن محملة بالقمح لانقادهم من سنوات القحط التى ألمت ببلاد الأناضول آنذاك ووفقا لبنود معاهدة السلام التى وقعها والده رمسيس الثاني.

[2] الأصوب جزر أو تل جزر، موقع شوشه الحالي ما بين القدس وتل أبيب.

كانت توجد ممثلية الإدارة المصرية[١]. ويحتمل أن يكون مرنبتاح قد حارب في هذا الوقت مستوطنات أخرى في المنطقة يبدو أنها تمردت عليه هي أيضا. وعثر في حفريات حديقة القلعة في يافا على بوابة كبيرة من عصر رمسيس الثاني والد مرنبتاح عليها إشارات تشير، بحسب بعض الأثريين، إلى اندلاع أحداث عسكرية في عصر مرنبتاح[٢]. إذن من الممكن أن قائمة مرنبتاح لم تضم كل الأماكن التي تمردت عليه وإنه كانت هناك أماكن أخرى شاركت في التمرد من بينها مدينة يافا. على أي حال كان المحور الرئيس لتقدم الجيش المصري هو فيما يبدو من عسقلان نحو جيزر. وبعد جيزر يشير لوح مرنبتاح إلى مستوطنة تسمى ينوعام.

**وعن ينوعام يقول: "كانت كأن لم تكن" وهو يتحدث هنا عن إبادة شاملة.**

صحيح، ويبدو أنه يقول الحقيقة في حالة ينوعام عندما قال بأنه أبادها تماما. لأن هذا الاستيطان الذي ورد ذكره مرات عديدة في الوثائق المصرية في عصر ما قبل حملة مرنبتاح لم يظهر بعدها مرة أخرى في أي وثيقة. ولم تظهر ينوعام في العهد القديم لأن مرنبتاح أبادها تماما فلم يعد لها وجود.

واختلفت الآراء فيما يخص مكان ينوعام ومنها رأي الأثري يوحنان أهروني بأنها كانت عند الطرف الغربي من نهر الأردن في المنطقة المجاورة لبحيرة طبرية. والرأي الذي أعتبره أكثر إقناعا هو رأي ناداف نئمان الذي رأى بوجود ينوعام

---

١ عكست النصوص المصرية تقسيم السلطة المصرية علي مناطق سيادتها في شرق حوض البحر المتوسط من المياه المنعكسة/نهر الفرات إلى ثلاث مناطق ادارية في دمشق، فلسطين وعزة.

٢ الأصوب أن مصر واجهت مشاكل عدة ناجمة عن تحركات شعوبية من قبل بقايا الحضارة المينوية المنهارة ومحاولتهم التدافع عبر بلاد الأناضول إلى سوريا ومن بعد محاولاتهم للوصول إلى وادي النيل وهو ما وقع علي كاهل رمسيس الثاني، ومرنبتاح وأخيرا رمسيس الثالث عب المواجهة ومحاولة إيقاف أخطارهم. وما قد يكون صاحبها من تمردات لمجموعات دويلات المدن المحلية في سوريا وفلسطين علي السيادة المصرية.

على الضفة الغربية لنهر اليرموك الذي يصب في نهر الأردن غير بعيد عن نقطة التقاء الحدود السورية الإسرائيلية اليوم. فهناك تل قديم يسمى اليوم تل الشهاب. ويضم هذا التل بقايا مستوطنة كبيرة من العصر البرونزي المتأخر لكن لا توجد أي بواقي لطبقة متأخرة. وهذا يناسب بالفعل مدينة شيدت في العصر البرونزي المتأخر ودمرت تماما في الفترة الانتقالية إلى العصر الحديدي أي حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد. وتتماشى هذه المعطيات كثيرا مع ما هو معروف لنا عن ينوعام. ويظهر من وثائق مصرية أخرى أن ينوعام كانت مدينة تقع بجوار النهر وهو ما يناسب الموقع الجغرافي لتل الشهاب أي بجوار نهر اليرموك؛ لذلك فإن رأي ناداف نئمان يبدو الأكثر توفيقا. إذن، فنحن ...

**نتجه نحو الشمال مع الجيش المصري ...**

أجل، نتجه من جزر صوب الشمال. لا نتجه صوب الشمال فقط لكننا سنواصل نفس المزج بين الشمال والشرق لأننا عبرنا نهر الأردن في مكان ما لا أعلمه. فهناك أماكن مختلفة من الممكن اجتياز نهر الأردن فيها ربما عند نقطة جسر دامية الحالي وربما أكثر شمالا. إذن عبرنا نهر الأردن ونحن موجودون الآن على الناحية الشرقية في منطقة اليرموك. اليرموك الذي يتدفق أسفل الكتلة الجبلية للحوران والباشان[1].

وبعد أن يحكي مرنبتاح عن خراب ينوعام، يأتي دور إسرائيل التي يقول عنها "ضاعت إسرائيل ولا نسل لها".

**دمرت.**

دمرت، ضاعت، لا نسل لها. هذا ما ذكره مرنبتاح عنا. في أول ذكر لنا في التاريخ يتحدثون عن القضاء على إسرائيل...

---

[1] أرض مملكة الأموريين في أرض كنعان واقعة جنوب سورية وشرقي الأردن بين جبلي حرمون وجلعاد.

**وها نحن نجلس الآن في القدس عاصمة إسرائيل ونتحدث عن مرنبتاح ...**

صحيح، نتحدث الآن عن إبادتهم لنا قبل ثلاثة آلاف سنة ... هناك جدل بين الباحثين حول معنى المصطلح "لا نسل لها" حيث يفسره البعض بالمفهوم الزراعي بعدم وجود حبوب عندها لتأكلها لكن يبدو أن التفسير الصحيح هو "لا نسل لها".

والآن، أين تقع إسرائيل هذه؟ كتب ناداف نئمان في نفس المقال عن ينوعام: إذا كانت ينوعام من الناحية المنطقية تقع شرق نهر الأردن فمن المعقول أن إسرائيل كانت هناك في نفس الفترة.

**سؤال من فضلك! عندما يكتب مرنبتاح "إسرائيل" فمن كان يقصد بالضبط؟**

هنا يجب إبداء ملاحظة بخصوص أدوات الوصف فأدوات الوصف في اللغة المصرية القديمة عبارة عن علامات توضع بجوار الكلمات وظيفتها تحديد شكل الكلمة التي تقع بجوارها إن كان هذا اسم ...

**بلد، مدينة، جماعة صغيرة ...**

صحيح، بالضبط. المكتوب إذن هو :"أهينت كنعان بكل شر، وأخذت عسقلان وحوصرت جزر وأصبحت ينوعام كأن لم تكن." وبجوار كلمات: عسقلان وجزر وينوعام توجد أداة وصف مدينة. ثم في السطر التالي: دمرت إسرائيل ولا نسل لها. وبجوار كلمة "إسرائيل" نجد أداة وصف ليست للمدينة لكن لجماعة قبلية[١]. أي إن إسرائيل ليست مدينة لكن جماعة قبلية تم تدميرها ولا نسل لها.

يمكن القول إن ترتيب الأسماء في نقش مرنبتاح ترتيب موضوعي: يذكر في البداية ثلاثة مدن ثم جماعة. لكن نظرا لأن المدن مرتبة ترتيبا جغرافيا من

---

[١] الأصوب ن يشير المؤلف إلى مخصص البشر وليس المكان تاليا للكلمة دلالة في اللغة المصرية عن عدم تحديد إطار جغرافي لمثل ذلك المكان بمخصص البشر.

الجنوب إلى الشمال، أو من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي على وجه التحديد فيعتقد، وهو ما يعتقده ناداف نئمان كذلك في مقاله بضرورة وضع إسرائيل على هذا المسار الجغرافي. فإذا كانت المحطة السابقة ينوعام تقع في شرق الأردن فإسرائيل كانت موجودة أيضا في مكان ما في الناحية الشرقية لنهر الأردن.

أود أن أضيف وبدقة أكثر لما ذكره ناداف نئمان. لقد شاهدنا أن اتجاه تقدم مرنبتاح كان من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي. لذلك يبدو أن إسرائيل الجماعة القبلية المذكورة بعد ينوعام كانت موجودة شمال شرقي ينوعام. وإذا تقدمت نحو الشمال الشرقي ينوعام فأين سأصل؟ إلى حوران. وهذا مثير للغاية. سأصل إلى حوران بالضبط حيث استقر يعقوبئيل الشمالي كما ذكرنا!

**ذكرت حرب مرنبتاح في كتابك "الله".**

صحيح، كتبت ذلك في حينه في كتابي "الله" وكذلك في مقال منفصل عن المزمور ٦٨ من سفر المزامير بأن النواة الأولى لهذا المزمور (٦٨: ٥-٣٤) تصف الحرب ضد مرنبتاح وأنه تم تدوينه بعد هذه الحرب. ويوصف العدو في هذه الحرب بـ"חַיַּת קָנֶה" وحش القصب (68: 31) وأنه من الواضح أن هذا لقب قد أطلق على المصريين فوحش القصب هو التمساح الكبير الذي يعيش بين الأعشاب.وبالفعل يتم ذكر مصر على الفور في الفقرة التالية: "יֶאֱתָיוּ חַשְׁמַנִּים מִנִּי מִצְרָיִם – يأتي شرفاء من مصر".

النواة الأولى للمزمور مبنية بشكل دائري وبها سبعين ضلعا ومرتبة في ثلاثة دوائر. دائرة داخلية وفيها ثلاثون ضلعا، ودائرتان خارجيتان في كل منهما عشرين ضلعا. وفي فترة أكثر تأخرا تم زيادة المزمور وأضيفت إليه فقرات في بدايته ونهايته كما وضع فيه اسم أورشليم (٦٨: ٣٠).

ما هي الأماكن الجغرافية المذكورة في النواة الأصلية للمزمور؟ يذكر هناك الواحد إلى جانب الآخر: جبل باشان وجبل صلمون (٦٨: ١٥-١٦). وجبل باشان هو على ما يبدو لقب لجبل حرمون. فما هو جبل صلمون؟ نحن نعرف جبل صلمون في منطقة شكيم في عصر أبيمالك (القضاة ٩: ٤٨) لكنه لا يتماشى مع جبل باشان. فجبل باشان بعيد جدا عن شكيم ولقد كتب المفسر اليهودي من العصور الوسطى أبراهام بن عزرا في تفسيره لسفر المزامير أن صلمون جبل معروف موجود على الضفة الشرقية للأردن.

كان هناك في القرن التاسع عشر رجل مهم يدعى يوهان جوطفريد فوتسشطاين وهو مستشرق وعمل كذلك سفيرا لبروسيا في دمشق عندما كانت دمشق تحت الحكم العثماني. اهتم جدا بمنطقة الحوران وباشان وتجول فيها كثيرا وكتب كتابا عن باشان ذكر فيه أن الجبل الرئيسي في حوران – جبل الدروز – قد ذكره جغرافي مهم في العصر القديم وهو الجغرافي الذي ذكرناه عندما تحدثنا عن مديان: بطليموس البطلمي.

أطلق البطلمي على هذا الجبل اسم "سلمونيس" وذكر فوتسشطاين أن "سلمونيس" هو الاسم اليوناني للاسم "صلمون". وإذا كان صلمون المذكور في المزمور ٦٨ هو جبل الدروز فذلك يدل على أن كل المؤشرات حتى تلك الواردة في نقش مرنبتاح وكذلك في المزمور ٦٨ تأخذنا إلى الحوران والباشان حيث استقر هناك بنو إسرائيل في عصر مرنبتاح. لذلك أقول إن إسرائيل في عصر مرنبتاح هي امتداد ليعقوبئيل الشمالية التي ذكرت قبلها بحوالي مائتين وخمسين سنة في نقش تحتمس الثالث في منطقة الحوران.

**هل كان توجد أي علاقة أيضا بينها وبين جماعة يعقوبئيل التي سكنت في أدوم؟**

أجل. أعتقد أنهما تواصلا طوال الوقت فكما نرى بعدها عند النبطيين، كانت الجماعات النبطية التي سكنت أدوم وفي حوران على تواصل مستمر مع بعضها البعض.

هنا علينا إبداء ملحوظة أخرى حول شيء آخر: اقترحت في إحدى لقاءاتنا السابقة عندما تحدثنا عن الجماعتين أن تقسيم أبناء راحيل وأبناء ليئة كان في حقيقة الأمر تقسيما بين الجنوبيين والشماليين. فبنيامين هو ابن اليمين، ابن الجنوب، وأفرايم الذي كانت جذوره بحسب أنشودة دبوره في عماليق وكلاهما من أبناء راحيل، هم الجماعة الجنوبية، وأبناء ليئة هم الجماعة الشمالية.

ويجب التمعن في المزمور ٦٨ في هذا السياق، لأنه يذكر لنا ممثلي قبائل. فالمزمور يصف لنا مسيرة دينية في سياق انتصار الأعداء: "קִדְּמוּ שָׁרִים אַחַר נֹגְנִים — "יש שרים ,זמרים ,אחריהם נוגנים, גברים שמנגנים ,ו"בְּתוֹךְ עֲלָמוֹת תּוֹפֵפוֹת ,"ועלמות שהן מתופפות בתופים – من قدام المغنون" هناك منشدون ومغنيون ومن ورائهم العازفون، رجال يعزفون و"في الوسط فتيات ضاربات الدفوف" (٦٨: ٢٦)

**يبدو مثل وصف أنشودة مريم ...**

هذا مشابه، لكن هناك فصل بين الرجال: موسى وإسرائيل. والنساء: مريم والنساء اللائي تضربن الدفوف وترقصن بها (سفر الخروج ١٥: ١، ٢٠-٢١). وهنا في المزمور ٦٨، تحيط ضاربات الدفوف بالرجال.

يذكر في بقية الوصف: "שָׁם בִּנְיָמִן צָעִיר רֹדֵם שָׂרֵי יְהוּדָה רִגְמָתָם שָׂרֵי זְבֻלוּן שָׂרֵי נַפְתָּלִי – هناك بنيامين الصغير متسلطهم، رؤساء يهوذا جلهم، رؤساء زبولون، رؤساء نفتالي (٦٨: ٢٨). كلمة "رجمتن" كلمة قديمة معروفة في أوجاريت، و"رجم" معناها كلمة، حديث. إذن فكلمة "رجمتن" معناها "حديثهم، قولهم، وربما أنشودتهم في هذه الحالة". ويذكر الأسباط في يهوذا: زبولون،

ونفتالي اللذان يمثلان أبناء ليئة، وزلفه، وبلهه. لكن على رأسهم، يذكر "בנימין צעיר רודם – بنيامين الصغير متسلطهم" وبنيامين هو حقا أصغر الأسباط، وهو المتسلط الذي يحكمهم.

إذا كان بنيامين من جماعة يعقوبئيل الجنوبية، فيبدو أن بعض الجنوبيين قد انتقلوا في هذه الفترة إلى الشمال إلى منطقة الحوران وباشان جالبين معهم عقيدتهم الدينية من الجنوب إلى الشمال.

وفيما يتعلق بخلفية الهجرة إلى الشمال، يعتقد أن الجماعة الجنوبية قد عانت من استفزازات جيرانهم الجنوبيين وهو الأمر الذي ينعكس كما ذكرنا في قصة عيسو ويعقوب. فعيسو (أدوم) يتآمر من أجل قتل يعقوب فيهرب يعقوب. ويتضح أن المواجهة اندلعت بسبب الجفاف والمجاعة في فترة الأزمة الكبرى. فعندما لا تسقط الأمطار لا توجد المراعي للقطعان وتتقلص سبل المعيشة. ولا عجب في هذه الحالة في أن تجور جماعة الأغلبية الأدومية على الأقلية في يعقوبئيل التي تنافسها على الماء والكلأ. وورد في سفر هوشع (١٢: ١٣) عن هذا الهروب إلى حوران: "וַיִּבְרַח יַעֲקֹב שְׂדֵה אֲרָם – وهرب يعقوب إلى صحراء آرام"، إذن ففي أثناء الأزمة الكبرى والمجاعة الكبرى هبط جزء من الجماعة الجنوبية ليعقوبئيل إلى مصر للحصول على الطعام. لكن فر البعض كذلك إلى الشمال واتحدوا مع جماعة يعقوبئيل الشمالية.

كان المهاجرون من الجنوب في نظر الجماعة الشمالية "صغارا" لأن الجماعة الشمالية كانت أقدم من الجنوبية (فالجماعة الشمالية موثقة في عهد تحتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، في حين أن الجماعة الجنوبية تم توثيقها لأول مرة بعد مائتين وخمسين سنة من ذلك التاريخ). على أي حال بنيامين الصغير هو المتسلط والحاكم "שָׁם בִּנְיָמִן צָעִיר רֹדֵם - هناك بنيامين الصغير متسلطهم (المزامير ٦٨: ٢٨). وذلك مهم للغاية لأنه عندما سينصب بنو

إسرائيل ملكا عليهم سيكون الملك الأول شاؤول من سبط بنيامين الصغير. ونواة الحكم البنياميني موجودة هنا وستستمر وستظهر في بداية العصر الملكي كذلك.

**أود استيعاب ما تقوله. هل هذا المزمور في رأيك هو أقدم مزمور؟**

لقد درست هذا المزمور بعناية وفيه إضافات معينة كما ذكرت لكن بناءه الأساسي وهو البناء الأصلي، بناء دائري جميل على وجه التحديد. فعدد الشطرات دقيق، سبعين شطرة في المزمور. وأعتقد أن هذا المزمور كان في صورته القديمة هو "العمل الشعري" أو أقدم عمل مقرائي بشكل عام؛ فلغته قديمة جدا والكلمات صعبة وفريدة وكثير من تعبيراته معروف لدينا من اللغة الأوجاريتية. فلا شك أن هذا المزمور قديم جدا.

**لكن عندما كتبوه فإننا نتحدث في ذلك عن القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد. أي لدينا مساحة من الزمن حوالي أربعمائة أو خمسمائة سنة من وقوع الأحداث حتى تدوينها. والسؤال هو: إلى أي درجة يمكننا الاعتماد على دقة الأحداث؟**

ناقشت في كتابي "الله" وفي مقالين في مجلة مهمة في دراسة العهد القديم اسمها *etus Testamentum* البناء العددي في شعر العهد القديم. وبحسب فهمي فإن شعر العهد القديم مبني في الشق الأكبر منه بناءا عدديا دقيقا من الكلمات والشطرات التي تحمل معنى رمزيا. وأنا لا أستبعد أن من كتبوا هذه الأشعار كانوا مثقفين بالدرجة التي جعلتهم يعرفون القراءة والكتابة في هذا العصر الذي شهد هذه الأحداث.

كنت قد ميزت في أحد حواراتنا الأولى بين المعرفة الواسعة للكتابة التي انتشرت بداية من القرن الثامن قبل الميلاد فقط وبين كتابة "المتخصصين" سواء كانوا كتبة البلاط أو كهنة المعبد. وأريد أن أضيف إليهم كذلك كتبة

الأشعار الذين يحتمل أن يكونوا قد كتبوا أعمالهم في عصر أقدم بكثير. وهذا البناء العددي والرمزي هو أساس قوتهم في كتابة الشعر أو المزمور فهذه الأشعار محكمة للغاية، وأعتقد إنها تمثل طبقة صاحبة ثقافة كبيرة للغاية. ونعلم اليوم أنهم كتبوا الشعر في أوجاريت. ويعتمد الشعر المقرائي على التقابل المأخوذ من هناك. وأعتقد أن الشعر عندنا كما هو في أوجاريت ،دون بعضه في العصر القديم. لكن يجب التمييز بين الشعر وبين القصص التي تناقلت شفاهة على مدى مئات السنين ثم تم تدوينها بداية من القرن الثامن قبل الميلاد كما ذكرنا. ومن الممكن بالطبع أن تكون كتبته دوائر محدودة من الذين يعرفون القراءة والكتابة وذلك في العصر القديم.

**إذن فهذه ليست كتابة للعوام.**

كلا. فاللغة صعبة جدا ورفيعة المستوى ولا أعلم من استطاع فهمها.

على أي حال يبدو أن بعض من أبناء الجماعة الجنوبية ليعقوبئيل قد انتقل أو هرب في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى حوران – باشان واتحدوا هناك مع الجماعة الشمالية وأطلقوا على هذه الجماعة المتحدة اسم "إسرائيل" وتلك هي الجماعة التي حاربها مرنبتاح.

علينا أن نتحدث أولا عن الاسم الجديد. لماذا تغير الاسم من يعقوبئيل إلى إسرائيل، وما مغزى هذا التغيير؟ لقد شرحنا من قبل أن الاسم "يعقوبئيل" معناه أن الله سيراقب، أي أن الله سيحمي ويحرس وسيكون قريبا. فما معنى الاسم "إسرائيل"؟ يخبرنا سفر التكوين أن ...

**"כִּי שָׂרִיתָ עִם אֱלֹהִים וְעִם אֲנָשִׁים וַתּוּכָל – لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت".**

صحيح جدا. لقد ارتبط التفسير الذي يقدمه السفر لتغيير اسم يعقوب بالصراع الليلي على ضفة نهريبوق[1] شرقي الأردن. والشخصية التي تصارعه هي ملاك على ما يبدو. ويقول له: "לֹא יַעֲקֹב יֵאָמֵר עוֹד שִׁמְךָ כִּי אִם יִשְׂרָאֵל ,כִּי שָׂרִיתָ עִם אֱלֹהִים וְעִם אֲנָשִׁים ,וַתּוּכָל – لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت". (سفر التكوين ٣٢: ٢٨).

أما النبي هوشع فيعكس رواية مشابهة عندما يخبر عن يعقوب: "בַּבֶּטֶן עָקַב אֶת אָחִיו וּבְאוֹנוֹ שָׂרָה אֶת אֱלֹהִים וַיָּשַׂר אֶל מַלְאָךְ - في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله. جاهد مع الملك." (هوشع ١٢: ٥)

غير أنه كما كتب أستاذي وزميلي البروفسور سمحا قوجوط في مقال في الكتاب المهدى لموشه جرينبرج إن تفسير الاسم "إسرائيل" شائك من الناحية اللغوية. فمثل هذه الأسماء بشكل عام تكون فيها اللاحقة "אל – الرب" هي الفاعل في الجملة التي بها اسم؛ فعلى سبيل المثال الاسم "ישמעאל – إسماعيل" (سيسمع الرب) من الفاعل فيه؟ الله، وماذا سيفعل الرب؟ سيسمع. و"יחזקאל - يحزقيال" من الفاعل؟ الرب، وماذا سيصنع؟ سيقوى. רפאל – رفائيل" من الفاعل؟ الرب، وماذا سيصنع؟ سيشفي. أما التفسير التوراتي للاسم إسرائيل فإن يعقوب هو الفاعل والرب هو المفعول به. فيعقوب يصارع أو "يجاهد" مع الرب. وهناك معضلة أخرى في حقيقة أنه ليس لدينا أي دليل على وجود الفعل שרה بمعنى صارع أو جاهد باستثناء هاتين الفقرتين اللتين تفسران الاسم يعقوب.

لذلك ففي حالة "ישראל- إسرائيل" يجب التفكير في البناء النحوي الذي يتماشى مع الأسماء التي ذكرتها من قبل: من الفاعل؟ الرب، وماذا سيصنع؟ ישׂור – سيهيمن؛ فالفعل "ישׂור" مشتق من الجذر "שרר – س. ر. ر." بمعنى

---

[1] أو نهر الزرقاء ثاني أكبر روافد نهر الأردن.

الهيمنة. فمكتوب في سفر القضاة (٩: ٢٢) على سبيل المثال عن أبيمالك: "וַיָּשַׂר אֲבִימֶלֶךְ עַל יִשְׂרָאֵל, שָׁלֹשׁ שָׁנִים – فترأس أبيمالك على إسرائيل ثلاث سنين". أي أن أبيمالك كان رئيسا، وزعيما وحاكما على بني إسرائيل لمدة ثلاث سنين. كما يظهر هذا الفعل في صيغة الجمع في المستقبل "ישׂורו" فيقول النبي إشعياء (٣٢: ١): "הֵן לְצֶדֶק יִמְלָךְ מֶלֶךְ וּלְשָׂרִים לְמִשְׁפָּט יָשֹׂרוּ – هوذا بالعدل يملك ملك، ورؤساء بالحق يترأسون". وكذلك تقول "الحكمة" في خطابها في سفر الأمثال ٨: ١٥-١٦: " בִּי מְלָכִים יִמְלֹכוּ ...בִּי שָׂרִים יָשֹׂרוּ – بي تملك الملوك ... تترأس الرؤساء". نجد في الآيتين في سفري إشعياء والأمثال تقابل بين الفعلين "ימלך – يملك، ישׂר – يترأس". من هنا يمكننا استنتاج أن تفسير الاسم "ישׂר־אל, إسرائيل" هو "سيترأس الرب، سيملك الرب. ويمكننا مقارنة ذلك بالإعلان في نهاية أنشودة البحر: "יהו־ה יִמְלֹךְ לְעֹלָם וָעֶד – الرب يملك إلى الدهر إلى الأبد" (الخروج ١٥: ١٨)، فالاسم "إسرائيل" هو بمثابة إعلان عن ملك الرب.

إذن ماذا دفع بني يعقوبئيل إلى تغيير الاسم "يعقوبئيل" إلى "إسرائيل" وما تفسير ذلك؟

**أعتقد أنك تشير هنا إلى بداية عقيدة التوحيد ...**

صحيح. لكني أريد أن أوضح الأمور أكثر. انظر! لقد تحدثنا من قبل عن لفظ الجلالة "يهوه" وقلنا إنه كان معروفا في مدين حتى قبل وجود شعب إسرائيل. ولقد تابعت المقترح الذي تحدثنا عنه الخاص بشلومو دوف جويطاين باحث الجنيزه والاسلام الكبير وفسرت اسم "يهوه" بمعنى الإله الغيور. ويوجد في اسم أو صفة "إله غيور" أو "اسمه غيور" حاجة إلى الحصرية؛ أي لدينا هنا تشبيه مأخوذ من الغيرة البشرية حيث يغار الزوج على زوجته؛ فالرجل يغار على زوجته ويطلب منها الولاء التام له، وله هو فقط، وهو يعتقد إنها انحرفت

وذهبت مع شخص آخر. ونقرأ هنا في قانون المنحرفة في سفر العدد: "אִישׁ אִישׁ כִּי תִשְׂטֶה אִשְׁתּוֹ וּמָעֲלָה בוֹ מָעַל ...וְעָבַר עָלָיו רוּחַ קִנְאָה וְקִנֵּא אֶת אִשְׁתּוֹ – إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة ... فاعتراه روح الغيرة وغار على امرأته" (سفر العدد ٥: ١٢-١٤).

أي أنه على الرغم من أن الإله التوراتي بعيد كما قلنا عن الغريزة الجنسية وليس لديه زوجة في العالم الإلهي إلا أن له زوجة خيالية يغار عليها وهي جماعة المؤمنين به الذين يطلب منهم الولاء التام له. وهذه هي الفكرة الرئيسية في سفر هوشع والتي سنتناولها فيما بعد.

إذن ففي هذا الشكل القديم لظهور "يهوه" في أرض مدين كان هناك طلب بالحصرية: من المسموح عبادة هذا الإله فقط وليس المعبودات الآخرى. لكن بالمنطقة المديانية لم يكن من الممكن ربط هذا المطلب بالمفهوم السياسي للملكة. لماذا؟ لأن المديانيين لم تكن لديهم ملكية وهذا أمر مثير للغاية فلدينا عدة شواهد على وجود نوع من الملوك في مديان لكنهم يذكرون دائما في صورة الجمع. ونحن معتادون على عدم وجود ملكين يضعان نفس التاج. والواقع يدل على أن النظام في مديان لم يكن ملكيا لكن كان هناك نظام حكم مختلف سنستوضحه.

لنتمعن أولا في القصة عن حرب مدين حيث ورد: "וְאֶת מַלְכֵי מִדְיָן הָרְגוּ עַל חַלְלֵיהֶם אֶת אֱוִי וְאֶת רֶקֶם וְאֶת צוּר וְאֶת חוּר וְאֶת רֶבַע חֲמֵשֶׁת מַלְכֵי מִדְיָן – وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم أوى وراقم وصور وحور ورابع خمسة ملوك مديان" (سفر العدد ٣١: ٨).

بحسب هذه الفقرة كان لمديان خمسة ملوك أي أنهم لم يكونوا ملوكا على شعب مدين كله، لكن كانوا قادة مجموعات قبلية (أحد الملوك يسمى "راقم"

وراقم هو الاسم القديم للبتراء)[1]. وبالفعل، أحد الملوك المذكورين هنا أيضا يسمى "صور" ولقد ورد ذكره من قبل في وصف الخطيئة مع بنات مؤاب وبنات مديان. وماذا مكتوب هناك؟ "וְשֵׁם הָאִשָּׁה הַמֻּכָּה הַמִּדְיָנִית כָּזְבִּי בַת־צוּר רֹאשׁ אֻמּוֹת בֵּית אָב בְּמִדְיָן הוּא – واسم المرأة المديانية المقتولة كزبي بنت صور، هو رئيس قبائل بيت أب في مديان" (سفر العدد ٢٥: ١٥). و"صور" هذه التي ورد ذكرها في قائمة الملوك الخمسة هو زعيم قبائل بيت أب بمديان وهو رئيس القبيلة وليس ملكا.

تتضح صورة مشابهة من القصة عن حرب مدين وجدعون فيحكى خلال القصة عن رجال أفرايم: "וַיִּלְכְּדוּ שְׁנֵי שָׂרֵי מִדְיָן אֶת עֹרֵב וְאֶת זְאֵב – وأمسكوا أميري المديانيين غرابا وذئبا" (سفر القضاة ٧: ٢٥). إذن نحن نتحدث هنا عن أميرين مديانيين وهما "غرابا وذئبا"، ثم يذكر جدعون ملكين لمديان وهما "زبح" و"صلمناع" (القضاة ٨: ٥). فهل هناك فرق بين مكانة الأمراء والملوك؟ كلا. لم يكن في مديان نظام ملكي حقيقي به ملك وحيد لكن عدة زعماء يتزعم كل واحد فيهم قبيلة. ويتكرر هذا الانطباع مرة أخرى في المزمور ٨٣ وهو المزمور الذي يتناول حرب جدعون في مديان ويفهم من المكتوب فيه أن زعماء مديان لم يكونوا ملوكا لكن أمراء فقط أو "شرفاء" (المزمور ٨٣: ١٢). وهناك زعماء قبائل ملقبون بألقاب مختلفة لكن لا وجود لملكٍ واحد.

كان هذا الشكل من القيادة السياسية موجودا في شبه الجزيرة العربية على مر الأجيال. وحتى في بداية العصر الإسلامي لم يكن هناك ملك. فقد عارضت التقاليد العربية القديمة النظام الملكي فهناك زعماء قبائل وليس ملكا واحدا على الجميع. وعندما تأسست الخلافة الإسلامية وأصبحت مملكة أثار الأمر

---

[1] لم ترد تلك التسمية راقم في ارتباط بالبتراء ، بل كان معروف لها بهيئة سلع أو المدينة الوردية.

جدلا كبيرا في المجتمع العربي. إذن فقد كان تقليد الرحل في هذه المنطقة في العصور القديمة من عصر المديانيين وحتى بداية الإسلام هو وجود زعماء قبائل وليس رجل أو ملك واحد. ولا يمكن في مثل هذا الجو السياسي الاجتماعي المطالبة بالولاء التام للملك؛ لأنه لا يوجد ملك واحد يطالب بالولاء التام لكن عدد من زعماء القبائل معا.

ولم تكن المنطقة التي سكنها المديانيون وجيرانهم، أبناء يعقوبئيل، في أدوم تحت حكم مصر. ولم يحكم المصريون هناك أبدا بشكل منتظم ومتواصل. وكان الفراعنة يهاجمون هذه المنطقة من حين لآخر، ويرسلون الحملات العسكرية ويحاربون قبائل الرحل والشاسو، لكنهم لم ينجحوا أبدا في وضع حكم دائم هناك. ونظرا لعدم وجود حكم مصري حقيقي مستمر لم تعرف القبائل التي عاشت في هذه المنطقة المؤسسة الملكية عن قرب.

لكن في الوقت الذي هربت فيه مجموعة من بني يعقوبئيل من أدوم شمالا وانضمت إلى الجماعة الشمالية ليعقوبئيل في حوارن وباشان، دخل هؤلاء المهاجرون في نظام حكم مختلف تماما: فحوران وباشان منطقتان كان فيهما حكم مصري مستمر منذ الحملة العسكرية لتحتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ولدينا الكثير من النقوش المصرية في الجولان وحوران وفي منطقة دمشق توثق للحكم المصري في هذه المناطق. أي أن جماعة يعقوبئيل الشمالية عرفت ما هي الملكية وما هو طلب الولاء للملك. فهم مستعبدون للفرعون ملك مصر.

ويجيء الرب "يهوه" من الجنوب مع بني يعقوبئيل الجنوبيين المتوجهين نحو الشمال بسبب ضغوط جيرانهم الأدوميين، ويحضرون معهم كذلك الاعتقاد بأن هذا الإله يطلب الولاء التام من المؤمنين به. لكن يتم إعادة صياغة هذا الولاء

في البيئة الجديدة ويحمل طابعا سياسيا؛ حيث تختار الجماعة المتحدة من أبناء يعقوبئيل الشمال والجنوب اسم "إسرائيل" إ سما جديدا لها.

ومعنى هذا الاسم كما ذكرنا هو – الرب سيحكم ويسود، ويملك. وإذا كان الرب ملكك، وهو الملك الذي يطلب الولاء التام والحصري، فلا يمكنك أن تقبل على نفسك عبء وجود ملك آخر من لحم ودم. ومقولة "الرب سيحكم" معناها رفض ملك البشر، حكم فرعون، وقبول ملكوت السماء. فهم يقبلون بالرب حاكما حصريا لهم، وهم خاضعين له بشكل كامل. ولا يوجد هناك أي التزام سياسي تجاه ملك آخر. بل إن الاسم "إسرائيل" له معنى سياسي ولاهوتي في آن واحد.

**ليس هذا إعلانا لاهوتيا وسياسيا فحسب لكنه إعلان تمرد على الحكم المصري ...**

صحيح، هذا إعلان تمرد سياسي وديني. فهم يقبلون الإله يهوه كإله وحيد وغير مستعدين لقبول عبادة أي إله آخر. وهذا الإله لا يعبد في شكل تمثال أو صورة وهو نفس التقليد المتمرد الذي أخذوه عن المديانيين، كما قلنا في المرة السابقة.

**إذن، جاء مرنبتاح في حقيقة الأمر لقمع التمرد الذي كان تمردا دينيا وسياسيا ...**

صحيح، لدينا هنا مزج بالمفهوم الديني لقبول هذا الإله الغيور، يهوه، كملك وحاكم، ومعارضة عبادة التماثيل (سأوضح فيما بعد أن هذه المعارضة تنعكس في الاكتشافات الأثرية). ويؤدي قبول يهوه كملك إلى تمرد على حكم فرعون ملك مصر. وأعتقد أن مرنبتاح قد خرج لمحاربتهم لأنهم تمردوا على حكمه وأعلنوا حكم ملكوت الرب "ملكوت السماء" وسأستخدم هنا تعبير مارتن بوبر فكتابه "**ملكوت السماء**" مهم للغاية في هذا الموضع خاصة في فترة القضاة، فنحن هنا عشية عصر القضاة بالضبط.

**أي أنه عندما يقول مرنبتاح "أبيد إسرائيل وليس له نسل"، فهو في حقيقة الأمر يقول: لقد انتصرت كذلك على إلههم ...**

لا أعلم إن كان مرنبتاح يدرك معنى اسم "إسرائيل". فقد تطرق إلى الشعب وليس إلى إلهه فهو يقول لقد قضيت عليهم ولن يكون لهم نسل أو استمرارية. أما عن ينوعام فقد قال الحقيقة حيث أبيدت تماما مدينة ينوعام ولم تقم لها قائمة، لكنه لم يكن دقيقا بخصوص شعب إسرائيل ...

لكن دعنا ندرس إن كانت هناك إمكانية للإشارة إلى كشف أثري في منطقتي حوارن وباشان التي سكنتهما إسرائيل في تلك الفترة؛ كشف من الممكن أن يشهد على وجودهم أو نشاطهم في هذه المنطقة. وأود التأكيد أنه بحسب رمز التعريف الموضوع بجوار كلمة إسرائيل في نقش مرنبتاح فإن المقصود هو جماعة قبلية من الرحل. أي ليس لدينا أي بقايا بيوت من الممكن دراستها لأنهم كانوا من سكان الخيام.

لكن كانت هناك بجوار المنطقة التي أقاموا فيها أكبر مدينة في أرض كنعان. ورغم أن ملك هذه المدينة، المحلي، كان خاضعا للفرعون في مصر إلا أنه كان أهم ملك في أرض كنعان.

**هل تقصد مدينة حصور أو تل حصور؟**

أجل، تل حصور[1] المجاورة جدا لباشان. فهذا تل كبير ورائع وهناك بعثة من الجامعة العبرية تقوم بالحفر هناك منذ عشرين سنة تبحث عن أرشيف تل حصور. وفي عصر يجئال يادين تم اكتشاف قصرا واحدا لكن لسوء الحظ لم يعثروا فيه على وثائق. والآن هم في ذروة الحفر في قصر آخر. ولقد وعدوني أنهم سيصلون بعد عامين أو ثلاثة إلى طبقة القصر الآخر من نهاية العصر البرونزي. وأتمنى أن يعثروا على أرشيف ما سيكون أمرا رائعا. وربما يتم العثور هناك على

[1] تل القدح إلى الشمال الشرقي من مدينة صفد حاليا.

وثيقة تؤكد وجود الإسرائيليين الأوائل في هذه المنطقة. لكن في هذه الأثناء ماذا يمكننا القول عن حصور؟ كانت حصور مدينة ضخمة في وقتها. ولقد احترقت تمامًا كما ورد في سفر يشوع. وكانت "ראש כל הממלכות - رأس جميع تلك الممالك" (يشوع ١١: ١١). ولقد ذكرنا ذلك عندما تحدثنا عن المعلومات الحقيقية في سفر يشوع. لكن غير ذلك كان هناك تدمير ممنهج للتماثيل في حصور فقد حطموا رؤوس التماثيل وشوهوا وجوهها ويظهر أن هذا التدمير لم يكن نتيجة سقوط أو بسبب الحريق لكن تدميرًا متعمدًا وممنهجًا للغاية وبأعداد كبيرة.

**كان لدى طالبان من يتعلمون منه ...**

السؤال هو: من خرب حصور؟ زعم يجئال يادين أن المرشحين الوحيدين الذين يخطرون بالبال بخصوص دمار حصور هم الإسرائيليون الأوائل. وهذا هو ما يعتقده أيضًا أمنون بن تور الحافر الرئيس اليوم في التل، وأعتقد أنهما محقان. لماذا؟ اكتشف في حصور نقش مصري فيه اسم كاهن مصري، ويمكننا القول بحسب هذا النقش إن حصور قد احتلت وحرقت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد بين ١٢٥٠-١٢٠٠ قبل الميلاد. أي في النصف الثاني المتأخر من عصر رمسيس الثاني أو في عصر مرنبتاح. وهذا هو المدى الزمني الذي لدينا.

إذن، من كان يستطيع تدمير حصور؟ لم يحارب رمسيس الثاني في حصور ولدينا قوائم حملاته الحربية فهو لم يحارب هناك. ومرنبتاح لم يحارب هناك أيضًا ولو أنه حارب هناك وخربها لتفاخر بذلك في لوحه مثلما فعل مع ينوعام. ولم تكن شعوب البحر قد وصلت بعد إلى هذه المنطقة؛ فقد بدأوا أول استطلاعاتهم لغزو مصر من اتجاه ليبيا في عصر مرنبتاح، ولم يكونوا قد وصلوا إلى هذه المنطقة بعد في تلك السنين. أما الحثيون فقد ضعفوا كثيرًا وكانت

لديهم مشكلات كثيرة وصراعات داخلية بين الأسر الحاكمة المختلفة، ثم المجاعة الكبرى فيما بعد، ولم يكونوا قادرين على الخروج في حملات حربية في كنعان.

إذن، من دمر حصور؟ أعتقد أن رأي يادين وبن تور بأن القبائل الإسرائيلية هي المسئولة عن ذلك مقنع جدا. يقول ناداف نئمان إن الرحل الذين سكنوا شرق المدينة هم من قاموا بذلك. حسنا، أنا موافق بأن جماعات الرحل التي سكنت شرق المدينة قد دمرت حصور، وليس لدي أي خلاف مع نئمان. أي أن إسرائيل في تلك الفترة كانت جماعة الرحل، مجموعة قبلية من سكان الخيام. وأعتقد أنهم سكنوا بالفعل شرقي مدينة حصور في باشان وحوران. ويتجهون غربا في وقت ما ويعبرون نهر الأردن ويهاجمون حصور ويدمروها ويحرقوها. ويقومون كما ذكرنا بتشويه التماثيل فيها بشكل ممنهج. وهنا يتجلي حظر صنع التماثيل الذي شهدناه في عمل المديانيين في تمنع. وتظهر لدينا هنا إشارات وشواهد على هذا التمرد وغياب الأوثان حتى في بقية عمل أوائل الإسرائيليين في عصر القضاة وهو ما سنتناوله فيما بعد.

**إن كان الأمر كذلك فيعقوب لم يكن رجلا بسيطا من سكان الخيام كما هو مكتوب، لكنه عرف أيضا كيف يقاتل.**

في الحقيقة لدينا هنا نوع من التحول السيكولوجي في الانتقال من يعقوبئيل إلى إسرائيل أو يسور إيل، كما قلنا، فاسم يعقوبئيل يعكس طلبا من الرب بالحفاظ على من يحمل هذا الاسم ومراقبته. والاسم يناسب مجموعة ضعيفة من الناحية السياسية والعسكرية التي ترجو حماية الرب وكرمه. ونحن أبناء يعقوب الذي هرب من عيسو ولابان ومحتاجون للحماية طوال الوقت: "אִם יִהְיֶה אֱלֹהִים עִמָּדִי וּשְׁמָרַנִי בַּדֶּרֶךְ הַזֶּה אֲשֶׁר אָנֹכִי הוֹלֵךְ – إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه" (سفر التكوين ٢٨: ٢٠).

إسرائيل، يسور إيل، هو اسم فعال جدا، قتالي. في قصة يعقوب في سفر التكوين تحدث لحظة تغيير الاسم عبر الأردن، رغم إنها ليست في منطقة الحوارن – باشان لكن نحو الجنوب أكثر عند معبر يبوق. كما يعكس تغيير الاسم في القصة نوعا من التغيير في وعي يعقوب وفي طبيعة حياته ونشاطه. فهو يتوقف عن الهرب، ثم نسمع بعد ذلك عن إشارات مختلفة بأنه بدأ يكون شخصية مقاتلة مع دخوله أرض كنعان، فيقول ليوسف: "וַאֲנִי נָתַתִּי לְךָ שְׁכֶם אַחַד עַל אַחֶיךָ אֲשֶׁר לָקַחְתִּי מִיַּד הָאֱמֹרִי בְּחַרְבִּי וּבְקַשְׁתִּי – وأنا قد وهبت لك سهما واحدا فوق إخوتك، أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي" (سفر التكوين ٤٨: ٢٢). فجأة يصبح يعقوب الرجل البسيط الذي يهرب طوال الوقت من أعدائه مقاتلا شجاعا يحتل المدن بالسيف والقوس.

**يمكنني أن أفهم أن قصة حصور تشير في حقيقة الأمر إلى بداية الاستيطان، لكن ذلك لا يتماشى مع أن المدينة قد حرقت وهجرت.**

هذا ليس بداية الاستيطان بعد، فبين مرحلة خراب حصور وبين العصر الذي كان فيه الاستيطان الإسرائيلي حوالي مائة سنة، والاستيطان الاسرائيلي لم يبدأ على ما يبدو في منطقة الجليل الأعلى. وعندما وصفنا مهاجمة حصور وتدميرها تحدثنا كثيرا عن أفكار سياسية ودينية. ولنكن ماديين أكثر فهذا العصر هو عصر بداية الأزمة، المجاعة الكبرى، ولا يوجد طعام. ويحتمل أن مهاجمة حصور، فضلا عن التمرد الحماسي لتدمير الأوثان، كان الهدف منه أيضا الحصول على بعض الطعام، وهذا ممكن بالطبع. والاستيطان الفعلي في غرب الأردن قد بدأ جنوب هذا المكان؛ حيث هبطوا من باشان جنوبا ودخلوا غرب الأردن في منطقة شكيم، وبحسب رواية قصة يعقوب الذي يصل من آرام إلى كنعان ويشتري حقلا في شكيم (٣٣: ١٨) فقد بدأ استيطان أوائل الإسرائيليين في قلب الجبل في منطقة أفرايم، ومنشه، وبنيامين، ثم وصل مرة أخرى إلى الجليل في فترة متأخرة. إن مهاجمة حصور وتدميرها هي بمثابة اعتداء لإسرائيل

الرحل الذين يسكنون في حواران وباشان في فترة ما قبل الاستيطان، وهو إعلان عن التمرد على حكم مصر؛ فإسرائيل الرحل تمقت حكم الملك البشري وتقبل حكم الرب يسور-إيل.

# مجد عصر القضاة الضائع

**بروفسور! أنهينا لقاءنا الأخير باحتلال مدينة تل حصور، وخطرت ببالي عدة أسئلة بخصوص هذا الأمر. لقد شاهدنا أن المدينة قد احترقت كلها بالنار، ولقد أجبت عن سؤالي بأن ما حدث لا يرمز إلى بداية الاستيطان، لأنه منذ خراب حصور وحتى العصر الذي بدأنا نرى فيه أول استيطان إسرائيلي توجد فجوة زمنية تصل إلى مائة سنة. لذلك زعمت أنت أن ذلك كان بمثابة احتلال وتدمير بغرض البحث عن الطعام. ونحن نتحدث هنا بالفعل عن نفس فترة الأزمة الكبرى والجفاف والمجاعة، والناس يبحثون عن الطعام، و ترى أنت أن هؤلاء الرحل كما سماهم ناداف نئمان كانوا في حقيقة الأمر هم الإسرائيليون. والظاهرة المثيرة للاهتمام هي الكشف الأثري الذي تم كشفه في حصور، من تدمير ممنهج للتماثيل وقطع رءوسها ثم تدميرها. إذن دعني أطرح سؤالين الأول زمني؛ حيث يرد في سفر يشوع ذكر حصور والخراب والحريق ثم في سفر القضاة يعود يابين ملك حصور وتعود حصور وتحارب إسرائيل. والثاني؛ بعد التمعن مرة أخرى في سفر القضاة يبدو لنا أنهم نسوا التراث الأيقوني الإسرائيلي. ولم يعد قبول ملكوت السماء الجانب الأقوى لديهم. فعلى سبيل المثال في سفر القضاة ٢: ١١: "וַיַּעֲשׂוּ בְנֵי יִשְׂרָאֵל אֶת הָרַע בְּעֵינֵי יהו־ה וַיַּעַבְדוּ אֶת הַבְּעָלִים. וַיַּעַזְבוּ אֶת יהו־ה אֱלֹהֵי אֲבוֹתָם ...וַיֵּלְכוּ אַחֲרֵי אֱלֹהִים אֲחֵרִים – وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم. وتركوا الرب إله آبائهم .. وساروا وراء آلهة أخرى"، وبعدها مباشرة في الإصحاح الثالث ٧: "וַיַּעֲשׂוּ בְנֵי יִשְׂרָאֵל אֶת הָרַע בְּעֵינֵי יהו־ה וַיִּשְׁכְּחוּ אֶת יהו־ה אֱלֹהֵיהֶם וַיַּעַבְדוּ אֶת הַבְּעָלִים וְאֶת הָאֲשֵׁרוֹת – فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري" وفي قصة**

**جدعون يوصي بتدمير مذبح بعل وعشيره[1] الذي بناه أبوه. نحن هنا بصدد ظاهرة متكررة لغياب القيادة المركزية، فالشعب يترك الإله ويعبد الأوثان فيرسل الإله شعبا أجنبيا ليستعبدهم ثم يقوم قاض ليخلصهم ويتكرر الأمر. إذن كيف يحدث أن نرى في فترة قصيرة جدا نوعا من التوجه إلى التخلي عن العقيدة الغيورة للرب التي وصلت لدرجة تحطيم الأصنام وعبادة الأوثان المحيطة؟ أين الخطأ؟**

سأجيب في البداية عن سؤالك الأول. لدينا هنا معضلة حقيقية بالفعل؛ لأن سفر يشوع يحكي عن الدمار الشامل للمدينة وحرقها وكما قلت يؤكد الكشف الأثري أنه في حوالي عام ١٢٢٥ قبل الميلاد تم تدمير تل حصور أكبر مدينة في المنطقة وحرقها بالنار ولم يتم إصلاح هذا الدمار. وبعد مائة سنة من هذا التاريخ نجد بداية لاستيطان إسرائيلي صغير يقوم على أنقاض المدينة الكنعانية؛ لذلك فالإشارة في الإصحاح الرابع من سفر القضاة إلى أن سيسرا هو قائد جيش يابين ملك حصور أمر مثير للجدل. فحصور الكنعانية لم تكن موجودة في وقت حدوث الحرب بين دبوره وباراك وبين سيسرا.

وأود أن أشير هنا إلى أنه بعكس الجزء القصصي في الإصحاح الرابع من سفر القضاة، فإن سيسرا يظهر كشخصية مستقلة في أنشوده دبوره الموجودة في الإصحاح الخامس ولم يرد ذكر يابين ملك حصور فيها. لذلك فأنا أميل إلى قبول رأي الباحثين المهمين بأن الشعر هو المصدر الأقدم والأوثق بخصوص هذا الحدث وأن ذكر حصور ويابين في الإصحاح الرابع ليس موثوقا به من الناحية التاريخية.

---

[1] **Asherah** في الأساطير السامية هي الآلهة الأم و"ملكة السماء" إيلات. إلهة مدينة أوغاريت ورأس الثالوث الإلهي الأنثوي فيها، الذي يتكون من عشيرة وعناة وعشتار.

أما بخصوص سؤالك الثاني: صحيح أن هذه هي الصورة التي تتضح في جزء من النص في سفر القضاة. فقد ذكرت خطيئة عبادة إسرائيل للأوثان في الأجزاء التي تحدثت عنها في الأساس، وفي أجزاء أخرى مشابهة تنتمي جميعها إلى مجموعة تحرير السفر. أي أنه بين القصة والقصة يحاول المحررون تبليغ رسالة بأن الشعب أخطأ وعبد الأوثان ثم عوقب بعدها، ويتم إرسال قاض آخر لإنقاذه. ويتكرر هذا النموذج ويظهر في جميع القصص. فهل هذا موثوق به من الناحية التاريخية؟ هل ترك الإسرائيليون بالفعل كما ذكرت أيديولوجية الغيرة للرب بهذه السرعة وعبدوا الأوثان؟ من المثير للدهشة أن الواقع الأثري يشير إلى الاتجاه المعاكس.

**رغم ما هو مكتوب في السفر إلا أن الاستنتاج واضح للغاية بأن هناك عبادة أوثان ...**

دعنا نتحدث في البداية عن الكشف الأثري ثم نعود بعدها إلى سفر القضاة ونتحدث عن بنائه وتحريره وما إلى ذلك. إن الحقائق الأثرية هي كالتالي: في حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد ينتقل الإسرائيليون من الضفة الشرقية لنهر الأردن حيث سكنت هناك جماعات يعقوبئيل في منطقة الحوران والباشان غربا. وكان أول تكتل استيطاني في منطقة منسى: جبال منسى وأفرايم وبنيامين. وكنا قد تحدثنا عن ذلك في اللقاء السابق. أي من منطقة ما حول أورشليم وحتى شمال منسى تقريبا لنقل من منطقة نابلس وجنين فما فوق. هذا هو الاستيطان الرئيس الأول.

**هل تحدث هذه الظاهرة بالتوازي؟ هل دخلت المنطقة فجأة جماعة يعقوبئيل الشمالية، وهكذا؟**

أعتقد كما قلت من قبل إنه حدث انفصال عند الجنوبيين فهبط بعضهم إلى مصر وقت المجاعة واتحد البعض مع الشماليين. وتحدثنا عن ذلك في المرة

السابقة عندما أشرنا إلى ذكر بنيامين الصغير في المزمور ٦٨ الذي كانت خلفيته الجغرافية في باشان وحوران، وحددت تاريخ ذلك بفترة حرب مرنبتاح.

بعد انفصال جماعة يعقوبئيل الجنوبية هبط بعضها إلى مصر حيث عمل يوسف بياه، وهناك حدث صراع موسى الذي تحدثنا عنه بإسهاب ثم بعده الخروج من مصر. واتحد الجزء الآخر من الجنوبيين وهو على ما يبدو سبط بنيامين مع المجموعة الشمالية، كما ذكرنا.

ويعكس المزمور ٦٨ مشاعر الإسرائيليين الذين كانت يدهم هي العليا في صراعهم مع جيش مرنبتاح. ويبدو أنه زاد لديهم بعد ذلك الإحساس بالثقة فعبروا نهر الأردن في مرحلة ما في حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد، من منطقة جسر داميه اليوم، وبدأوا في الصعود نحو المنطقة الجبلية.

وبنيت أولى المستوطنات - وأعتمد هنا على اكتشافات أدم زرطل الذي درس منطقة جبل منسى وكذلك إسرائيل فنكلشتاين الذي درس جبل أفرايم – غير بعيد عن نهر الأردن عند سفح سلسلة الجبال. وكانت المرحلة الأولى هي الاستيطان ثم واصلوا بعدها واحتفظوا بالمنطقة التي تسمى ظهر الجبل (منطقة جبال السامرة الشرقية اليوم) ثم هبطوا إلى المنخفضات الغربية. وفي مرحلة متأخرة نجد توسعا من هذه الكتلة الرئيسية للجبل نحو الشمال ناحية الجليل، حيث شيدوا هناك كما ذكرنا مستوطنة إسرائيلية صغيرة على أنقاض مدينة تل حاصور الكنعانية. وتقام مستوطنات صغيرة أخرى في الجليل. ولقد قام يوحنان أهروني بالحفر في حينه في المنطقة، وعاد باحثو الجامعة العبرية إلى المنطقة ليحفروا هناك اليوم. كما تمدد الاستيطان كذلك في الاتجاه المعاكس نحو منطقة الجبل الجنوبية تجاه حبرون وبعدها نحو جبل النقب. ولقد تركزت المستوطنات الإسرائيلية في عصر القضاة، التي يسميها الأثريون العصر الحديدي الأول في منطقة الجبل.

وبعد حوالي مائتي عام من ١٢٠٠ قبل الميلاد وحتى ١٠٠٠ قبل الميلاد تقريبا نجد ازدهارا استيطانيا كبيرا في هذه المنطقة والذي كان ضعيفا للغاية في العصر البرونزي المتأخر. والآن في عصر القضاة، ترتكز أربعمائة مستوطنة في أنحاء هذه المنطقة. وهي مستوطنات صغيرة في معظمها أطلق عليها الأثريون مصطلح "قرى صغيرة" وهي أصغر من القرية فهي عبارة عن عدة عائلات.

**بمثابة العشيرة -**

أجل عشيرة "عائلة" بلغة العهد القديم. وتستقر هذه العائلة في نقطة جبلية ما وتقيم مستوطنة هناك. وفي ركن آخر تستقر عشيرة أخرى وعائلة أخرى.

وتحدثنا عن أن بيوتهم وأوانيهم لها طابع مميز – صحيح. تحدثنا عن السيراميك وجرة "شفة الياقة" والأبنية الخاصة المسماة "البيت الذي به أربعة أفنية" فهذه هي الأشياء التي ميزت هذا الاستيطان، وهي تختلف عن الأشياء الأخرى التي ميزت المحليين.

**ذلك يعني أن هذا شيء جديد يدخل المنطقة ...**

شيء جديد بالفعل. وهناك تناقض تام بين سمات الفترة السابقة - المستوطنات الكنعانية - وبين هذه المستوطنات. ويظهر ذلك جليا في عدة أشياء. أولا: كان يوجد في المستوطنات الكنعانية معابد. وهذه الجماعة لا تبني المعابد فهي تخصص أماكن متواضعة للعبادة؛ فمذابح القرابين في أماكن مفتوحة أو في حجرات عبادة.

الشيء الثاني: لم يعثر تقريبا في هذه المستوطنات ولا في أماكن العبادة أو في البيوت على تماثيل أو تماثيل صغيرة على هيئة إنسان. ذلك على عكس مستوطنات الكنعانيين تماما في الجبل في العصر البرونزي المتأخر، والتي تم العثور فيها على تماثيل وتماثيل صغيرة على هيئة إنسان وكذلك في المستوطنات الكنعانية والفلستينية في السهل حيث توجد وفرة من هذه التماثيل سواء في

العصر البرونزي أو في العصر الحديدي. كما لم يعثر في المستوطنات الإسرائيلية في الجبل على تماثيل لحيوانات وربما هناك حالة أو اثنتان تم العثور فيهما في منطقة دان على تمثال محطم، وكذلك تمثال معدني آخر عثر عليه في حصور وهناك خلاف حول عمر التمثال. وباستثناء هذين التمثالين لم يتم العثور على أي تماثيل على هيئة انسان في المستوطنات الإسرائيلية في الجبل. وكان رمز العبادة الرئيسي للإسرائيليين في هذا العصر هو عامود النصب "الماتسفاه" وهو حجر أملس يعد مركز العبادة. وهذا الحجر الأملس بحسب تخمينات الباحثين هو رمز للإله الواحد.

أود الإشارة إلى شيء آخر مهم للغاية ويجب دراسة خلفيته وتفسيره جيدا. ولا أريد الدخول في تفاصيل هذا الأمر لأنه موضوع كبير لكني أفرق هنا بشكل واضح بين الواقع في المستوطنة الكنعانية في الجبل في العصر البرونزي المتأخر وبين المستوطنة الإسرائيلية في الجبل في العصر الحديدي؛ أي في عصر القضاة. كان الدفن في العصر الذي سبق ظهور الإسرائيليين يتم في مغارات دفن. ولا توجد تقريبا في العصر الحديدي الأول - عصر القضاة - أي مقابر في منطقة الجبل. فماذا صنعوا بموتاهم؟ فحرق الموتى لم يكن متبعا في إسرائيل لكنه كان معروفا في المحافظات الشمالية لكن ليس في أرض كنعان كما لم يعثر على بقايا الحرق. وإن كان الأمر كذلك فلماذا لم يتم العثور على مقابر للموتى؟ التخمين الذي طرحه الأثريون ويبدو معقولا لي هو أن الإسرائيليين الأوائل دفنوا موتاهم بطريقة بسيطة جدا بدون مغارات دفن وبدون طقوس وضع الطعام للموتى وما شابه ذلك. فقد قاموا ببساطة بحفر حفرة ووضعوا الميت في الأرض دون وضع أي علامة على مكان القبر، وبدون إجراء أي طقوس. ويطلق الأثريون على هذه المقابر البسيطة اسم "مقابر الحفر".

**وحتى بقايا العظام لم يعثروا عليها؟**

ربما عثروا على قبر هنا وآخر هناك ولكن ليس مغارات دفن ولا مواقع دفن فخمة. أنت تعلم أن من ينظر إلى الموت بشكل لاهوتي وديني يحول المقبرة إلى مركز طقوس. وأكبر مثال على ذلك مصر حيث الأهرامات والمعابد الجنائزية والتحنيط وكتب الموتى ومغارات الدفن الفاخرة فالجميع يلتف حول الموت وعبادات الموت والتطلع إلى البعث.

لكننا نجد أيضا في المنطقة الجبلية في كنعان، في عصر ما قبل الاستيطان الإسرائيلي للجبل في العصر البرونزي المتأخر مغارات دفنت بها هدايا وأغراض شتى يتم تركها للميت. وهذا هو السلوك المتبع كذلك في عصر ما بعد عصر القضاة؛ العصر الملكي. كما نجد في هذا العصر أيضا مغارات دفن ومقابر فخمة.

**أتقصد توابيت الدفن؟**

كلا، فتوابيت الدفن الحجرية التي يتم تجميع العظام فيها مرتبطة بعادات الدفن الخاصة التي تطورت في نهاية عصر الهيكل الثاني. أنا أتحدث عن العصر الحديدي الثاني؛ عصر الملكية. فيوجد في منطقة أورشليم مقابر فاخرة جدا من العصر الملكي. فعلى سبيل المثال عند حفر أساسات بناء مركز بيجن بالقدس تم اكتشاف منظومة دفن رجال منطقة يهوذا حيث عثر على أقدم نص مقرائي وبركة الكهنة مكتوبة على لوح صغير من الفضة. ولقد ذكرنا ذلك عندما تحدثنا عن العارفين بالقراءة والكتابة. وهذه مغارة دفن فاخرة ويظهر منها أنهم اهتموا كثيرا بوضع الموتي وتوفير احتياجاتهم بعد الممات.

وفي المقابل في العصر الحديدي الأول؛ عصر القضاة، تم الفصل تماما بين عالم الموت عن الاتجاه الديني. وهذا مهم للغاية لأنه في العهد القديم، وخاصة في أدب الكهنة هناك نظرة تعتبر الميت أصل النجاسة (انظر سفر العدد ١٩). وبحسب هذه النظرة التي تم التعبير عنها في بعض مزامير سفر المزامير (انظر

المزمور٨٨)، لا يهتم إله إسرائيل بالموتى وينظر بشكل سلبي إلى الاهتمام بحاجاتهم وكل الطقوس المرتبطة بها. ويتضح أنه بعكس العالم الكنعاني والمصري تماما طرد الاستيطان الإسرائيلي في عصر القضاة الموت من الوجود الديني والعبادات. أمر آخر: لم يعثر في مستوطنات الإسرائيليين في عصر القضاة على عظام الخنازير في مقابل مستوطنات الفلستينيين. وكنا قد تحدثنا عن ذلك من قبل وأعتقد أنه لا حاجة إلى تناول ذلك بالتفصيل مرة أخرى. إذن عندما نجمع كل هذه الشواهد الأثرية يتضح وجود شيء خاص بالاستيطان الجديد، شيء له ثقافة دينية مختلفة تماما عن سابقتها الكنعانية وعن جيرانه الفلستينيين.

**إن كان الأمر كذلك فماذا ستصنع مع سفر القضاة؟**

جميل. ماذا سأصنع مع سفر القضاة؟! أود القول إذن: معروف في المجال البحثي أن سفر القضاة له قلب وغشاء. القلب الأصلي للسفر هو القصص الشخصية عن القضاة التي تبدأ بقصة أهود بن جيرا من سبط بنيامين في الإصحاح الثالث وتنتهي بقصص شمشون في الإصحاح ١٦. ثم يأتي غشاء تحريري أكثر تأخرا غشاء أضاف الكثير إلى مسألة عبادة الأوثان. علينا أن ننسب إلى هذا التحرير كذلك قصة عثنيئيل بن قناز (القضاة ٨-١١) رأس قصص القضاة اليوم. لكن هذه القصة فيها إشاكلية من نواحٍ عدة: العدو الذي حاربه عثنيئيل بحسب هذه القصة هو كوشان رشعتايم ملك آرام النهرين. وآرام النهرين هي بلاد الرافدين ونحن لا نعرف ملكا بهذا الاسم أو باسم مشابه حكم في بلاد الرافدين في تلك الفترة. كما ليس لدينا شاهد على وجود تدخل من بلاد الرافدين في أرض كنعان في هذا العصر. ويبدو أن هذه القصة قد أضافها المحررون الذين سكنوا أرض يهوذا حيث انزعجوا من عدم وجود أي قاض من سبط يهوذا في القائمة الأصلية للقضاة لذلك وضعوا قصة عثنيئيل بن قناز من سبط يهوذا على رأس قائمة القضاة.

ولنفس الدافع أضيفت في نهاية سفر القضاة قصتان ليستا عن قاض، بعد انتهاء القصة عن شمشون القاضي الأخير: قصة تمثال ميخا وقصة عن المرأة السرية في "جبعة". ترسم القصة الأولى بشكل ساخر رجال جبل أفرايم وتمثال ميخا في جبل أفرايم، وربما مع نوع من الإشارة إلى بيت إيل مكان العبادة الرئيسي لأسباط إسرائيل في العصر الملكي. والقصة الثانية قصة المرأة السرية في جبعة التي جلبت الخزي لسبط بنيامين وهو سبط شاول وخاصة مدينة "جبعة" التي كانت عاصمة شاول – "جبعات شاول" على ما يبدو.

وهنا في هذه الإصحاحات تتكرر الصيغة: "בַּיָּמִים הָהֵם אֵין מֶלֶךְ בְּיִשְׂרָאֵל אִישׁ הַיָּשָׁר בְּעֵינָיו יַעֲשֶׂה – وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل" (القضاة ١٧: ٦؛ ١٨ :١؛ ١٩ :١؛ ٢١: ٢٥). كان رأي الباحثين كما ذكرنا هو أن عملية تحرير سفر القضاة تمت في العصر الملكي في يهوذا، وهو تفسير أظنه صحيحا. فمحررو السفر يريدون القول إن الملكية فكرة ممتازة وإن كل المشكلات التي كانت موجودة في عصر القضاة كانت لعدم وجود ملك لذلك حدثت كل الفضائح والمشكلات. هم يريدون عرض عصر القضاة كعصر به مشكلات كثيرة من عبادة الأوثان وهو ما صنعوه في الأجزاء المحررة التي دمجوها مع القصص عن القضاة فهم حريصون على استنكار هذا العصر.

أود الآن تقمص شخصية رابي ليفي إسحق من برديتشيف الحاخام الحسيدي الذي لقب بمحامي إسرائيل "والدفاع عن آباءنا الأولائل الإسرائيليين من عصر القضاة ومن المحررين المتأخرين للسفر. وأقول: كلا ثم كلا. هم لم يعبدوا الأوثان. فعلم الآثار يثبت أنهم كانوا مؤمنين بالرب، كما توضح أنشودة دبوره التي تصفهم بـ "شعب الرب". هم لم يعبدوا الأوثان. والتحرير المتأخر الذي تمت كتابته في بلاط ملك ما في يهوذا أراد تشويه صورة عصر القضاة. لماذا؟ لأن أيديوليجة عصر القضاة الأصلية كانت معادية للملكية كما يتضح في قصة جدعون؛ فجدعون قاض مخلص لم يرغب في الملكية أو في أن يكون له نسل

ملكي. وعندما أراد الشعب تعيينه ملكا أجاب: "לֹא אֶמְשֹׁל אֲנִי בָּכֶם וְלֹא יִמְשֹׁל בְּנִי בָּכֶם יהו־ה יִמְשֹׁל בָּכֶם - لا أتسلط أنا عليكم ولا يتسلط ابني عليكم الرب يتسلط عليكم" (القضاة ٨: ٢٣). وتم التعبير عن هذه الأيديولوجية أيضا على رأس سفر صموئيل في عصر تتويج أول ملك – شاول - بناء على طلب الشعب. قال الرب لصموئيل: "לֹא אֹתְךָ מָאָסוּ כִּי אֹתִי מָאֲסוּ מִמְּלֹךְ עֲלֵיהֶם – لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم" (صموئيل الأول ٨: ٧). فأيديولوجية سفر القضاة الأصلية هي أيديولوجية ملكوت السماء التي ترفض الملكية البشرية. فلا توجد قيادة مركزية ولا يوجد ملك في إسرائيل ليس لأن السكان القرويين الإسرائيليين في الجبل غير قادرين على الاتحاد وتولية ملك عليهم؛ فلم تكن المشكلة تنظيمية لكن قرارا أيديولوجيا. وكما ذكرنا عن الاسم إسرائيل - يسور إيل - فمجموعة الإسرائيليين الأوائل تقول إن الله هو الذي سيكون الملك ولا حاجة إلى ملك بشري؛ لذلك ففي كل مرة تحل بهم أزمة يقوم زعيم كاريزمي ويأتي قاض يأتيه وحي إلهي ويخلص الشعب لكنهم لا يولون عائلة ملكية. وكانت المحاولة الوحيدة لبناء المملكة التي قام بها أبيمالك بن جدعون على عكس رغبة أبيه، فاشلة وأصبحت قصة فظيعة ومروعة حيث قتل أبيمالك سبعين من إخوته ليضمن لنفسه كرسي الملك (القضاة ٩: ٥). ويفر فقط يوثام الأخ الأصغر من سكين أخيه ضاربا مثلا معبرا بشكل تصويري رائع عن الأيديولوجية المعادية للملكية. ولم تحدث أي محاولة أخرى في عصر القضاة. إن أيديولوجية عصر القضاة هي أيديولوجية ملكوت السماء وكان إسرائيليو ذلك العصر مع الرب ولم يكونوا عابدين [illegible] هت صووتهم عن غير حق.

**أنا مقتنع إذن بأن الحاخام ليفي إسحق من مدينة برديتشيف كان سيوافق تماما على ما قلته الآن. لكن عندما أتمعن فيما ذكرته ألاحظ في حقيقة الأمر وجود عمليات تحرير غير شريفة وذلك بالتعبير اللطيف ...**

أنا أوافقك.

**أود استكمال الموضوع. ثم يأتي بعد ذلك الملك شاول، الملك الأول لكنه لا يكون عادلا بالدرجة، ثم يليه داود ومن بعده سليمان. ولم يكن حاييم هاكط[1] ليصنع عنهم البرنامج التلفزيوني "أصبحت صدِيقا.."**

أجل. أعتقد أن من قاموا بتدوين السجل الزمني قد ظلموا شاول لكننا سنناقش لب الموضوع عندما نصل إلى الحقبة الملكية. أما الآن فأنا أتحدث عن عصر القضاة وأؤكد أني أعتمد على الاكتشافات الأثرية، وأكرر أن المنطقة الجبلية مليئة بتماثيل صغيرة على شكل إنسان تعود إلى العصر البرونزي وستمتليء بها في الحقبة الملكية. لكن في عصر القضاة لا توجد هذه التماثيل، وذلك من منطلق الإيمان بالرب.

أود أن أبرهن على منهجي هذا عبر استنتاج النتائج لذلك سأتطرق مرة أخرى إلى بحث ناداف نئمان عن "خربة عوزه" التي هي "قينه" التوراتية. وكنت قد ذكرت في أحد لقاءاتنا السابقة أنه لم يتم العثور في الحفريات التي جرت في خربة خزعة بمنطقة عاراد في الطبقات التي تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد تقريبا على أي تماثيل على شكل إنسان بعكس جميع المواقع المحيطة. قال ناداف نئمان وأنا أقتبس هنا بحثه مرة أخرى بأن سبب عدم وجود التماثيل هو أن سكان منطقة قينه كانوا من نسل يثرون ويهوناداف بن ركاب اللذين حرصا على الحفاظ على تحريم التماثيل والأقنعة، لذلك لا توجد تماثيل عندهم.

وأنا أقول: صدق ناداف نئمان وأوافقه فيما قال لكن دعنا نطبق ذلك الآن على الاكتشافات التي تعود إلى عصر القضاة فنجد أنه في الجبل، وأؤكد أنه في الجبل، منطقة الاستيطان الاسرائيلي في عصر القضاة في العصر الحديدي الأول

---

[1] مقدم برامج إسرائيلي.

لا توجد تماثيل على هيئة إنسان تقريبا. ولو عثرنا على حطام واحد في دان فإن ذلك لا يفسد الصورة.

حتى وإن عثروا على واحد آخر فلا بأس لأنها منطقة شاسعة. ولا أريد أن أعمم بالقول بوجود من عبدوا آلهة أخرى هنا أو هناك، ولا أريد أن أرسم صورة وردية جدا.

لكن ما أقوله هو: كقاعدة، كانت هذه الجماعة مخلصة للرب. فقد عارضت الأيقونات التي على شكل الإنسان؛ لذلك لم تصنع مثل هذه التماثيل. وبالمناسبة قد توجد في بعض الأحيان تماثيل على صورة حيوانات. فهناك "موقع الثور" في قطاع منسى الذي عثر فيه على تمثال معدني على شكل ثور. لكن كما ذكرنا من قبل فيما يخص قصة العجل: فإن العجل أو الثور لا يرمزان إلى الألوهية ذاتها لكن كقاعدة يتخيلون فيها الذات الإلهية تجلس أو تقف عليها. لكن التماثيل التي على هيئة الإنسان والتي يمكن أن نقول عنها إنها صورة للإله فلا نجدها هناك وعدم وجود مثل هذا الكشف لأمر مثير للغاية.

عندما أضم استنتاج هذا الاكتشاف إلى جميع الأشياء الأخرى التي ذكرتها ستجد إننا بصدد مجتمع ثوري. وأؤكد أن مجتمع عصر القضاة هو مجتمع ثوري. فقد قام على أنقاض نظام الحكم المصري الملكي، وعلى أنقاض المدن الكنعانية الملكية. وهو مجتمع معادٍ للملكية بشكل تام. فهو مجتمع يدعو إلى المساواة بالمفهوم الاقتصادي فمستوطناته بسيطة من الناحية المادية فلا بذخ فيها ولا تستخدم الأغراض الفخمة.

**حسن، فذلك مجتمع من الرحل البسطاء، وليس هناك سبب في أن تكون لديهم مثل هذه الأشياء التي لا طائل منها إلا إذا كانوا يعيشون حياة بسيطة لأيديولوجية ما.**

جميل. إذن أنا سأعتمد هنا على أبحاث أفي باوست من جامعة بار إيلان. يقول باوست إنه من المحتمل أن تكون البساطة قد نبعت في البداية من غياب الإمكانيات. لكنه يزعم إنه حتى بعد مرور مائتي سنة تطورت فيها وسائل الإنتاج لديهم واتسا ع مزارعهم واستطاعتهميتبضمط حياة أكثر رفاهية استمروا في العيش في نوع من البساطة. وزعم باوست وأتفق معه أننا هنا أمام أيديولوجية البساطة. فهم على سبيل المثال لا يستخدمون السيراميك الملون الذي جلبه الكنعانيون من بحر إيجة وصنعه الفلستينيون فيما بعد في مدنهم. فما المشكلة في الذهاب إلى مستوطنة فلسطينية ما وشراء بعض الأواني الجميلة المزينة بالرسوم والزخارف؟

**إذن أنت تقول أن ذلك عن عمد وأنه نابع من أيديولوجية ما لحياة مختلفة عن حياة المحليين هنا.**

هذا مقصود بالطبع. وأتفق مع باوست في ذلك فهذا هو ما يجعلهم مختلفين عن الثقافات الأخرى. لدينا هنا مجتمع ليس فيه حكم مركزي ولا يقوم ببناء المباني المركزية، كما لا يوجد ممثلون لسلطة مركزية. لذلك من الواضح أن هذا المجتمع تبنى أيديولوجية البساطة بشكل تطوعي؛ حيث لم يكن هناك من يفرضها. وتدل حقيقة أن كل الأمور التي تحدثت عنها موجودة في مئات من هذه القرى في حالة كبيرة من لامركزية لنظام الحكم؛ أي ليس هناك ملوك ولا منظومة ضرائب ولا أي شيء من هذا القبيل؛ لكن وحدة أيديولوجية كبيرة جدا ربطت جميع القرى التي كونت ما أطلقت عليه أنشودة دبوره "شعب الرب" (سفر القضاة: ٤: ١١).

**وفيما يخص عبادتهم، ذكرت أنه لا توجد تماثيل على هيئة بشر، لكن كيف كان شكل عبادتهم؟ لقد ذكرت من قبل عاموود الِنصب "الماتسافاه"...**

أجل، هم يعبدون الرب في أماكن مكشوفة في الأساس، وعلى المنصات، وكانت توجد في أماكن معينة حجرات صغيرة غير فاخرة للعبادة، وكان الشيء الرئيس في العبادة هو أعمدة النصب "الماتسافاه". أتعلم! ذلك أمر مهم للغاية وقف عنده الأحبار (حازل) فسفر التكوين يخبرنا عن بناء الآباء لهذه الاحجار، وكذلك موسى عندما قام بعملية الختان على جبل سيناء حيث يضع ١٢ عامودا بعدد أسباط إسرائيل (الخروج ٢٤: ٤). لكن يوجد في سفر التثنية حظر لبناء أعمدة "الماتسافاه - النصب" فذكر أن الرب يكرهها (التثنية ١٦: ٢٢). ولقد قال الأحبار (حازل) عن هذا التناقض إن الأعمدة كانت محببة في عصر الآباء ومكروهة في عصر الأبناء. فالواقع الذي يتم تصويره في سفر التكوين الذي تكون فيه الأعمدة شيئا مهما ومنتشرا؛ إنما يمثل صورة العبادة في عصر القضاة في العصر الحديدي الأول. فالعامود أو النصب من الحجر الأملس لا يوجد به أي نقش أو زخارف وكان التمثيل الرئيس للألوهية في عالم الإسرائيليين الأوائل.

**هل هناك سمات أخرى من الممكن اعتبارها اختلافا عن السكان المحليين؟**

يختلف الإنتاج الأدبي أيضا لهذا العصر بشكل كبير عن الأدب الكنعاني من ناحية تأثر شعر العهد القديم بالأدب الكنعاني أو بتكنيك التوازي في الأبيات المتقابلة بشكل كبير: "יהו־ה בְּצֵאתְךָ מִשֵּׂעִיר — בְּצַעְדְּךָ מִשְּׂדֵה אֱדוֹם - يا رب بخروجك من سعير – بصعودك من صحراء أدوم" (القضاة ٥: ٤) هذه الصورة من الكتابة لم تكن موجودة لا في مصر أو عند الحثيين ولا في بلاد الرافدين. لكن كتابة الشعر بالتوزاي كانت معروفة لنا جيدا في العالم الكنعاني والأدب الأوجاريتي. ونظرا لأن هذا الأدب يسبق الأدب التوراتي، فشبه مؤكد أن آبائنا قد تعلموه من الكنعانيين عندما سكنوا في باشان بجوار حصور ودان التي كانت مراكز ثقافية كنعانية وأفترض أنهم كانوا على اتصال بهم ومن هنا تعلم هؤلاء الإسرائيليون الشماليون نظم الشعر في أبيات متقابلة. وربما حدث ذلك أيضا في فترة أكثر تأخرا في منطقة شكيم حيث كانت مدينة كنعانية لم يتم تخريبها

واستمرت في الوجود إلى جانب مستوطنة الإسرائيليين القروية. ونلاحظ في قصة أبيمالك وجود الإسرائيليين والكنعانيين في شكيم وضواحيها في آن واحد.

إذن لقد تعلم الإسرائيليون من الكنعانيين الأدوات الأدبية لكن من ناحية المضمون، فكل من يقرأ الشعر الكنعاني و قصص بعل وعناة التي ترجمت إلى العبرية سيشعر على الفور بمركزية المعبودات في هذه الأشعار. فلدينا زوجان من المعبودات هما ربا العائلة: "إيل" الذي هو رب عائلة المعبودات وزوجته "عشيره"، ولديهما الكثير من الأبناء يتنافسون ويتقاتلون فيما بينهم. بعل وعناة وموت (إله الموت) ويم، هي شخصيات رئيسية في هذا الشعر. ويتكون العالم الإلهي الكنعاني من والدين ونسلهما وبه الكثير من الجنس والتزاوج والإنجاب والموت. هذه هي أسرة المعبودات الكنعانية وهكذا يصورها الشعر الكنعاني.

عندما تقرأ أنشودة دبوره تختفي فجأة الأسرة الألوهية. وماذا أصبح لديك؟ إله واحد. أما الشعر الكنعاني فيتميز بدراما الملاحم والحروب في داخل أسرة المعبودات: موت يقتل بعل وعناة تقتل موت ...إلخ. وفي المقابل لا توجد في أنشودة دبوره حروب إلهية فهناك إله واحد فقط. الإسرائيليون يحاربون الكنعانيين والرب يساعد أبطال إسرائيل في حربهم ضد الكنعانيين.

كيف يكتب في أنشودة دبوره عن رجال ميروز؟ لا نعرف أين توجد هذه القرية فهي لم تذكر في العهد القديم مرة أخرى، لكنها دخلت صفحات التاريخ لذكرها في أنشودة دبوره: "אוֹרוּ מֵרוֹז אָמַר מַלְאַךְ יהו־ה אֹרוּ אָרוֹר יֹשְׁבֶיהָ כִּי לֹא בָאוּ לְעֶזְרַת יהו־ה לְעֶזְרַת יהו־ה בַּגִּבּוֹרִים – إلعنوا ميروز قال ملاك الرب. إلعنوا ساكنيها لعنا، لأنهم لم يأتوا لمعونة الرب، معونة الرب بين الجبابرة" (القضاة ٥: ٢٣) الرب يحارب مع أبطال إسرائيل ضد الكنعانيين، ورجال ميروز هربوا من المشاركة في المعركة. انتقلنا إذن من أسطورة حروب المعبودات إلى الحروب الأرضية، من عائلات المعبودات إلى الإله الواحد. وكل الشخصيات

النسوية للعالم الإلهي تم استبعادها تماما، فلا عشيره ولا عناة ولقد ذكر اسم عناة في الأنشودة في اسم "شمجر بن عناة" (القضاة ٥: ٦)، لكن المعبودات عناة لم تظهر هناك. مع ذلك، وهو أمر مهم فقد استبدلت أو استبعدت أنشودة دبوره النساء من العالم الإلهي كما هو الحال في العهد القديم كله؛ لكنها منحتهن مكانة وأهمية أكبر من أي أنشودة أخرى في العهد القديم. ومن أبطال هذه الأنشودة؟ أبطال في الخير أم في الشر،

**بداية النبية دبوره و ...**

دبوره أولا. هي وياعيل كبطلتان إيجابيتان، وأم سيسرا كشخصية سلبية. هذه هي الشخصيات الرئيسية. إنه شعر يمكن القول إن الشخصيات النسائية حاضرة فيه بشكل مبهر للغاية لكنهن لسن آلهة إنما بشر. ومن هذه الزاوية أيضا يجب تقدير تجديد عصر القضاة. وأنا لا أعلم على وجه الدقة كيف كان وضع النساء في هذا العصر لكن يبدو أنه في هذا الموضوع أيضا وإمكانية أن تصبح المرأة نبية وقاضية وقائدة جيش وقت الحرب فإننا نتحدث عن عصر مختلف لن تتكرر فيه هذه المكانة للمرأة طوال عصر العهد القديم.

**فيما بعد لم يحب الأحبار (حازل) ذلك كثيرا...**

صحيح، لم يحبوه، وربما كان منح النساء هذه المكانة القيادية من المؤشرات الثورية في عصر القضاة. وربما كان أيضا جزءا من ثورة عصر القضاة. وأوجز ذلك بأن عصر القضاة كان في رأيي عصر ازهار شعب إسرائيل وليس مرحلة لا قيمة لها مثلما أرادوا واعتادوا وصفه.

**أجل، لكن ليس ذلك ما درسناه في المدرسة في دروس العهد القديم ...**

أعلم، أعلم. وأنا جئت لأخلص المجد الضائع لعصر القضاة.

## الحوار الحادي عشر

# الضغط الفلسطيني وتأسيس الملكية في إسرائيل

**بروفسور! تحدثنا في حوارنا الأخير عن عصر القضاة، وأوضحت أن الشعب لم يعبد الأوثان بعكس وصف سفر القضاة. بل إننا لم نعثر تقريبا على تماثيل في أماكن استيطان الإسرائيليين. كما تثبت الاكتشافات الأثرية أنهم عاشوا حياة بسيطة. وكما قلت فإن التحرير المتأخر لسفر القضاة أساء إلى صورة هذا العصر الذي آمن بملكوت السماوات؛ مع ذلك فقد كانت هناك مطالب في عصر القضاة بتولية ملك. وسؤالي هو: لماذا؟ هل كان وجود عدو خارجي سببا في رغبة الأسباط في الاتحاد وتولية حاكما مركزيا عليهم؟ هل كان لما يدور حولهم – استقلال بعض الممالك بعد أن أهمل نظام الحكم المركزي في كنعان مثل: عمون، ومؤاب، وأدوم، التي كان يرأسهم حاكما مركزيا – دور في تحفيز رغبة الإسرائيليين في الحصول على نظام حكم مشابه؟ ما السبب الذي يمكننا الإشارة إليه؟**

قبل الإجابة عن سؤالك أود الحديث عن الوضع السياسي في الممالك التي أشرت إليها، وأن الأمور لم تكن بسيطة بهذه الدرجة فيما يخص الوضع في شرق نهر الأردن. أود التأكيد ثانية أننا شاهدنا عندما تحدثنا عن المديانيين استخدام العهد القديم لمصطلحات متغيرة فيما يخص زعمائهم. فيسميهم في أحد المواضع ملوكا؛ لكن "صور" والد "كوبي" الذي سمي ملكا في موضع، و تُطلق عليه في موضع آخر "رئيس قبائل" أو "رئيس قبيلة". كما نجد في سفر القضاة ألقاب: "ملك" و"رئيس" متلازمان. ويطلق في سفر يشوع على زعماء مديان الخمسة "رئيس"، رؤساء مديان. وكما قلت فإن الحديث هو عن زعماء قبائل

وليس عن ملوك بالمفهوم المعتاد. وكان ذلك على ما يبدو هو بناء القيادة المديانية حيث لم يكن هناك ملك واحد للجميع فكان لهم رؤساء قبائل، ورؤساء عشائر.

على أي حال، يبدو أن هذا التقليد كان موجودا في جميع القبائل الرحل أو شبه الرحل المحيطة بشرق نهر الأردن في العصر البرونزي المتأخر. فقد كان هناك تقليد بأن تكون الزعامة لرؤساء وزعماء القبائل وليس لملوك. أي أن جماعتي يعقوبئيل القادمتين من عبر الأردن، سواء الشمالية في منطقة الحوران أو الجنوبية في أدوم، كانتا تنتميان إلى ما أطلق عليه المصريون "الشاسو" أي الجماعات القبلية التي كانت لا تزال تعيش حياة الرحل أو شبه الرحل، ولم تكن لديهم ملكية. ولقد ورد ذكر زعماء القبائل الإسرائيلية الرحل في باشان والحوران في المزمور ٦٨ الذي يعد نواة أقدم عمل مقرائي، والذي ذكر: "שָׂרֵי יְהוּדָה ...שָׂרֵי זְבֻלוּן שָׂרֵי נַפְתָּלִי – رؤساء يهوذا ... رؤساء زبولون، رؤساء نفتالي".

ويعبر أوائل الإسرائيليين فيما بعد نهر الأردن غربا. وحدث هذا العبور كما ذكرنا بعد حرب مرنبتاح فقط؛ حيث كانوا لا يزالون مسجلين في عصر مرنبتاح كجماعة قبلية مرتحلة استقرت في منطقة الحوران وباشان. وبعد نضالهم الناجح ضد مرنبتاح وضعف مصر في وقت أزمة المجاعة الكبرى يقررون عبور نهر الأردن ودخول أرض كنعان، والتمسك بالكتلة الرئيسية للجبل والتحول إلى الاستيطان الزراعي الدائم.

ويشهد العهد القديم أنه في مرحلة الاستيطان الأولى في كنعان التي استمرت حوالي مائتي سنة منذ ١٢٠٠ قبل الميلاد تقريبا وحتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد تقريبا، أقام الإسرائيلون نظام حكم غير ملكي، وأن القضاة هم الذين حكموهم وذلك هو عصر القضاة.

أرغب في التوسع قليلا فيما يخص زعامة القضاة. فلقد وقف بوبر على هذا البعد في كتابه "ملكوت السماء" وأعتقد أنه محق تماما حول وجود شق روحاني نبوئي في زعامة القضاة. لأنه ورد عن كثير من القضاة أنهم يعملون بروح الله "بوحي إلهي". ماذا قيل عن يفتاح في سفر القضاة؟ "וַתְּהִי עַל יִפְתָּח רוּחַ יהו־ה – فكان روح الرب على يفتاح" (القضاة ١١: ٢٩) وعن شمشون ورد: "וַתָּחֶל רוּחַ יהו־ה לְפַעֲמוֹ – وابتدأ روح الرب يحركه" (١٣: ٢٥). لدينا هنا ما أسماه عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر – الزعامة الكاريزمية، "رجال أصحاب كاريزما محددة بمفاهيم دينية لتخليص شعوبهم. يتحولون إلى زعماء لفترة أطول أحيانا بعد أن تنتهي أعمال الخلاص؛ لكنهم لم يتوجوا ملوكا أبدا، ولا يورثون الزعامة لنسلهم.

إذن فنظام حكم عصر القضاة ليس فقط استمرارا لتقليد الترحال غير الملكي لعبر الأردن بل حصل على مغزى أيديولوجي – "ملكوت السماء". ونجد ذلك في حالة جدعون على وجه الخصوص كما ذكرنا، فهو الذي يطلب من الشعب توليته ملكا بعد انتصاره على مديان فقال: "לֹא אֶמְשֹׁל אֲנִי בָּכֶם וְלֹא יִמְשֹׁל בְּנִי בָּכֶם יהו־ה יִמְשֹׁל בָּכֶם – لا أتسلط أنا عليكم ولا يتسلط ابني عليكم الرب يتسلط عليكم" (القضاة ٨: ٢٣). لا أنا ولا إبني، الرب هو الذي سيتسلط. لدينا هنا إذن مزج بين التقليد الاجتماعي القديم في الحكم، للرحل الذين عاشوا شرق الأردن، وبين أيديولوجية جديدة وهي أيديولوجية ملكوت السماء. وعندما يأتي الشعب إلى صموئيل ليطلب ملكا ككل الشعوب، يشعر صموئيل أنهم مقتوا الرب وحكمه. والسؤال الذي طرحته أنت هو إن كان ذلك تقليدا قديما وينطوي الآن على جمال لاهوتي فلماذا انهار؟ لماذا يتنازلون عنه؟ هذا هو السؤال الصعب.

**أين نقطة التحول؟ ماذا حدث؟**

الإجابة هي تغير الساحة السياسية العسكرية في البلاد. ففي المرحلة الأولى كان الاختراق الإسرائيلي للمستوطنين الجدد للمناطق غير المأهولة بكثافة في كنعان، بطيئا. ويعتقد أنه لم يكن هناك خلاف شديد مع السكان [الكنعانيين] المحليين في موجة الاستيطان الأولى حتى تطور هذا الاستيطان وتعاظم وبدأ يشكل تهديدا حقيقيا على السكان الكنعانيين المحليين؛ فاندلعت الحرب الموصوفة في أنشودة دبوره عندما اجتمع ملوك كنعان وملوك غابات كنعان وحاربوا الإسرائيليين. وبشكل رائع جدا يمكن رؤية كيف تصور لنا أنشودة دبوره طريقة تنظيم الجيش الإسرائيلي. وهناك كذلك تأكيد متكرر على المتطوعين من الشعب، ويباركونهم مرتين وينتقدون القبائل التي تسكن شرق الأردن ولم تشارك، ورجال ميروز الذين تحدثنا عنهم الذين لم يهبوا لمساعدة يهوه بالأبطال فيهم.

**أفهم من كلامك أن هذه هي الحرب الأولى للمستوطنين الجدد، لكن سفر العدد كان قد أخبر عن حروب أخرى لبني إسرائيل مثل محاربة عوج ملك باشان والملك الأموري سيحون.**

انظر! لنأخذ عوج ملك باشان مثالا. هو بالفعل مهم، لكننا نعلم من الوثائق المصرية أنه لم يكن هناك ملك على باشان اسمه عوج. ولم تقم في باشان مملكة عامة كان يحكم فيها ملك واحد كل المنطقة. كانت هناك قبائل الشاسو مثل جماعة يعقوبئيل التي تحدثنا عنها في المناطق قليلة السكان. وفي الأماكن التي كانت فيها مدن كان هناك ملوك لهذه للمدن. فلم يكن هناك ملك واحد لكل باشان. كما لم يكن هناك ملك اسمه سيحون على كل الأموري. فهذه الشخصيات ليست تاريخية فلم تكن هناك مملكة تضم مناطق شاسعة شرق الأردن يمكن تسميتها مملكة الأموري. وهذه ليست حقيقة تاريخة، فقد كانت هناك مملكة تدعى أمورو لكنها كانت موجودة شمال جبال لبنان وليس في شرق الأردن. وكانت هناك مدن مختلفة بها حكام تراسلوا مع فرعون لكن لم تكن هناك مملكة عامة وشاملة في الفترة محل النقاش.

تحدثنا عن الحرب في تل حصور في بداية الوجود الإسرائيلي بالضبط حتى قبل الانتقال إلى عبر الأردن. ويؤرخ لخراب حصور كما ذكرنا بحوالي ١٢٢٥ قبل الميلاد أي قبل حرب مرنبتاح بقليل على ما يبدو. وربما كانت هذه الحرب كما قلت أحد الدوافع التي جعلت مرنبتاح يحارب إسرائيل. فمحاربة حصور لم تكن حدث تافه لأن تل حصور كانت رأس الممالك كما ذكرنا. ويحتمل نشوب معارك محلية أخرى بين الإسرائيليين وبين مدن معينة في أماكن أخرى كما يوصف في سفر القضاة: سبط يبدأ الحرب "מי יעלה - من يصعد" .. سبط يتوجه إلى سبط مجاور له ويدعوه إلى الانضمام إلى المعركة، من يصعد ويحتل هذا المكان وذاك (انظر القضاة ١: ١-٣). سبط آخر يبادر ويحتل مدينة أخرى (القضاة ١: ٢٢-٢٥). أي أن الحروب كانت محلية بحسب سفر القضاة. السبط الفلاني يحارب عنصرا كنعانيا في أرضه لكنها لم تكن حرب إسرائيلية شاملة. ولو نظرت في سفر القضاة سترى أن أول حرب إسرائيلية شاملة في كنعان كانت حرب دبوره؛ حيث يوجد ولأول مرة ائتلافان يقتتلان. ائتلاف ملوك كنعان في مقابل ائتلاف أسباط إسرائيل. لكن ائتلاف أسباط إسرائيل غير مكتمل، لماذا؟ لأنه جيش من المتطوعين. فلا يمكن تكوين جيش نظامي إن كانت لا توجد ملكية؛ لضرورة الدفع للجيش النظامي. وإن لم يكن هناك ملك يجبي الضرائب ويستطيع الدفع للجنود فلا يمكن تكوين جيشا نظاميا. إذن، نحن مرتبطون بمن؟ بمتطوعين. وماذا يحصل المتطوعون في مقابل تطوعهم؟

**على الغنائم؟**

أجل، وكذلك البركة من مؤلف الأنشودة.

**إذن هناك شيء واحد يمكننا معرفته عن بداية الإسرائيليين – إنهم عرفوا التطوع. لقد تطوعوا في الحرب في حصور وتطوعوا في حرب مرنبتاح في الشمال. هم يعرفون التطوع.**

صحيح، يعرفون التطوع ولكن عندما يكون الجيش جيش متطوعين فإنك ترى أن هذا الجيش لا يمكنه الوصول إلى مستويات متقدمة من التدريب. لأنك تتحدث عن فلاحين تركوا أراضيهم وذهبوا للقتال؛ فما هو قدر التدريب العسكري الذي يمكن أن يحصلوا عليه؟ وما جودة السلاح الذي سيحصلون عليه؟ لقد نجح ذلك في مواجهة الكنعانيين لكنه لم ينجح في مواجهة الفلستينيين. فشعوب البحر خاصة الفلستينيين جاءوا إلى المنطقة وتعاظم شأنهم وتزايد عددهم وسببوا تغييرات جوهرية على الساحة السياسية للإسرائيليين.

لنعد إلى قصة شعوب البحر التي ذكرناها من قبل. فنظرا لحدوث المجاعة الكبرى في اليونان وفي جزر بحر إيجة وصقلية وسردينيا؛ تنهار كل هذه المنطقة. أناس يخرجون في سفن في البحر أو في قوافل على الأقدام والعربات عبر مملكة الحثيين في منطقة الأناضول في تركيا اليوم، ثم يصلون إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ويقومون في طريقهم بعمليات نهب وتخريب لكثير من المدن الكبيرة ويحاولون غزو مصر والاستيلاء على مواردها من الطعام وغيره.

**يصلون مسلحين كما ينبغي. هؤلاء أناس يعرفون القتال ...**

مسلحون كما ينبغي، ولديهم كذلك تقليد قتالي متقدم. فقد سمعنا في السنوات التي سبقت الأزمة عن وجود مرتزقة من هذه الجماعات يخدمون الحكام في منطقتنا مثل "الشردن Sherden" الذين كان أصلهم على ما يبدو في جزر سردينيا وعملوا كمرتزقة في جيش أوجاريت [رأس الشمرة الحالية].

**المملكة الحيثية تسقط أمامهم –**

بالفعل، تنهار المملكة الحيثية. صحيح ولذلك أسباب داخلية لكنها لا تنجح في مواجهة شعوب البحر. كما سقطت أمامهم مدن كبيرة وقوية جدا مثل: أوجاريت ومدينة أمار بجوار الفرات. ويخصص كما ذكرنا جزء كبير من لوح

مرنبتاح ليس للحرب في كنعان لكن لمحاربة شعوب البحر التي هبطت في ليبيا واتحدت مع القبائل الليبية هناك وحاولت غزو مصر من الغرب فصدها مرنبتاح. وفي نقوش معبد رمسيس الثالث في مكان يسمى اليوم مدينة حابو[1] يمكننا رؤية هذه الشعوب تصل بطريقتين: في السفن من البحر، وبالعربات الكبرى التي تجرها الثيران ويجلس فيها المقاتلون والنساء والأطفال.

**وهل يختلفون في النقوش من ناحية الملبس عن المحليين؟**

لقد قام الباحث يسوعار لانداو بدراسة تسريحة شعر السيدات في العربات واكتشف، بحسب تسريحة الشعر، أن بعض النساء كن من منطقة إيجة التي جاءت منها شعوب البحر والبعض كان لديهن تسريحات شعر تميز نساء شمال سوريا في تلك الفترة. أي أن ليس جميع النساء من منطقة إيجة لكن هناك أيضا نساء انضممن إلى شعوب البحر في الطريق. الآن يمكنك التساؤل: هل جئن مرغمات أم برغبتهن؟ هل أحببن هؤلاء المقاتلين الذين جاءوا من اليونان ومن جزر البحر أم أ رغمن على ذلك،، وأخذن بالقوة عندما قاموا بتخريب مدن المنطقة، في سوريا اليوم؟ في الحقيقة ليس في وسعنا معرفة ذلك.

**أم أن تسريحة الشعر المحلية أعجبت نساء إيجة ...**

مثلما أشرت أنت في تلك الفترة فقد بدأت في كنعان بالفعل عملية انصهار؛ أي عندما وصل شعوب البحر إلى كنعان بعد أن استقروا في هذه الأرض لم نعد نتحدث عن خصائص نقية لشعوب بحر إيجه. ويتضح من الأبحاث التي قام بها أهرون أمير من جامعة بار إيلان مؤخرا والذي حفر لسنوات طويلة في منطقة تل جيت أن الهوية الفلسطينية معقدة. ففيها سمات كثيرة من شعوب جزر البحر لكنها تحتوي كذلك على سمات الشعوب أو القبائل التي انضمت إليها في الطريق، عناصر من الأناضول ومن سوريا، وعندما استقروا هنا في كنعان

---

[1] غرب مدينة الأقصر الحالية بصعيد مصر.

أصبح لديهم كيان يجمع بين عناصر إثنية مختلفة متداخلة. لكن كان لدى هذه النواة التي وصلت من شعوب البحر ومن الجزر المحيطة تقليد قوي كما ذكرنا في صناعة الأسلحة ووسائل القتال. كما أنهم أحضروا معهم قصصا مثل حرب طروادة التي وقعت أحداثها قبل ذلك بحوالي خمسين أو سبعين سنة على ما يبدو، قبل بداية أزمة المجاعة الكبرى.

**ومن أين أتى تعبير "أقطاب الفلستينيين الخمسة" كما جرت العادة على تسميتهم؟**

المصطلح "قطب" مصدره على ما يبدو الكلمة اليونانية طيرونوس، بمعنى الحاكم، ويتحد الحكام الخمسة في تلك الحزمة للمدن الخمسة. فلديهم تقنيات تصنيع السلاح والحرب، وعندما يستقرون هنا يبدأون في التوسع؛ حيث لا يكتفون بالمنطقة التي جاءوا إليها أول مرة. لقد استقروا في البداية في منطقة حدودها الشمالية موجودة بالقرب من مصب نهر اليرقون[1] في البحر المتوسط؛ حيث بقايا مستوطنة فلستية في موقع يسمى "تل قصيلة" وهو اليوم في منطقة متحف إسرائيل، وحدودها الجنوبية مدينة غزة. وكانت الحدود الغربية للمدن الفلستينية في جيت، تل جيت، غير بعيد عن بيت شِمش. لكن بعد أن استقروا في هذا القطاع ضاق بهم المكان وطمحوا في التحرك نحو الشرق والاستيلاء على الكتلة الجبلية حيث استقرت فيها ـ

**جماعتنا ...**

بالضبط، استقر الإسرائيليون هناك.

**وإن كنا نتحدث عن الفلستينيين فهل الفلستينيون المذكورون في سفر التكوين في عصر إبراهيم، هم قصة شعوب البحر أم قصة قديمة؟**

---

[1] أو نهر العوجا عرف أحيانا باسم نهر يافا؛ ثاني أكبر الأنهار بفلسطين بعد نهر الأردن.

من الممكن أن تكون هذه قصة شعوب البحر. والسؤال متى سنؤرخ لإبراهيم. فلو كان عصر الآباء يبدأ بحسب تصوري في حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد، ويصل بعدها الفلستينيون إلى كنعان بفترة غير كبيرة فذلك يعني أنه في ١١٧٥ قبل الميلاد كان الفلستينيون موجودين هنا. ويحتمل أن تعكس هذه القصة ...

**موجات سابقة من غزو شعوب البحر؟**

في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد كان هناك إسرائيليون في النقب. فهل هذه القصص تعكس ذاكرة للتواصل بين هؤلاء الإسرائيليين وبين جماعات فلسطينية هناك في حوالي منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد؟ من المحتمل.

**وهل تتزايد قوة الفلست - شعوب البحر - وتجعل المستوطنين الإسرائيليين يطالبون بملك يوحدهم؟**

أجل، لكن ذلك لم يكن سهلا بالدرجة. لقد كانت هنا عملية لم يصورها العهد القديم بكل تفاصيلها بشكل مركز لكن إذا قمت بالتجميع من هنا وهناك وربطت الأمور ببعضها؛ ستفهم إنه وقعت هنا كارثة وهي معركة "حجر المعونة". يعتقد الباحثون بضرورة ربط حجر المعونة بـ"عزبة سرطة" الموجودة اليوم بالقرب من رأس العين، وهو موقع كان به استيطان إسرائيلي. كما توجد هناك أيضا كتابة "حجر المعونة" وبها حروف الأبجدية بالخط العبري القديم. خربت هذه المستوطنة في حوالي سنة ١١٥٠ قبل الميلاد على ما يبدو. وماذا حدث حينها؟ وقعت معركة بين الإسرائيليين والفلستينيين.

**كانت معركة ضارية للغاية سقط فيها الكثير من الإسرائيليين وتم الاستيلاء فيها على تابوت العهد ...**

صحيح، تم الاستيلاء على تابوت العهد، ومات الكهنة الذين رافقوه من "بيت عالي" ومن كهانة شيلو: حفني وبنحاس. نحن نتذكر القصة وكيف وصل الخبر إلى عالي. لكن غير المكتوب في القصة في بداية سفر صموئيل لكن ورد ذكره في

سفر المزامير ٧٨ وكذلك في سفر إرميا هو أن شيلو نفسها تخربت ودمرت وحرقت في نفس المعركة. أي أن ذلك كان غزوا شديدا للفلسطينيين لوسط البلاد، إلى داخل أرض أفرايم تحديدا.

**أي أن ذلك اختراقا شديدا للفلسطينيين لوسط البلاد، إلى داخل "نحلات أفرايم" بالضبط.**

أجل، اختراق نحو الشرق. سأقرأ لك الفقرات ٦٠-٦٤ من المزامير ٧٨: "וַיִּטֹּשׁ מִשְׁכַּן שִׁלוֹ אֹהֶל שִׁכֵּן בָּאָדָם. וַיִּתֵּן לַשְּׁבִי עֻזּוֹ וְתִפְאַרְתּוֹ בְיַד צָר - ورفض مسكن شيلو، الخيمة التي نصبها بين الناس. وسلم للسبي عزة وجلالة ليد العدو" المقصود هنا تابوت العهد الذي هو قوة الرب ومجده. "וַיַּסְגֵּר לַחֶרֶב עַמּוֹ וּבְנַחֲלָתוֹ הִתְעַבָּר, בַּחוּרָיו אָכְלָה אֵשׁ וּבְתוּלֹתָיו לֹא הוּלָּלוּ, כֹּהֲנָיו בַּחֶרֶב נָפָלוּ וְאַלְמְנֹתָיו לֹא תִבְכֶּינָה - ودفع إلى السيف شعبه، وغضب على ميراثه. مختاروه أكلتهم النار وعذاراه لم يحمدن. كهنته سقطوا بالسيف، وأرامله لم يبكين".

احتل الفلسطينيون شيلو ودمرت واحترقت وأيد ذلك الحفريات التي قام بها إسرائيل فنكلشتاين هناك حيث تظهر علامات واضحة لهذا الحريق. كانت شيلو مركزا دينيا مهما للغاية لأسباط إسرائيل. وإذا كان هناك مكان من الممكن رؤيته في العصر الحديدي الأول في عصر القضاة كمكان عبادة مركزي ضم أيضا بناء شعبيا فهو شيلو. حرق هذا المركز وأهم شيء ديني فيه – تابوت العهد- أخذه الفلسطينيون. غير أن نتائج هذه المعركة ليست فقط في المجال الديني؛ فقد استولى الفلسطينيون على أراض كثيرة على الجبل كانت مركزية للاستيطان الإسرائيلي في عصر القضاة، ونصبوا هناك حكاما فلسطينين استعانوا بالقوات الفلسطينية. ونسمع عن وجود قوات فلسطينية في "مخماس" وذلك في قصة يوناثان (صموئيل الأول ١٣: ٢٣)، وعن الحكام الفلسطينيين في الهضبة وذلك في قصة مسح شاول (صموئيل الأول ١٠: ٥)، وعن معسكر الفلسطينيين في بيت لحم في قصة رغبة داود في شرب المياه من البئر في مدينة مولده (صموئيل

الثاني ٢٣: ١٦). لماذا كانت البئر في يد الفلسطينيين؟ بئر في بيت لحم في قلب الجبل لماذا تكون في يد الفلسطينيين؟ لأن الفلسطينيين استولوا على كل منطقة ظهر الجبل[1]. من منطقة شيلو في نحلات أفرايم مرورا بالمخماس الموجودة على حدود الصحراء في أرض بنيامين، وفي الجفعاه، أو في جفعات الرب شمال أورشليم، وحتى بيت لحم يهوذا. كان هناك حكام فلسطينيون وقادة عسكريون وقوة عسكرية فلسطينية.

يمكننا أن نفهم من القصص المختلفة المتناثرة في العهد القديم أن الفلسطينيين فرضوا الضرائب على محاصيل المزارعين، كما حظروا على الإسرائيليين تصنيع السلاح والأدوات الحديدية الأخرى (صموئيل الأول ١٣: ١٩-٢٢).

عندما نقوم بجمع هذه القصص في صورة واحدة سنرى أن قلب المنطقة الاستيطانية الاسرائيلية قد احتلها الفلسطينيون، الذين حكموهم وفرضوا عليهم الضرائب. حينها أدرك الإسرائيليون الذين يسكنون الجبل أنهم لا يستطيعون محاربة الفلسطينيين بالأدوات القديمة التي يملكونها والتي كانت جيدة في مواجهة الكنعانيين.

**هنا لن يكون التطوع كافيا ...**

بالضبط، هنا التطوع لن يكون كافيا. وعندما يكون قلب أراضيهم موجود تحت الاحتلال الفلسطيني، سيرغبون في وجود ملك عليهم مثل بقية الشعوب لكي يخلصهم. وهذا هو الطلب الذي وجهوه لصموئيل.

**إذن لم يعودوا يعتمدون كثيرا على ملكوت السماء ...**

---

[1] منطقة جبال السامرة الشرقية

أتعلم! هذا الجدال موجود دائما بين "إسرائيل، ثق في الرب" وبين السياسة الواقعية. ونقول إنه عندما ينجح ذلك يكون جيدا. لكن يجب البحث عن سبل أخرى عندما لا تسير الأمور على مايرام.

**وصموئيل لا يدرك ذلك عنما يعارض وجود ملك؟ هل لا يزال يؤيد الفكرة القديمة لملكوت السماء، أم إنه يخشى المنافسة؟**

كل ما اقترحته ممكن، ويمكن أن يكون تخمينك صحيحا. وأنا لا يمكنني معرفة مكنون قلبه. لكن لدينا هنا بالطبع تخلي عن إرث قديم جدا من ناحية. فكما قلت لك في بداية حوارنا اليوم إن ذلك إرث سنوات طويلة استمر منذ ماضي الترحال في عبر الأردن، وبه مسحة أيديولوجية لملكوت السماء؛ لذا هذا أمر صعب على صموئيل. ومن ناحية أخرى لدينا تساؤلات شخصية أيضا. فأبناؤه لم يسلكوا دربه. لكنه في النهاية، وهذا الأمر الفصل، استجاب لطلب بني إسرائيل ومسح شاول ملكا، وهو الملك الأول لبني إسرائيل.

وأول شيء صنعه الملك الجديد هو بناء جيش نظامي (انظر صموئيل الأول ١٣: ٢) لأنه بدون جيش نظامي لا يمكن مقاومة العدو بنجاح. وسيسير داود على دربه وسيصنع كذلك ما كان متبعا في الممالك الأخرى في الشرق القديم. ولقد ضربت هنا مثالا بأوجاريت وجيش المرتزقة لكن ذلك كان شائعا أيضا في أماكن أخرى كثيرة. وفضلا عن المقاتلين الإسرائيليين كان داود يمتلك كتائب من المرتزقة "וְכָל-עֲבָדָיו עֹבְרִים עַל-יָדוֹ, וְכָל-הַכְּרֵתִי וְכָל-הַפְּלֵתִי; וְכָל-הַגִּתִּים -وجميع عبيده كانوا يعبرون بين يديه مع جميع الجلادين والسعاة وجميع الجتيين" (صموئيل الثاني ١٥: ١٨). كما اتخذ جنودا تعود أصولهم إلى جزر كريت، وجنودا فلستينيين من جيت. أي أنه اعتمد هو أيضا على السكان المدربين من أصول إيجية واتخذ منهم جنودا لأنهم ممتازون.

تأسيس المملكة إذن في عصر شاول وداود هو تغيير فرضته الظروف السياسية. لكن في اللحظة التي تدخل فيها هذا النادي- نادي الممالك - عليك أن تلعب بحسب قوانينه. وماذا أقصد بذلك؟ أنا أعتبر ذلك بداية التأثير الديني الأجنبي. كيف؟ في المراسلات الدولية الغنية من عصر أخناتون في مصر في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث تم العثور على أرشيف تل العمارنة تم الابلاغ عن حالات غير قليلة من الزواج الدبلوماسي. وكانت تلك عادة شائعة للغاية هدفها تقوية العلاقات بين الشعوب. ولقد بدأ الملك داود هذا التقليد عندما تزوج من مملكة جشور من معكة بنت تلمي ملك جشور (صموئيل الثاني ٣: ٣). وتقع مملكة جشور جنوبي باشان ومعكة هي أم أبشالوم الذي سيفر إلى هناك بعد أن يختلف مع والده بعد حادث اغتصاب ثامار البشع (١٣: ٣٧).

**ويمكن القول إن ابنه سليمان طور ذلك ...**

جدا. فكما يحكي سفر الملوك أن كل واحدة من هذه النساء جاءت وعبادتها معها. ودخلت العبادات الأجنبية أورشليم (الملوك الأول ١١: ١-٨) ونعلم أن أمرا مشابها قد حدث في الشمال. وأشهر مثال على ذلك هو آحاب وإيزابيل إيزابيل الصيدانية[1] التي جلبت معها العبادة الكنعانية الشائعة في بلدتها وحاولت تطبيقها في إسرائيل. إذن فنقاء العبادة الذي كان موجودا في عصر القضاة والذي تحدثنا عنه انهار في عصر الملكية. فعصر الملكية غير البناء الاجتماعي بشكل جذري واختفت أساليب حياة المساواة والبساطة التي تحدثنا عنها وظهرت فروق اقتصادية كبيرة بين الفقراء والأغنياء وهو موضوع نسمع عنه كثيرا من الأنبياء. لكن أكبر تحول هو التحول الديني: فبعد الزواج الدبلوماسي أصبح هناك فرصة لدخول عبادات أجنبية وبالفعل تؤكد الاكتشافات الأثرية

[1] من صيدا.

على الفرق الكبير بين عصر القضاة - العصر الحديدي الأول - وبين العصر الملكي أو العصر الحديدي الثاني وذلك في المواقع الإسرائيلية للعصر الملكي والتي عثرنا فيها على تماثيل كثيرة، تماثيل لنساء ترتبط على ما يبدو بالخصوبة وترمز إلى المعبودات عشيره. إن مسألة عبادة عشيره والعلاقة التي أرادوا إيجادها بين عشيره وبين يهوه مسألة مهمة سنناقشها في اللقاء القادم.

# يهوه وعشيره واختفاء تابوت العهد

**بروفسور! تحدثنا في حوارنا الأخير عن أن القبائل التي خرجت للقتال على أساس تطوعي بعد غزوات شعوب البحر للمنطقة أصبحت لا تستطيع العمل بهذا الشكل لذلك جاء الطلب بتولية ملك عليهم وإنشاء نظام حكم منظم يقوم بتأسيس قوة عسكرية تستطيع مواجهة جيش الفلستينيين. ولقد ذكرت في نهاية اللقاء أن الانتقال من عصر القضاة أو عصر الزعامة المحلية للقبائل إلى العصر الملكي قد قضى على نقاء العبادة للعصر السابق بحسب كلامك، وتغير أسلوب الحياة وبدأت تدخل عبادات أجنبية. وأود تقسيم السؤال إلى قسمين: الأول: بالنظر في العهد القديم سنجد هوشع على سبيل المثال يؤنب الشعب على "לַבְּעָלִים יְזַבֵּחוּ וְלַפְּסִלִים יְקַטֵּרוּן – يذبحون للبعليم ويبخرون للتماثيل" (هوشع ١١: ٢)؛ والنبي إلياهو وحربه الكبرى على أنبياء البعل؛ و مِنَسى الذي يحول بيت المقدس إلى مكان عبادة توفيقي Syncretism بتشييده مذابح للبعل ولجند السماء ويضع تمثال عشيره في داخل بيت المقدس. فهل يمكن القول إن العصر الذهبي قد انتهى وإن عصر الملكية هو عالم آخر عالم يتحول فيه ملكوت السماء إلى ملكوت أرضي كما هو لدى الشعوب المحيطة؟ والقسم الثاني من السؤال: ماذا وجدنا بالفعل في الاكتشافات الأثرية من العصر الحديدي الثاني، وأي أنواع من التماثيل والمذابح تم اكتشافها من العصر الملكي، وهل صنع مِنَسى عملا فريدا أم أنه من الممكن العثور فعلا على تماثيل في داخل بيت المقدس؟**

تؤيد الاكتشافات الأثرية نظريات العهد القديم جزئيا، وما المقصود بذلك؟ لقد ذكرت عن عصر القضاة أنه لم توجد تقريبا في المستوطنات الإسرائيلية على

الجبل تماثيل على شكل إنسان، ذلك في مقابل وجود تماثيل كثيرة في مناطق أخرى بالبلاد وفي السهول والأودية التي سكنها الكنعانيون أو الفلستينيون. وقلت إن هناك بعض الاكتشافات الاستثنائية هنا وهناك مثل العثور على جزء من تمثال على هيئة إنسان في دان، وهو ما يتماشى ربما مع قصة تمثال ميخا في عصر القضاة. وأنا لا أريد التأكيد على أن هذا هو المقصود لكن التزامن بين القصة عن تمثال دان، مع العثور على جزء من تمثال على هيئة إنسان في دان أمر يثير الاهتمام. مع ذلك فهذه بقايا استثنائية في عصر القضاة أو في العصر الحديدي الأول كما نسميه في البحث الأكاديمي. وأكدنا أيضا أنه لا توجد تماثيل على هيئة بشر في أماكن أخرى في المستوطنة الإسرائيلية على الجبل. وأشرت إلى مقال ناداف نئمان عن الاكتشافات في "خربة عوزه" محل استيطان القيني؛ حيث لم يعثر هناك على أية تماثيل على هيئة بشرية. وزعم نئمان أن عدم وجود هذه التماثيل إنما يظهر إيمان القيني بالإله ياهو وبتحريم التماثيل والصور وحرصهم على ذلك. وأنا آخذ ما قاله ناداف عن هذا الاستيطان وأطبقه على غياب وجود تماثيل تجسيدية في المستوطنات الإسرائيلية على الجبل في عصر القضاة، وأستنتج منه ولاء الإسرائيليين في عصر القضاة لمباديء العقيدة التوراتية وعبادة الإله الواحد فقط وتحريم التماثيل والصور وعدم تجسيد هذا الإله الواحد في تمثال أو صورة.

وعندما نصل إلى العصر الملكي وهو العصر الحديدي الثاني بحسب علماء الآثار سنجد تغييرا كبيرا في الاكتشافات الأثرية تغييرا يظهر في قطاع معين على وجه الخصوص. وماذا أقصد بذلك؟ لقد عثرنا على تماثيل نسائية وأنثوية كثيرة في مواقع مختلفة من العصر الملكي بما في ذلك المدينة المقدسة أورشليم. كما عثر في حفريات يجئال شيلوه، في مدينة داوود من العصر الملكي، على الكثير من التماثيل على هيئة بشر. ورغم وجود جدال حول جوهر هذه التماثيل

وهويتها إلا أن معظم الباحثين يميلون إلى اعتبارها تمثيلا للإلهة الكنعانية "عشيره".

**لكني لا أستوعب ذلك كثيرا مع كل الأفعال في العهد القديم التي تتطرق إلى عشيره من زرع وحصاد، وأنت تتحدث عن تماثيل ...**

سنتحدث عن عشيره والتمثيل لها على الفور لكني أود قبل ذلك التركيز على نقطة أخرى. الإشارة إلى شيء استثنائي والتطرق إليه مرة أخرى بمساعدة مقال ناداف نئمان الذي تم نشره هذه الأيام. إننا لا نجد تقريبا أي تمثيل لشخصية رجل في الاكتشافات الأثرية في تلك الفترة في هذه المناطق مما يعني إنه تم الحفاظ على تحريم تصوير الإله في صورة تمثال أو صورة؛ لكن كان هناك تجاوزا فيما يخص الشخصيات الأنثوية التي سنتحدث عن أهميتها وجوهرها لاحقا. هذا الاستثناء مرتبط باكتشافات السنوات الأخيرة؛ عندما تم اكتشاف موقع عبادة من العصر الملكي من القرن التاسع قبل الميلاد تقريبا في موقع مجاور لأورشليم. وعثر في هذا الموقع على شخصيات ذكورية وهو ما يدعو إلى التساؤل: لماذا توجد شخصيات ذكورية في هذا الموقع تحديدا؟

**وماذا عن كونتيلة عجرود؟ فقد عثروا هناك أيضا على تمثال على هيئة رجل.**

سنصل إلى كونتيلة عجرود، وسنتحدث عنها باستفاضة لأن بها نقوش عن يهوه وعشيره وسننقاش رسومات صور الرجال هناك ولم يعثر هناك على تماثيل.

لكن لنعد إلى موقع العبادة الأصلي الذي ضم تماثيل على هيئة الرجال. ففي مقاله الذي نشره مؤخرا عن الاكتشافات في الموقع قدم ناداف نئمان تخمينا بحسب مؤشرات مختلفة يقول بأن هذا المكان لم يكن مكان عبادة يهوذي (خاص بمملكة يهوذا) لكن مكان عبادة أجنبية ذات تأثير فلسطيني. واقترح ربط هذا المكان بالموقع المذكور فيما يخص نقل تابوت العهد إلى أورشليم في عصر

داود، أليس هو بيت عوبيد أدوم الجتي (انظر صموئيل الثاني ٦: ١٠). يدل لقب "الجتي" على أن عوبيد أدوم كان من جت الفلستينية، واقتراح نئمان مهم فرأيه عن وجود دلائل مختلفة في الموقع تدفع إلى استنتاج أنه لم يكن موقع عبادة يهوذي لكن عبادة أجنبية يبدو لي جادا ومقنعا. لذلك هناك تفسير لهذه الحالة الشاذة فهذا الموقع لم يكن مكان عبادة يهوذي.

الآن بخصوص أسئلتك. لقد سألتني سؤالين: سؤال عن عشيره كشجرة، وآخر عن كونتيلة عجرود. أود التفصيل هنا بخصوص عشيره فمن هي عشيره؟ وكيف عملوا من أجلها؟ والتطرق أيضا إلى موقع كونتيلة عجرود المهم في سيناء.

**لتقم من فضلك بعمل بعض النظام في عائلة المعبودات: عشيره، عشتروت، بعل، عنات، من انضم ومن سبق من ومن أنجب من؟**

سأرتب لك مجمع المعبودات الكنعاني فهناك أجيال سابقة قد تقاعدت ومنها على سبيل المثال: الإله "العلي" الذي تحكي عنه المصادر المتأخرة بعض القصص لكن لا وجود لهذه الشخصيات تقريبا في الكتابات الأوجاريتية التي هي أقدم مصدر أساسي لدينا للتعرف على الثقافة الكنعانية؛ فعائلة المعبودات التي تروى عنها القصص يرأسها إلهان. ورئيس المجمع الإلهي الكنعاني هو "إيل" وزوجته "عشيره". وإيل هو أبو المعبودات وعشيره أمهما فهي صانعة المعبودات. ولإيل وعشيره سبعون ابنا وابنة منهم بعل، ويم، وموت إله الموت، والمعبودات عنات وعشتروت، وجميعهم من نسل الزوجين الأوائل. كما إن "إيل" كان في مرحلة الاستعداد للتقاعد فبدأت الحرب على الميراث خاصة بين الثلاثي: بعل، ويم وموت. وتساعد عنات بعل في حربه ضد أعدائه، وهذه هي الدراما الأساسية في قصص المعبودات في أوجاريت.

عشيره أو أشيرتو (في الأوجاريتية "أشيرتو"، و الاسم أشيرتو - يم) وهي إلهة أم لذلك هي رمز الخصوبة أيضا. وكرمز للخصوبة يتم تصويرها في شكلين: في

صورة امرأة، في أحيان كثيرة لها صدر مفعم وفخذين كبيرين وهو جسد يعبر عن خصوبتها وأمومتها؛ وفي أحيان أخرى على شكل شجرة قاموا بتقليمها بصورة خاصة لترمز إلى العضو التناسلي عند المرأة. لذلك فكما ذكرت سنجد أكثر من مرة أن التطرق إلى عشيره في العهد القديم يكون بتعبيرات الغرس والقطع التي ترتبط بالشجرة بالطبع وليس بالتمثال (انظر على سبيل المثال سفر التثنية ١٦: ٢١؛ والملوك الثاني ١٨: ٤). لكن لدينا كذلك تطرق إلى التمثال فيما يرتبط بقصة منسى ملك يهوذا على سبيل المثال.

**لقد وضع تمثال عشيره في داخل بيت المقدس ...**

أجل، تمثال عشيره في داخل بيت المقدس وسنتناول ذلك فيما بعد بالتفصيل. وفي هذه الحالة لا يكون الحديث هنا عن الشجرة لكن التمثال.

**بالمناسبة، هل لمصطلح "אל שדי"[1] (إيل شداي) – الرب القدير" الذي يرد ذكره مرات عديدة في العهد القديم، خاصة فيما يخص الآباء، أي علاقة بالخصوبة؟**

كتب باحث من كاليفورنيا يدعى دافيد بيالا مقالا في هذا الخصوص: حيث لاحظ أن الاسم "إيل شداي – الرب القدير" يظهر في سفر التكوين مرتبط ببركات الخصوبة لذلك اقترح أن تكون الكلمة "شداي" في هذا التعبير "إيل شداي" إنما تمثل الأنوثة، ثديي المرأة، لذلك فإن الاسم "إيل شداي" يجسد في داخله أساس ذكوري والذي يشار إليه بـ"إيل" وجوهر الأنوثة ويشار إليه بالاسم "شداي". ويكشف التعبير "إيل شداي" أن إله العهد القديم الواحد فيه الجانب الذكوري والأنثوي معا وهذا الدمج هو الذي يمكنه من منح بركة الخصوبة.

---

[1] يذكر أن كلمة שד – شد، في العبرية تعني ثدي.

**تجد ذلك في قصة خلق الإنسان في سفر التكوين (١: ٢٧): "וַיִּבְרָא אֱלֹהִים אֶת הָאָדָם בְּצַלְמוֹ בְּצֶלֶם אֱלֹהִים בָּרָא אֹתוֹ זָכָר וּנְקֵבָה בָּרָא אֹתָם – فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم".**

هذا صحيح، يبدو من ذلك أن الرب به جانب من الذكورة وجانب من الأنوثة؛ حيث ،خلق الذكر والأنثى على صورته.

لكني أود أن أضيف شيئا بخصوص "إيل شداي" (ودافيد بيالا لا يتجاهل ذلك): أن الاسم "شداي" في ذاته هو اسم الألوهية المعروف لدينا في منطقة بلاد الرافدين وكذلك في سوريا ولبنان ومعناه على ما يبدو "الجبل". وبيالا لا يناقش ذلك لكنه يزعم أنه عندما يتبنى العهد القديم هذا الاسم لنفسه فهو يستخدمه في سفر التكوين على الأقل في سياق الخصوبة في الأساس. لذلك أعتقد أن مدوني العهد القديم قد أعطوا هذا التعبير معنى جديدا وهو تمثيل الجانب الأنثوي والخصوبة وما إلى ذلك.

سنبدأ هنا في التطرق إلى أسئلة عميقة للغاية ففي أحد لقاءاتنا الأولى عندما تحدثت عن الجوهر، عن الجذور، وعن أسس ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم تبعت قويفمان وذكرت أن الثورة الكبرى التي أحدثها العهد القديم هي رفع الرب فوق الطبيعة وتحويله إلى الإله الأعلى فوق المنظومة البيولوجية للولادة والبلوغ الجنسي والتزواج الجنسي والولادة والموت. فيستبعد العهد القديم هذه العناصر من الألوهية لذلك فإنه يستبعد أيضا الأشكال الأنثوية من العالم الإلهي وتناولنا ذلك بالتفصيل. وبحسب ما توصلت إليه من الاكتشافات الأثرية يبدو هنا في هذه المسألة بالذات أنه قدحدث شرخ ثم تبعه الحطام الكبير في عصر الملكية؛ أي أنه كان هناك كثيرون رجالا ونساء في شعب إسرائيل وربما النساء أكثر من الرجال ينقصهم العنصر الأنثوي في داخل العالم الإلوهي. كان ينقصهم مركز إلهي أنثوي يوجهون له تطلعهم إلى الوفرة

والخصوبة والبركة سواء في الأسرة أو في حصاد المحاصيل. وكيف يمكن أن يكون هذا الإله الوحيد في العالم الذي ليس له زوجة ولا يتزوج أن يصبح مصدر الوفرة والخصوبة؟ كما كان ينقص المرأة الإسرائيلية في العصر التوراتي شخصية إلهية أنثوية يمكن أن تتوجه إليها في مشكلاتها المرتبطة بأنوثتها وكل ما يخص بالمرأة. لذلك يبدو لي أن هذه الظاهرة التي تحدثت عنها بأن التحريم جاء تحديدا فيما يخص الشخصيات الإلهية الأنثوية إنما يدل على نقطة ضعف في ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم وهي غياب البعد الأنثوي في العالم الإلهي.

سألت أيضا عن كونتيلة عجرود. أود القول إننا لا نعتمد في هذا الأمر على اكتشافات التماثيل فقط لكن على اكتشافات النقوش في المكانين أيضا. المكان الأول الذي ذكرته: كونتيلة عجرود في شمال [شرق] سيناء وهو حصن ارتبط على ما يبدو بمملكة إسرائيل رغم وجوده في منطقة سيناء. ويؤرخ للاكتشافات هناك بسنة ٨٠٠ قبل الميلاد؛ حيث كانت مملكة إسرائيل في أوج قوتها. والمكان الثاني يسمى خربة القوم وهو موجود في منطقة بيت جوبرين في المنطقة الداخلية لأرض يهوذا.

**عثروا هناك أيضا على نقش لتمجيد يهوه وعشيره.**

صحيح. نجد في هذين المكانين نقوشا مباركة "بركتك ليهوه ... ولعشيره" (كونتيلة عجرود) أو مباركة "أرياهو ليهوه وعشيره" (خربة القم).

**يبدو من نقوش يهوه أنه كانت له زوجة ...**

هناك جدل كبير في المحافل البحثية حول كيفية فهم هذه الكلمة "أشيرتو" فلو أنه اسم علم فكيف نفهم صيغة الملكية "أشِرتو" - عشيره التي تخصه؟ حيث لا تأتي صيغة الملكية مع أسماء العلم في العبرية. ولا أريد الخوض هنا في كل القواعد اللغوية للبحث في هذا الموضوع لكني أقول بشكل عام إنه بين هذه

الصيغة النحوية وبين الصورة الأخرى من الواضح أن هذه الكلمة تتطرق إلى عشيره وترتبط بها وباعتبارها مصدرا للبركة والخصوبة. وهذا الدمج بين الإلهين يعلمنا أن من كتبوا هذه النقوش يؤمنون أنهم إذا ذكروا يهوه مع رمز الخصوبة المرتبط بالمعبودات عشيره فإن مباركتهم ستكون أكثر قبولا عن ما إذا اكتفوا باسم الإله الذكري يهوه غير المؤنث. وهو ما يشير فيما يبدو إلى الأزمة الكبرى التي سادت تلك الفترة وهي النقص الشديد في الأنثوية الإلهية في عالم ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم.

في الحقيقة لقد أردت الحديث عن ذلك فيما بعد لكنك سبقتني وتحدثت عن "إيل شداي"، وكما ذكرت من قبل أن هذا التعبير يمكن أن يشير إلى محاولة حل هذه المشكلة في إطار المنظومة؛ أي أنه عندما يبتكرون هذا الدمج "إيل شداي" فلن تكون هناك حاجة إلى عشيره. بل إننا أخذنا من الأسماء المختلفة للألوهية في العهد القديم النظرة الأنثوية المشار إليها بـ"شداي"، وبذلك يتم حل المشكلة في صورة الإله التوراتي الوحيد نفسه.

ونحن نعلم أن هذا التزاوج بين يهوه وعشيره الذي نراه في هذه النقوش لم يكن محاولة "التوفيق" الوحيدة التي كانت موجودة عند بني إسرائيل في العصر التوراتي فهناك من بحثوا له عن زوجة في الجيل الأصغر من أسرة المعبودات الكنعانية وليس بعشيره أم المعبودات؛ فهناك من قال هلم نبحث له عن عروس أصغر.

**عنات تبدو لي عروس جيدة وشابة ...**

عنات، بالفعل؛ ففي جزيرة إلفنتاين في جنوب مصر كانت توجد في العصر الأخميني مستعمرة للجنود[1] اليهود الذين تعود أصولهم إلى مملكة الشمال في فلسطين فيما يبدو. وعثر هناك على كثير من أوراق البردي التي كتبتها هذه

---

[1] الأصوب المهاجرين.

الطائفة الفريدة فنجد فيها دمجا بين عنات ويهوه "عنات ياهو". عنات المعبودات المحاربة الصارمة زوجوها بيهوه الإله التوراتي. وهنا يتجلى الذكاء الشديد لباحث العهد القديم الألماني فلهاوزن الذي كان عبقريا في تفسير سفر هوشع قبل اكتشاف هذه الاكتشافات؛ ففي الإصحاحات الأولى لسفر النبي هوشع يتجادل النبي مع الإسرائيليين الذي يؤدون عبادات الخصوبة الكنعانية فالمزارعون في وادي يزرعئيل غير راضين عن ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم فهم يريدون أيضا عناصر الخصوبة الموجودة في العالم الكنعاني. وها هو في نهاية سفر هوشع توجد فقرة مهمة جدا وغامضة حيث ورد في الفقرات الأخيرة من سفر هوشع (١٤: ٦-٩): "אֶהְיֶה כַטַּל לְיִשְׂרָאֵל יִפְרַח כַּשּׁוֹשַׁנָּה וְיַךְ שָׁרָשָׁיו כַּלְּבָנוֹן יֵלְכוּ יֹנְקוֹתָיו וִיהִי כַזַּיִת הוֹדוֹ וְרֵיחַ לוֹ כַּלְּבָנוֹן יָשֻׁבוּ יֹשְׁבֵי בְצִלּוֹ יְחַיּוּ דָגָן וְיִפְרְחוּ כַגָּפֶן זִכְרוֹ כְּיֵין לְבָנוֹן – أكون لإسرائيل كالندى يزهر كالسوسن، ويضرب أصوله كلبنان. تمتد خراعيبه ويكون بهاؤه كالزيتونة، وله رائحة كلبنان. يعود الساكنون في ظله يحيون حنطة ويزهرون كجفنة. يكون ذكرهم كخمر لبنان". سلسلة من الوعود بالخصوبة تأتي في سياق أفكار نباتية.

ما معنى: "אֲנִי עָנִיתִי וַאֲשׁוּרֶנּוּ אֲנִי כִּבְרוֹשׁ רַעֲנָן מִמֶּנִּי פֶּרְיְךָ נִמְצָא - أنا قد ألاحظه. أنا كسروة خضراء. من قبلي يوجد ثمرك". فجاء فلهاوزن واقترح بأن لا تقرأ "אֲנִי עָנִיתִי וַאֲשׁוּרֶנּוּ" لكن اقرأ "אֲנִי ע ֲנָתָ ו ואְ שֵׁרָתוֹ – أنا عنات وأشريتو" و "אֲנִי כִּבְרוֹשׁ רַעֲנָן מִמֶּנִּי פֶּרְיְךָ נִמְצָא" أي لا تحاولوا تزويجي لا بعنات ولا بعشيره. فالخصوبة موجودة في أنا نفسي؛ في داخلي. أنا مثل السروة الخضراء ثمرك موجود في داخلي. إنه أمر مثير للاهتمام جدا وعبقري وهو ما يبدو مقنعا جدا في ضوء الاكتشافات الأثرية.

**وماذا عن كونتيلة عجرود حيث عثروا هناك على رسومات من الممكن أن تشير إلى الإله الذكوري وكذلك الأنثوي ..**

أعود إلى كونتيلة عجرود حيث لم يكن الحديث هناك عن تمثال لكن عن عدة أشكال غريبة تم العثور عليها كرسومات على الأواني الفخارية. أراد بعض الباحثين القول بأن إحدى هذه الشخصيات هي شخصية مذكرة والأخرى مؤنثة واحدة ليهوه والأخرى لعشيره. لكن البحث الدقيق ينفي ذلك فمن غير الواضح تماما وجود علاقة بين هذه الرسومات وبين النقوش، ويبدو أن هذه الشخصيات هي للإله المصري "بس" الذي هو مذكر ومؤنث في نفس الوقت.

وملك يهوذا الذي نسمع عنه والذي صنع علنا صنيعا كبيرا في هذا الأمر هو ...

**منسى، فقد أدخل كما ذكرنا تمثال عشيره إلى المقدس فعليا.**

منسى هو ابن حزقيا وكان أبوه تقيا وقام بإصلاحات فأزال النصب وقطع عشيره وحطم الثعبان النحاسي الذي عبده بنو إسرائيل ونسبوه إلى موسى (انظر الملوك الثاني ١٨: ٤)، غير أن ابنه تمرد على طريق والده وصنع أشياء لم يجرؤ أحد على صنعها في أورشليم حيث قام بإدخال تمثال المعبودات عشيره إلى داخل بيت المقدس (انظر الملوك الثاني ٢١: ٧). فما الذي أراد تحقيقه من وراء ذلك؟ لقد أراد أن يقوم بتزاوج إلهي على ما يبدو.

كان تابوت العهد موجودا في بيت المقدس وكان يمثل وجود يهوه. الكروبيم وتابوت العهد، ويهوه رب الجيوش يجلس فوق الكروبيم. لقد أراد منسى القيام بزواج مقدس وكما ذكرنا في هذا السياق بأن ذلك الأمر كان مألوفا في بلاد النهرين حيث نعلم أنه في أثناء الاحتفال برأس السنة في بابل كانوا يزوجون المعبودات عشتار - عشتاروت بالإله دوموزي - تموز إله المزروعات فقد آمنوا أن هذا التزواج يضمن الخصوبة. ويبدو أن منسى أراد القيام بمثل هذا الزفاف في أورشليم لكن ذلك أثار بشدة الكهنة الغيورين على ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم واعتبروا هذا العمل تدنيسا فظيعا للمقدسات. وقالوا في

أنفسهم علينا إفساد هذا الزفاف الذي لا نريده. ويبدو أنهم لإفساد هذا الزفاف قاموا بأخذ العريس وأبعدوه عن القاعة التي كان من المقرر أن يعقد فيها الزفاف. فماذا أقصد بذلك؟ نحن نعلم أن تابوت العهد قد اختفى في فترة ما في نهاية العصر الملكي. وكيف نعلم ذلك؟ لأنه عندما يصف لنا سفر الملوك الأدوات التي أخرجها البابليون من بيت المقدس (انظر الملوك الثاني ٢٥: ١٣-١٧)، لم يتم ذكر تابوت العهد من بينها. أي أنه وقت خراب الهيكل على أيدي البابليين في سنة ٥٨٦ قبل الميلاد لم يكن التابوت في أورشليم.

**أين التابوت حقا؟**

أين التابوت؟ هناك أساطير وحكايات فلكلورية لا نهاية لها عن ذلك.

**إنديانا جوزنز لا يزال يبحث عنه ...**

أجل، وفي أفلام أخرى مختلفة.

**يزعم الإثيوبيون أن التابوت موجود في الكنيسة في أكسوم ...**

صحيح، في أكسوم. ولمحاولة الإجابة عن هذا السؤال علينا أن نسأل أنفسنا إلى متى لدينا شهادة على أن التابوت موجود في الهيكل؟ ،يحكى عن حزقيا والد ،منسى أنه صلى صلاة وقت الحصار الأشوري ولقد وصلنا نص صلاته حيث توجه إلى الرب باللقب الذي ذكرته من قبل "يهوه ... الجالس فوق الكروبيم" (انظر الملوك الثاني ١٩: ١٥). لا أعتقد أن شخصا ما كان سيتوجه إلى يهوه بهذا اللقب «الجالس فوق الكروبيم» وتابوت العهد غير موجود في بيت المقدس في أورشليم. لذلك، يبدو أثناء حصار سنحريب لأورشليم في سنة ٧٠١ قبل الميلاد أن التابوت كان لا يزال في أورشليم؛ أي أنه اختفى في فترة ما بين سنة ٧٠٠ – ٥٨٦ قبل الميلاد السنة التي تم فيها تخريب البابليين للهيكل.

كيف، ولماذا، ومتى؟ اقترح باحثو العهد القديم – وأرى هذا المقترح مقبولا – أن ذلك حدث في عصر ،منسى ابن حزقيا ذلك عندما أراد إدخال تمثال عشيره

إلى بيت المقدس وبالفعل قام بذلك فقام الكنهة الذين يخافون الرب بإخراج التابوت وخبأوه في مكان ما. ودفن في الأرض أسفل بيت المقدس بحسب رواية الأحبار (حازل). ومن يدري ربما كان موجودا هناك. غير أنه لا يمكن الحفر هناك، لكن ربما لا يزال موجودا في الأعماق.

نرى أن العائلة الملكية في أورشليم كان بها حركات متشددة إلى الجانبين. فقد ذكرنا أن حزقيا كان مخلصا للرب ووصاياه وأخرج النصب وكذلك الثعبان النحاسي الذي بجله الشعب. أما ابنه منسى فيتجه صوب الطرف الآخر فيكثر من العبادات الأجنبية في أورشليم لأنه كان مخلصا جدا للحكم الأشوري الذي كان تحت وصايته. كما دخلت عبادات أشورية إلى أورشليم من بينها عبادة المعبودات المسماة "ملكة السماء". فمن هي ملكة السماء؟ "ملكة السماء" هو لقب عشتار المعبودة البابلية الأشورية التي ذكرناها من قبل والتي كانت مرتبطة بنجم الفجر. وهي كما ذكرت قد احتلت مكانة مهمة في طقوس الخصوبة في عالم بلاد النهرين.

**هل هي المعبودة الكنعانية عشتروت؟**

أجل، فأسماؤها في بلاد النهرين إينانا وعشتار وهي تقابل المعبودة الكنعانية عشتروت. كما ترتبط بالخصوبة وهي زوجة دوموزي إله المحاصيل. ونحن نعلم أن دوموزي مات في الصيف وكان النساء يرثينه منشدات. وهناك نصوص رائعة لرثائهن يمكن أن نقرأها في مجموعة البروفسور كلاين والشاعرة ش. شفراه. ويذكر النبي حزقيال، عندما يصف عبادة الأوثان في الهيكل في أورشليم: "הַנָּשִׁים יֹשְׁבוֹת מְבַכּוֹת אֶת הַתַּמּוּז – وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز" (حزقيال ٨: ١٤). وكان رثاء تموز جزءا من العبادة المرتبطة بعشتار وزوجها دوموزي - تموز، الذي سمي شهر تموز باسمه. من الممكن معرفة وإدراك أن عبادات الخصوبة قد دخلت أورشليم في عصر منسى ويقوم حفيده

يوشيا بإصلاحات كبيرة جدا في محاولة أخرىتطهير العبادة وتنقيتها فيحر ِ م كل عبادات الأوثان ويخرج عشيره من بيت المقدس ويحرقها ويهدم النصب في بئر سبع وحتى بيت إيل. كل هذه الإصلاحات ترتبط فيما يبدو بالعثور على كتاب التوراة (انظر الملوك الثاني ٢٢: ٨) الذي هو سفر التثنية بحسب رأي الباحثين ويحاول يوشيا تطبيق تعاليمه.

**هل هذا هو الكتاب الذي وجده الكاهن حلقيا وأعطاه لشافان الكاتب؟**

بالفعل. وهذا الإصلاح يصفه سفر الملوك (الملوك الثاني ٢٣: ١-٢٠) بإسهاب، لكن ماذا؟ يبدو أن تأثير هذا الإصلاح كان لفترة قصيرة وهو ما نعرفه من سفر إرميا. فبعد أن احتلوا يهوذا ونفوا معظم سكانها ّولى البابليون جداليا بن أحيقام ليشرف على بقية اليهود الذين بقوا في البلاد فيتم اغتياله في ٫**المصفاة** . وبعد عملية الاغتيال تجهز المجموعة التى ستهبط إلى مصر نفسها وتأخذ إرميا معها ٫مرغما (انظر إرميا ٤١: ١-٤٣: ٧). وينهي إرميا حياته في مصر. وهناك كما هو وارد في الإصحاح ٤٤ من سفر إرميا يدخل في جدل مع النساء اللائي هبطن من بلاد يهوذا إلى مصر ويوبخهن هن وأزواجهن على عبادتهم للأوثان خاصة عبادة المعبودة ، لقبة بملكة السماء؛ غير أنهن لا يقبلن كلامه ويقلن له: كلا، نحن غير مستعدات للاستماع إليك. وأنا أقرأ في سفر إرميا الإصحاح ٤٤ الفقرات ١٦-١٨: "הַדָּבָר אֲשֶׁר דִּבַּרְתָּ אֵלֵינוּ בְּשֵׁם יהו־ה אֵינֶנּוּ שֹׁ מְעִים אֵלֶיךָ .כִּי עָשֹׂ ה נַעֲשֶׂה אֶת כָּל הַדָּבָר אֲשֶׁר יָצָא מִפִּינוּ ,לְקַטֵּר לִמְלֶכֶת הַשָּׁמַיִם וְהַסֵּיךְ לָהּ נְסָכִים כַּאֲשֶׁר עָשִׂינוּ אֲנַחְנוּ וַאֲבֹ תֵינוּ מְלָכֵינוּ וְשָׂרֵינוּ בְּעָרֵי יְהוּדָה וּבְחֻצוֹת יְרוּשָׁלָ ִם וַנִּשְׂבַּע לֶחֶם וַנִּהְיֶה טוֹבִים וְרָעָה לֹא רָאִינוּ .וּמִן אָז חָדַלְנוּ לְקַטֵּר לִמְלֶכֶת הַשָּׁמַיִם וְהַסֵּךְ לָהּ נְסָכִים חָסַרְנוּ כֹ ל וּבַחֶרֶב וּבָרָעָב תָּמְנוּ – إننا لا نسمع لك الكلمة التي كلمتنا بها باسم الرب، بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا، فنبخر لملكة السماوات، ونسكب لها سكائب. كما فعلنا نحن وأباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا في أرض يهوذا وفي شوراع أورشليم، فشبعنا خبزا وكنا بخير ولم نر شرا. ولكن من

حين كففنا عن التبخير لملكة السماوات وسكب سكائب لها، احتجنا إلى كل، وفنينا بالسيف والجوع."

أي أنهن قلن لإرميا: لتعلم أننا كنا في خير مادمنا نواظب على فعل ذلك، أي أن الحاجة والدافع لعبادة المعبودات قوية جدا تشعر بها النساء تحديدا، ولا يختلف الأمر إن كانت المعبودة عشيره أو عشتار ملكة السماء. فالنساء اللائي ينقصهن الجوهر الأنثوي في العالم الإلهي، يشعرن أن غياب عبادة الجوهر الأنثوي هو سبب المصائب، ومشكلات الخصوبة والمجاعة والحروب.

وإذا أوجزنا هذه الظاهرة سنلاحظ أمرين في هذا التغير الذي حدث في العصر الملكي: الأول؛ هو دخول عبادة أجنبية عبر الزواج الدبلوماسي في اللحظة التي تأسست فيها الملكية ودخول أسباط إسرائيل في أسرة شعوب المنطقة. وكيف تدور العلاقات الدبلوماسية؟ عبر الزواج في كثير من الأحوال. وهذا تقليد قديم للغاية توثقه رسائل تل العمارنة بإسهاب وبدأه الملك داود كما ذكرنا بالزواج بمعكة ابنة ملك جشور ومن بعده سليمان ...

**وآحاب وإيزابل ...**

آحاب وإيزابل، هما مثال بارز لكنه ليس الوحيد بالطبع. فنحن نسمع في هذا الموضوع عن نساء أحضرن معهن عبادة عائلاتهن كما عرفنها في البلاد التي جئن منها.

**أريد أن أسألك: إن كنت تقول إن الشعب، خاصة النساء، كان ينقصهن الجوهر الأنثوي في العالم الإلهي فكيف حدث أن ذلك لم يكن ينقصهن في عصر القضاة؟**

وأنا أجيب كالتالي: يبدو أنه في عصر القضاة الذي كان قصيرا حوالي مائتي سنة، كانت نيران الثورة الأولية التي اشتعلت وارتبطت بالقينيين والمديانيين وموسى وزعامته؛ لا تزال متقدة. وكانت صورة ذلك الإله الغيور لا تزال أمامهم، وكان

الحماس الذي دب فيهم لا يزال قويا حتى في الوقت الذي استوطنوا فيه أرض كنعان. كان ذلك مجتمعا أيديولوجيا للغاية. فقد تحدثنا عن أيديولوجية البساطة والمساواة. كما أنه مجتمع به تضامن قوي جدا فيما ما يبدو. سكنوا جميعا في مستوطنات صغيرة وذكرنا أن هذه المستوطانات كانت مبنية على شكل بيضاوي أحيانا مما يسمح بمشاهدة ماذا يحدث عند الجار. كما هو الحال في الكيبوتس الصغير. وفي هذا الجو الأيديولوجي يمكنك الحفاظ على هذه الروح الثورية وليس مهم عدد الأزمات التي ستمر بها فيمكنك البقاء مع الفكرة الكبرى التي وصلت بها ومنها وتمسكت بهذه المستوطنات في تلك القرى الصغيرة.

من البديهي وجود حالات استثنائية، فعلى سبيل المثال القصة عن بعل وعشيره في بيت والد جدعون (القضاة ٦: ٢٥). مع ذلك تشهد الاكتشافات الأثرية كما قلنا على أن معظم الإسرائيليين في عصر القضاة لم يعبدوا آلهة كنعان. لكن عندما تأسست الملكية تم اختراق هذا التضامن والتكاتف الاجتماعي وظهرت فروق طبقية كبيرة وازداد عدد الذين كانت لهم علاقات بالممالك المجاورة، من الطبقة النبيلة والملكية بالطبع، وأحضر الملوك الأميرات الأجنبيات وبهذه الطريقة تم خرق الجدار.

حدث أمر آخر من المهم تأكيده: نحن نقرأ عن قوانين الإبادة في سفر التثنية ووصف عمليات الإبادة التي قام بها يشوع ضد سكان كنعان. وبحسب معلوماتي فإن الاكتشافات الأثرية لا تشهد على حدوث أي إبادة – إبادة بالمفهوم الذي يتم فيه قتل السكان الكنعانيين. وأنا سعيد أن ذلك لم يحدث. فحصور كما ذكرنا قد قام أوائل الإسرائيليين بتخريبها وحرقها في بداية عملية الاستيطان. وهناك بالفعل شواهد على وجود حريق كبير، لكن لو حدثت إبادة لعثرنا على الكثير من الرفات مع أنقاض المدينة. فلا رفات لبشر بين الأنقاض لأنه لم تكن هناك إبادة لسكان حصور. إن معظم الاستيطان لم يكن بالحرب

وحتى في الأماكن التي كان فيها الاستيطان بالحرب لم تكن هناك حرب إبادة. فماذا حدث للسكان المحليين؟ بقيت مجموعات كبيرة من الكنعانيين في أماكن كثيرة خاصة في الأودية والسهول.

إذن كان الاستيطان الإسرائيلي في عصر القضاة موجودا على الجبل ومنعزلا في معظمه عن المحيط الكنعاني الذي سكن الأودية والسهول. فقد عاش الإسرائيليون في عصر القضاة لأنفسهم وفي عصر الملكية استولوا على المنطقة السهلية الكنعانية سواء في يهوذا أو في إسرائيل، كما انتقلت الأودية الكبرى بالتدريج - وادي يزرعئيل ووادي بيت شان - إلى سلطة مملكة إسرائيل. وماذا حدث مع السكان الكنعانيين بالضبط؟ تحول بعضهم للعمل بالسخرة وإلى عمال في الأعمال العامة (سفر أخبار الأيام الثاني ٨: ٧-٨)، واختلط البعض الآخر بالسكان الإسرائيليين.

**إذن إذا قاموا بتحليل جيناتنا الوراثية سيجدون الكثير من الجينات الكنعانية في أصولنا ...**

من المفترض. فهؤلاء الكنعانيون أصبحوا إسرائيليين على ما يبدو، وهي العملية التي يطلق عليها العهد القديم "גר – غريب" وبلغة الأحبار (حازل) "الغريب المقيم". وهو ما يعني أنهم أقاموا في داخل المجتمع الإسرائيلي وأصبحوا جزءا منه. لكن ذلك يؤدي عادة إلى ديناميكية التوفيق الديني؛ أي المزج بين الأفكار الدينية المختلفة. ويتضح أن هذه العملية قد أتاحت الفرصة لدخول بعض آلهة العالم الكنعاني إلى داخل المجتمع الإسرائيلي وعلى رأسهم المعبودات عشيره. مع ذلك، أعتقد أن انغماس السكان الكنعانيين السابقين في المجتمع الإسرائيلي قد سمح بوجود نسبة من التبادل فيما بينهم. أي أن الكنعانيين يقبلون إله إسرائيل من جانبهم، والعالم الإسرائيلي يستوعب عشيره الشخصية الأنثوية الرئيسية للعالم الكنعاني.

**لقد ذكرنا منسى وتمثال عشيره في داخل بيت المقدس. فهل يعد هذا نموذجا استثنائيا، أم كانت توجد بشكل عام تماثيل في بيت المقدس؟ لأني أستمع أحيانا إلى محاضرات يجئال بن نون وهو يقول بثقة تامة إنه كانت هناك تماثيل في داخل بيت المقدس. تمثال يهوه بجوار تماثيل أخرى ويقدم نماذج مختلفة من التوراة. فهل تتفق معه؟**

كلا. لا أتفق معه نهائيا. وبالمناسبة ليس هو الوحيد الذي يعتقد ذلك، فهو يعد المتحدث باسم هذه النظرية في إسرائيل، لكن هناك بعض الباحثين في خارج إسرائيل يزعمون مزاعم من هذا القبيل. وأعتقد أن ذلك ليس له أساس من الصحة. فمن أجل إثبات هذا الادعاء يقدم بن نون الكثير من فقرات العهد القديم التي يتضح منها أن الإله التوراتي لديه وجه أو قدمين وعينين. وهناك الكثير من الفقرات التي تعرض الإله بصورة تجسيدية؛ أي له صورة بشرية.

**لكن السؤال هل ذلك تشبيه أم هو ما يشاهدونه؟ فهم يشاهدون تمثالا، لذلك يقولون وجهه ... ويقدم براهينا على ذلك من سفري إرميا وإشعياء. وذلك الوصف في العهد القديم هو دائما لمن يقبله. فماذا يقول إشعياء؟**

"וָאֶרְאֶה אֶת אֲד ֹנָי י ֹשֵׁב עַל כִּסֵּא רָם וְנִשָּׂא וְשׁוּלָיו מְלֵאִים אֶת הַהֵיכָל– رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل" (إشعياء ٦: ١). لا يوجد هنا وصف تفصيلي للصورة الإلهية فهو يجلس وأذيال ثوبه تملأ الهيكل. لكن النبي لا يصف وجهه ولا يديه ولا قدميه. كما يحكى عن السبعين شيخا الذين صعدوا إلى جبل سيناء: "וַיִּרְאוּ אֵת אֱל ֹהֵי יִשְׂרָאֵל וְתַחַת רַגְלָיו כְּמַעֲשֵׂה לִבְנַת הַסַּפִּיר וּכְעֶצֶם הַשָּׁמַיִם לָט ֹהַר – ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة". (سفر الخروج ٢٤: ١٠). فمن كلمات "تحت رجليه" يمكنك أن تعرف أن له قدمين، لكن ليس وصفا حقيقيا، لا للرجلين أو لأي عضو آخر في الجسد الإلهي.

**لكن عندما يوبخ الرب مريم وهارون لافترائهما على موسى يقول لهما: "פֶּה אֶל פֶּה אֲדַבֶּר בּוֹ וּמַרְאֶה וְלֹא בְחִידֹת וּתְמֻנַת יהו־ה יַבִּיט – فما إلى فم وعيانا أتكلم معه، لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين" ...**

أجل، لكن لا يوجد بأي حال وصف صريح للصورة الإلهية فالعهد القديم يتبع سياسة التعتيم. ولقد تحدثنا عن ذلك في أحد لقاءاتنا الأولى عندما سألنا إن كان للرب التوراتيلحية أم لا؟ وأجبنا بأننا لا نعرف لأن العهد القديم لا يقدِم مثل هذا الوصف. أي أن كل هذه المقولات تتهرب من الوصف المفصل للألوهية. وهؤلاء الذين ينسبون الصورة البشرية للإله لم يشاهدوه في صورة تمثال فهم يتخيلونه في صورة بشرية "דְּמוּת כְּמַרְאֵה אָדָם - كمنظر إنسان" يقول حزقيال (١: ٢٦). لكنهم لا يقد مون وصفا تفصيليا فلم يكن هناك تمثال، ولم يشاهدوا تمثالا. و هذه الرؤى لا تصف تمثالا ملموسا.

يرتكز الادعاء الثاني ليجئال بن نون على فقرة تحكي عن الخروج إلى الشتات في عصر يهوياكين ملك يهوذا؛ حيث قيل عن ملك بابل أنه نفى "אֵילֵי הָאָרֶץ – أقوياء الأرض" من القدس إلى بابل (الملوك الثاني ٢٤: ١٥). ويقول بن نون: "من هم أقوياء الأرض؟" آلهة الأرض، تماثيل المعبودات التي كانت في أورشليم فقد أخرجها البابليون من الهيكل وأخذوها معهم.

لكن دعنا نتمعن في أنشودة البحر، فماذا مكتوب فيها؟ "שָׁמְעוּ עַמִּים יִרְגָּזוּן חִיל אָחַז יֹשְׁבֵי פְּלָשֶׁת. אָז נִבְהֲלוּ אַלּוּפֵי אֱדוֹם אֵילֵי מוֹאָב יֹאחֲזֵמוֹ רָעַד נָמֹגוּ כֹּל יֹשְׁבֵי כְנָעַן – يسمع الشعوب فيرتعدون. تأخذ الرعدة سكان فلسطين. حينئذ يندهش أمراء أدوم. أقوياء مؤاب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان (الخروج ١٥: ١٤-١٥). ما معنى: "أقوياء مؤاب تأخذهم الرجفة"؟ المقصود بحسب الأنشودة هم زعماء مؤاب وأدوم. الزعماء؟ بالضبط. فما هذه اللغة "אלוף ואלופים ואֵילים – أمير وأمراء، وأقوياء. ما هو אלוף (النطق بالعبرية: ألوف) هو الثور. فقد قلنا إن الحرف "ألف" يسمى بذلك لأن الصورة القديمة

للألف كانت على شكل رأس ثور «ألوف». كما لدينا في العهد القديم «ألوف» بمعنى ثور وجاء في سفر المزامير (١٤٤: ١٤) "אַלּוּפֵינוּ מְסֻבָּלִים – بقرنا محملة"

و قياسا على ذلك فمن هم אילי מואב – زعماء مؤاب. "الأيل" هو قائد القطيع. إذن ليس لدينا هنا أي أوثان אלילים ، فذلك ليس آلهة אלים لكن قادة אֵילִים جمع אַיִל قائد القطيع. إذن فإن אילי הארץ الذين نفاهم ملك بابل هم زعماء البلاد. وكما ذكر الباحثون فإن إرميا يستخدم تعبيرا مقابلا "חֹרֵי יְהוּדָה וִירוּשָׁלִָם – أشراف يهوذا وأورشليم" عندما يصف نفي طبقة الزعماء في عصر يهوياكين (إرميا ٢٧: ٢٠).

لا يوجد في هذه الفقرات أي دلائل قوية على وجود تمثال في المقدس. لم يكن هناك تمثال في المقدس فقد تم الحفاظ على تحريم صنع تمثال وصورة يهوه رغم التغييرات التي تحدثنا عنها. لكن ما تم خرقه هو دمج الصورة الأنثوية مع الرب وهذا هو التحول الذي حدث في عصر الملكية.

**كيف تفسر الكروبيم الذين كانوا فوق تابوت العهد؟**

الكروبيم ليسوا تماثيلا ليهوه فهي حيوانات أسطورية تحمل الرب أو ربما تظله. الكروبيم ليست تماثيل الرب لكنها التي يجلس عليها أو بينها أي بمثابة "حيوان يركبه الرب" كما وصفتها. وهنك تأكيدات مختلفة في مواضع مختلفة في العهد القديم على ذلك. الكروبيم ليست على أي حال صورا للألوهية نفسها لكنها صورا للخدام الذين يستخدمهم الرب.

## الحوار الثالث عشر

# إشعياء الثاني وتجديد الثورة التوراتية

**بروفسور! لقد ثارت لدي عدة أسئلة بعد حوارنا الأخير: لقد تحدثنا عن الانتقال إلى مرحلة الملكية، العصر الحديدي الثاني الذي دخلت فيه عبادة الأوثان إسرائيل. وذكرت أنه بعد الثورة الكبرى التي قام بها العهد القديم بإبعاد جميع العناصر البشرية عن الإله مثل الولادة والتزاوج وما إلى ذلك قام أيضا باستبعاد العناصر النسوية من الألوهية. ونظرا لأن العنصر الأنثوي في الألوهية كان ينقص الكثيرين في إسرائيل خاصة السيدات من منطلق التطلع إلى الخصوبة والوفرة وما إلى ذلك، فقد حاولوا استكمال المنقوص لديهم وخرقوا تحريم "لا تصنع صورة أو تمثال" خاصة في التماثيل النسوية. وتعضد الاكتشافات الأثرية ذلك فنجد الكثير من التماثيل على هيئة نساء. وسؤالي هو: وماذا عن الرجل الإسرائيلي؟ ألم يكن ينقصه تمثالا للإله الذي يحب القتال مثل البعل؟ لماذا تشعر المرأة بالنقص ولا يشعر به الرجل تجاه صورة رجولية ملموسة؟ هذا هو السؤال الأول. سؤال آخر: ماذا حدث بعد عصر الملكية؟ لقد قام الأشوريون بتخريب ،ملك إسرائيل ،وأسدل الستار على هذه المملكة وتختفي عشرة أسباط، ثم يقوم البابليون بتخريب ،ملك يهوذا وينفون سباياها إلى بابل. فهل كان لهذا النفي أثر على ثقافة وديانة المنفيين التي حملوها مع عودتهم إلى صهيون؟**

سأبدأ بالإجابة عن السؤال الأول. أود التمييز هنا بين نظرة الرجال والنساء لشكل الألوهية. فلم تكن هناك حاجة فقط إلى صورة ملموسة للرجل أو المرأة بل إلى وجود صفات رجولية ونسوية للألوهية. إن إله العهد القديم لا يتم تمثيله حقا في صورة ملموسة لكن إن سألتني عن صفاته القتالية فهي موجودة

بوفرة في وصفه في الشعر والنبوة. ففي أنشودة البحر على سبيل المثال يوصف بالرجل المحارب وهناك مواضع أخرى في العهد القديم تصفه بالتفصيل الدقيق كشخصية محاربة حتى إن لم يتم تجسيده في تمثال أو في صورة كشخصية محاربة فالخيال الأدبي والشعري يحدد صفاته العسكرية القتالية أي "الرجولية" التي سألت عنها بشكل واضح جدا.

**لكن كشيء مرئي مثل بقية الشعوب من حولهم، ألم ينقصهم ذلك؟**

يبدو أن التحريم القديم الذي ترسخ بتأثير من القينيين كان قديما جدا ونحن نراه عمليا أثناء احتلال حصور في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد عندما يقومون بتحطيم التماثيل هناك. لقد تحول هذا التحريم فيما يبدو إلى شيء أصيل للغاية في الجينات الثقافية الإسرائيلية. لذلك لم يتم تمثيل الإله التوراتي في شكل تمثال أو صورة سوى في بعض الحالات الاستثنائية. لقد اعتاد الإسرائيليون على هذا التحريم. لكن بخصوص الوضع النسوي فالمشكلة هنا أكبر بكثير فليس فقط عدم وجود صورة نسوية مرئية لكن الصورة النسوية الأدبية فغير موجودة أيضا؛ لأن هذا الرب يوصف بشكل رجولي فلا ينسبون له أي عمل نسائي أو مشاعر نسوية لذلك فالمشكلة مضاعفة أي أنه على الرغم من عدم وجود أي تمثيل مادي مرئي له من الناحية الرجولية إلا أن هناك تصوير شعري وقصصي. أما الناحية النسوية فليس لها أي تمثيل لذلك كانت هناك مشكلة.

**والفقرة التي يتلوها الحسيديون قبل القيام بالوصايا "לשם ייחוד קודשא בריך הוא ושכינתיה – من أجل توحيد الرب وسكينته" – لدينا هنا نوع من التزواج ...**

بالطبع، لكن هذه إضافة القبالاه. فكتاب "**ספר הבהיר** - هباهير" الذي يعد أقدم كتاب في القبالاة يذكر: نظرا لعدم وجود بركة في عالم البشر بدون أنثى

فكذلك لا توجد بركة في العالم الإلهي بدون أنثى. لذلك يدخل الكتاب الأنثوية إلى داخل الألوهية وبذلك تحدث ثورة عظيمة في الفكر اليهودي. وذلك من التجديدات التي قامت بها القبالاه. لكن ذلك في القبالاه وليس في العهد القديم.

**فهمت. لنعد إلى السؤال عن الشتات؟**

حسنا! لقد ذكرت شتات أشور واختفاء عشرات الأسباط وأنا أريد أن أسهب عن هذا الحدث بعض الشيء. لقد انتهت مملكة إسرائيل في حوالي سنة ٧٢٠ قبل الميلاد وتم نفي معظم سكانها الأسباط الشمالية والتي نسميها الأسباط العشرة. ذلك بعد قيام ملوك الإسرائيليين، المفترض أن يكونوا موالين للحكام الأشوريين وخاضعين لهم، بالتمرد والتوقف عن آداء التزاماتهم. فجاء الأشوريون وحاصروا السامرة العاصمة واحتلوها ونفوا جميع سكانها؛ حيث كان للأشوريين سياسة معينة من نفي للسكان كما ذكرنا في أحد لقاءاتنا.

**فر ِق تسد؟**

فر ِقتسد. لكني كنت لأقول فر ِق واخلط تسد. لماذا "اخلط"؟ لأنه من المفترض أن يكون النفي ثنائي الاتجاه بغرض خلق بوتقة صهر تمحو الهوية القومية. وفي حالة الأسباط العشرة قام الأشوريون بنفيهم إلى أراض في منطقة الفرات العليا الحدودية وأحضروا سكانا مختلفين إلى المناطق التي تم إخلاؤها من بابل التي تمردت عليهم ومن قبائل عربية أيضا ثم قاموا بتوطين كل هؤلاء في منطقة السامرة فأصبحوا أساس من نسميهم الكوتيين وهم السامريون الذين هم عبارة عن خليط من المنفيين الذين جلبوا إلى المكان مع بقايا اللاجئين الإسرائيليين. شارك في احتلال السامرة حاكمان أحدهما سرجون الذي لم يكن من العائلة الملكية لكنه كان جديرا بالعرش لذلك أطلق على نفسه الاسم العتيق "سرجون" أو شاروكين – العادل- باللغة الأكدية ليقول: أجل أنا الملك الحقيقي الجدير بالحكم. ومن منطلق تطلعه إلى تمجيد اسمه بادر بتشييد مدينة ضخمة أطلق

عليها اسم "دور شاروكين" أي بيت سرجون وتسمى اليوم "خورسباد" وتقع في شمال العراق. وعثر فيها على نقش يقول فيه سرجون ما يلي: "أنا أحضرت الشعوب من أجنحة الأرض الأربعة، وجعلتهم لغة واحدة وشيئا واحدا. وعلمتهم أن يخافوا الملك والإله أشور." أي أنه يقول كيف بنيت هذه المدينة؟ لقد أحضرت الناس من أطراف الأرض وخلطهم ببعض وجميعهم يتحدثون الآن اللغة الأكدية.

**ذلك يبدو مثل الانقلاب الكبير لبرج بابل ...**

صحيح جدا. وهذا التجمع البشري الذي أقوم بدمجه وصهره وأحوله ليصبح أشوريا بالمفهوم اللغوي والديني والثقافي هو الذي من خلاله أقوم ببناء هذه المدينة. وبالفعل أقام مدينة كبيرة ومثيرة وفي عام ٧٠٥ قبل الميلاد يقتل سرجون في حرب ضد قبيلة شمالية في منطقة أرمينيا فيأخذ جثته أبناء القبيلة التي قتلته ولا يدفنوه وهو ما اعتبر إهانة كبيرة جدا في العالم القديم. ويعتبر ذلك ابنه سنحريب - الذي نعرفه من تاريخنا - عقابا لأبيه على خطاياه ويرفض الجلوس في المدينة التي بناها أبوه فتهجر وسرعان ما تتحول إلى مدينة مهجورة.

وأنا أود أن أؤكد على النتائج السياسية لبوتقة الصهر فمن كان يوضع في هذه البوتقة بالفعل لم يكن ليستطيع الحفاظ على هويته. لنأخذ الأسباط العشرة مثالا حيث قام الأشوريون بتوزيعهم على مناطق شاسعة جدا وأرسلوهم إلى وظائف حكومية وتولوا مناصب عسكرية، وما إلى ذلك. تصور أنك إسرائيلي من مدينة ما لنقل من شكيم ثم أرسلوك لتصبح جنديا أو ضابطا في وحدة عسكرية بالجيش الأشوري ومعك رجال من عشرات القوميات المختلفة تم نفيهم هم أيضا على أيدي الأشوريين وجميعكم معا في الجيش فهل سيمكنك الحفاظ على هويتك الدينية؟ مستحيل. وهو ما حدث بالفعل مع

الأسباط العشرة. فهم غير موجودين خلف نهر "سبمطيون" بحسب الأسطورة. فقد اندمجوا في بوتقة الانصهار الأشورية وأحيانا يمكن تتبع أسماء الأب وابنه فنجد أن للأب اسم إسرائيلي والابن له اسم أشوري.

**رغم وجود باحثين يقتفون أثر نسل الأسباط العشرة ويزعمون أن قبيلة البشتون في أفغانستان على سبيل المثال أو قبائل هندية تقيم طقوس تشبه العادات اليهودية؛ من نسل الأسباط العشرة.**

هناك تخمينات وادعاءات مختلفة لكن لم تنجح أي مجموعة من الأسباط العشرة في الحقيقة في الحفاظ على هوية وطنية ملحوظة. ولقد أدرك الأحبار (حازل) هذا الارتباك والتشويه في الهويات الوطنية التي أوجدها الأشوريون. وهناك قصة في المشنا في فصل اليدين (الفصل الرابع من المشنا الرابعة) عن رجل يدعى يهوذا كان يسكن في عموني ثم حضر أمام الحاخامات في يفنه[1] وسأل: ماذا أفعل لأدخل في كنف الشعب؟ فأجابه الحاخام جمليئيل: محرم عليك، أما الحاخام يشوع فقد أباح له ذلك. أليس مكتوبا ألا يدخل في كنف الرب من كان عامونيا أو مؤابيا؟ (انظر التثنية ٢٣: ٤). قال له الحاخام يشوع: أليس العمونيون والمؤابيون مكانهم؟ فقد جاء سنحريب ملك أشور وخلط الأمم؛ أي هل نعلم نحن اليوم من عموني ومن مؤابي؟ فملوك أشور قد خلطوا جميع الأمم ولم تحفظ الهويات الوطنية.

انتشرت شائعة في سنة ٧٠٥ قبل الميلاد بأن سرجون مات ولم يدفن واعتبرت جميع الشعوب المحيطة هذا الحدث نقطة ضعف عظيمة لأشور فاجتمعت على قلب رجل واحد للتمرد على الحكم الأشوري ولقد ضم ائتلاف المتمردين: صور وصيدا والفلستينيين،وحزقيا ملك يهوذا.

---

[1] مدينة تقع جنوب يافا.

كانت المهمة الأولى أمام سنحريب هي قمع التمرد في بابل وبعد أن نجح في هزيمة البابليين واصل في سنة ٧٠١ قبل الميلاد تجاه ائتلاف المتمردين في منطقتنا. ووصل أولا إلى منطقة صور وصيدا فأخضعهما ثم هبط جنوبا تجاه الفلستينيين بطول ساحل البحر المتوسط واستولى على فلسطين واستبدل الملك هناك ثم وصل إلى أرض يهوذا. ومن التي وقفت في طريقه؟ مدينة لاخيش المدينة الحصينة لمملكة يهوذا في السهل فلها أسوار عظيمة يمكن مشاهدتها اليوم أيضا في الحفريات. أسوار مبهرة للغاية لكنها لا تستطيع الصمود أمام أساليب حصار الأشوريين المتطورة.

**يصف "نقش لاخيش" الذي زين قصر سنحريب في نينوى هذا الحصار...**

صحيح. نقش رائع يصور حصار لاخيش وهو موجود اليوم في المتحف البريطاني وتوجد منه نسخ في متحف إسرائيل والجامعة العبرية. وهو يظهر كيف اخترق الأشوريون أسوار المدينة المحاصرة بآلاتهم الحربية كما يمكنك مشاهدة صورة السبي في زاوية النقش. أسرى من لاخيش يحملون أمتعتهم على أكتافهم ويسيرون الرجال أولا ومن ورائهم عربات تجرها الثيران يجلس فيها النساء والأطفال. وماذا تبقى من هذه الجماعة اليهودية في لاخيش[1]؟ لا شيء. فهم أيضا تم صهرهم في بوتقة الصهر الأشورية؛ حيث أرسلهم سنحريب إلى أحد الأماكن في مملكته الكبيرة ثم اختفوا تماما ولم يبق لهم أي ذكر. بعدها اقترب سنحريب من أورشليم وحاصرها. وهنا أريد أن أقول لك إنه لو استطاع سنحريب احتلال أورشليم ونفى سكانها لما كنا أنا وأنت نجلس هنا اليوم ونتحدث عن العهد القديم. لماذا؟ لأنه لن يكون هناك عهد قديم أو شعب يهودي فلا سبب لاحتمال نجاة سكان أورشليم بعد أن يدخلوا بوتقة الصهر هذه. ولو كان سكان لاخيش نجحوا في الصمود أمام سنحريب فماذا سيميز

---

[1] (تل الدوير حاليا) في منتصف الطريق بين مدينتي القدس وغزة.

سكان أورشليم عنهم؟ ولماذا سينجحون هم؟ إذن كانت سنة ٧٠١ قبل الميلاد سنة حرجة في تاريخ الشعب اليهودي. وبشكل مثير للدهشة لا يقوم الأشوريون باحتلال أورشليم وهذه حالة فريدة ونادرة فلم تكن هناك مدينة حاصرها الأشوريون في تلك الفترة ولم يحتلوها. وأورشليم فقط هي التي لم يحتلوها. فماذا حدث؟ لدينا في العهد القديم تفسيران لذلك: الأول أكثر واقعية ويقول: "וְשָׁמַע שְׁמוּעָה וְשָׁב אֶל אַרְצוֹ - فيسمع خبرا ويرجع إلى أرضه (الملوك الثاني ١٩: ٧)، ثم يحكي عن الذهب والفضة اللذين يقدمهما حزقيا لسنحريب (الملوك الثاني ١٨: ١٤-١٦). أما التفسير الثاني فيتحدث عن معجزة كبيرة حيث أتى ملاك الرب وضرب جيش أشور. ليس لدينا أي توثيق حول سبب امتناع سنحريب عن احتلال أورشليم لكن يحتمل أن تكون قد اندلعت ثورة أخرى أو إعداد لثورة في بابل. وسمع سنحريب بذلك فقلق للغاية لأنه موجود بجيشه في أماكن شتى بجوار الوطن والباليون لايزالون قادرين على لملمة أنفسهم حينها قرر إنهاء القصة هنا. ففرض معاهدة استسلام على حزقيا وأخذ منه الكثير من الذهب والفضة والجنود والإماء وعاد إلى نينوى. بهذه الطريقة نجت أورشليم، وهي فقط لأن بقية يهوذا كانت قد تخربت بحسب ما رواه النبي إشعياء عن يهوذا وأورشليم (١: ٧-٩):

"אַרְצְכֶם שְׁמָמָה, עָרֵיכֶם שְׂרֻפוֹת אֵשׁ; אַדְמַתְכֶם לְנֶגְדְּכֶם זָרִים אֹכְלִים אֹתָהּ וּשְׁמָמָה כְּמַהְפֵּכַת זָרִים. וְנוֹתְרָה בַת צִיּוֹן, כְּסֻכָּה בְכָרֶם; כִּמְלוּנָה בְמִקְשָׁה, כְּעִיר נְצוּרָה. לוּלֵי יהו־ה צְבָאוֹת הוֹתִיר לָנוּ שָׂרִיד כִּמְעָט כִּסְדֹם הָיִינוּ לַעֲמֹרָה דָּמִינוּ – بلادكم خربة، مدنكم محرقة بالنار، أرضكم تأكلها غرباء قدامكم، وهي خربة كانقلاب الغرباء. فبقيت ابنة صهيون كمظلة في كرم، كخيمة في مقثأة، كمدينة محاصرة. لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة."

يظهر تعبير دقيق عن هذه الفقرات في الكشف الأثري؛ فعندما تقوم بالحفر وتصل لطبقة سنة ٧٠٠ قبل الميلاد في كل منطقة سهل يهوذا وكذلك في جزء من مستوطنات الجبل ستجد شواهد على حدوث حريق عظيم؛ حيث قام بتدمير وحرق المستوطنات في يهوذا. وبقيت أورشليم كمظلة في الكرم، سدوم وعمورة من حولها، نجت هي وأصبحت أساس إعادة بناء المملكة في فترة متأخرة؛ مملكة يهوذا.

**أعتقد ، ولتصححني إن كنت مخطئا، أن البابليين، بخلاف الأشوريين، كانت لديهم سياسة مختلفة أثناء احتلالهم ليهوذا ونفيهم سكانها لأنه كما ذكرت أنت من قبل فإننا نجلس هنا اليوم ونتحاور عن العهد القديم مما يعني أننا نجونا ...**

صحيح جدا. لم يتبع البابليون سياسة بوتقة الصهر لا مع اليهود ولا مع الشعوب الأخرى. ففي عام ٥٨٦ قبل الميلاد حاصر البابليون أورشليم واحتلوها وأسروا آخر ملك فيها وهو صدقيا وفقأوا عينيه وقتلوه، حينها اكتشفو وجود بعض سكان البلاد. فلم يكن ذلك نفيا شاملا لكن أرسل البابليون عددا كبيرا من اليهود إلى المنفى ولم يقوموا بتفريقهم مثلما فعل الأشوريون ...

**لكن وطنوهم في تل أبيب.**

أجل، في منطقة مدينة تسمى تل أبيب، تل أبوبو، تل الطوفان (كلمة "أبوبو" الأكدية تشير إلى الطوفان)، وهناك في هذه المنطقة على نهر خابور قام بتوطينهم جميعا في المنطقة التي سميت يهوذا ويقيمون هناك بتكوين طائفة المنفيين من أرض يهوذا. وكان لديهم نبي اسمه حزقيال وكذلك زعماء روحيون آخرون. هكذا استطاعوا الحفاظ على هويتهم؛ فسياسة بوتقة الصهر كانت خاصة بالأشوريين ولم يتبع البابليون أو الرومان هذه السياسة لذلك نجح الإسرائيليون في الحفاظ على هويتهم نوعا ما، حتى بعد نفي بابل ومن بعده النفي الروماني؛

فالأسلوب الأشوري كان الأصعب من الناحية الثقافية والدينية بشكل لا يوصف. ولقد تنبأ سفر التثنية الذي ظهر في أورشليم في عصر يوشيا أي بعد أن تم نفي الأسباط العشرة واختفائهم من خريطة بني إسرائيل بنبوءة قاسية عندما تحدث عن النفي ففي إصحاح توبيخ في سفر التثنية، ذكر أنه إذا خرق الإسرائيليون العهد ولم يحافظوا على وصايا التوراة؛ ستحدث لهم أشياء مروعة. فنقرأ في سفر التثنية ٢٨: ٦٤: "וֶֽהֱפִֽיצְךָ֤ יהו־ה בְּכָל־הָֽעַמִּ֔ים מִקְצֵ֥ה הָאָ֖רֶץ וְעַד־קְצֵ֣ה הָאָ֑רֶץ וְעָבַ֨דְתָּ שָּׁ֜ם אֱלֹ֣הִים אֲחֵרִ֗ים אֲשֶׁ֧ר לֹא־יָדַ֛עְתָּ אַתָּ֥ה וַאֲבֹתֶ֖יךָ עֵ֥ץ וָאָֽבֶן – ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا أباؤك، من خشب وحجر". وتحققت هذه النبوء بالفعل مع أسباط إسرائيل العشرة لكن ليس مع منفيي يهوذا. فقد حافظوا كما ذكرنا على هويتهم ليس هذا فحسب بل تطهروا من الوثنية بسبب النفي.

**كان للنبي حزقيال دور كبير في تشكيل شخصية "اليهودي الجديد..."**

يحتمل أن يكون ذلك حزقيال مع توبيخاته القاسية. و عبر الأحبار (حازل) على أي حال عن هذه العملية بشكل تصويري للغاية عندما قالوا إن غريزة عبادة الأوثان قد زادت مثل أسد النار من بيت قدس الأقداس ثم زالت (التلمود البابلي יומא ,ס"ט ע"ב). أي أنه لم تكن هناك مشكلة في الوثنية منذ الخروج إلى الشتات في بابل وحتى العصر الفارسي ثم تلاشت. لقد تحدثت عن حزقيال لكن من المحتمل أنه كان هناك نبي آخر ساهم في هذه العملية وأعتمد هنا على مقال مهم لباحث يدعى مائير جروبر من جامعة بن غوريون بعنوان The Motherhood of God "أمومة الرب"، أشار جروبر إلى أن القسم الثاني من سفر إشعياء مؤلفه ليس هو إشعياء بن آموص لكنه، وضع في فترة الشتات مع بداية العودة إلى صهيون.

**هو ما نسميه إشعياء الثاني.**

أجل الثاني. ويعتقد بعض الباحثين أيضا أن هناك الثالث كذلك. ولن أخوض في هذه المسألة الآن. على أي حال فإن الإصحاحات التي تسمى "إشعياء الثاني" ليست كلام بن آموص الذي عاش في عصر حزقيا وسنحريب لكن في فترة متأخرة بكثير. ويقول جروبر بوجود صور نسوية وأمومية هنا، فعلى سبيل المثال يقول الرب في الإصحاح ٤٢: ١٤: "הֶחֱשֵׁיתִי מֵעוֹלָם אַחֲרִישׁ אֶתְאַפָּק כַּיּוֹלֵדָה אֶפְעֶה אֶשֹּׁם וְאֶשְׁאַף יָחַד – قد صمت منذ الدهر. سكت. تجلدت. كالوالدة أصيح. أنفخ وأنخر معا". أي يشبه الرب نفسه بالمرأة الوالدة التي تصيح وتنفخ وتنخر. أو في إشعياء ٦٦: ١٢-١٣: "כִּי כֹה אָמַר יהוה הִנְנִי נֹטֶה אֵלֶיהָ כְּנָהָר שָׁלוֹם וּכְנַחַל שׁוֹטֵף כְּבוֹד גּוֹיִם וִינַקְתֶּם; עַל־צַד תִּנָּשֵׂאוּ וְעַל בִּרְכַּיִם תְּשָׁעֳשָׁעוּ. כְּאִישׁ אֲשֶׁר אִמּוֹ תְּנַחֲמֶנּוּ כֵּן אָנֹכִי אֲנַחֶמְכֶם וּבִירוּשָׁלִַם תְּנֻחָמוּ – لأنه هكذا قال الرب: "هأنذا أدير عليها سلاما كنهر، ومجد الأمم كسيل جارف، فترضعون، وعلى الأيدي تحملون وعلى الركبتين تدللون. كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا، وفي أورشليم تعزون". تشبيهات الرضاعة، وحمل الرضيع والأم المعزية. ثم يقول جروبر: هذا شيء مثير فلم نسمع بمثل هذه التعبيرات والتشبيهات من قبل. وكما قلت من قبل فقد تم تصوير الرب كرجل حرب وكبطل حربي لكن ليس كأم ووالدة، وأم معزية، وهذا تشبيه جديد. وقد اقترح جروبر اقتراحا مهما للغاية فقال: ربما شعر النبي بهذا النقصان بالفعل، وبأن الإله ذكوري جدا وتنقصه كذلك رؤى أنثوية تستطيع النساء أن تنحاز إليها، وكذلك البعد الأمومي الذي يبحث عنه الرجال. لذلك تحدث باسم الرب بشكل نسوي وأمومي، لسد هذا النقصان. على أي حال الحقيقة هي أن مشكلة الوثنية شبه اختفت.

**اختفت عند المنفيين. وليس عندما يعودون إلى الأرض ويتحدون مع أبناء الشعب الذين بقوا هناك. لأن عزرا قد عمل كثيرا من أجل إبعاد النساء الغريبة.**

بالفعل تلاحظ في سفر عزرا وجود مشكلة بين إسرائيل والنساء الغريبة التي يحاربهن، لكن هل سمعت عند عزرا أو عند أنبياء آخرين من فترة العودة إلى صهيون مثل حجي وزكريا أي اتهام للشعب بعبادة الأوثان؟ كلا.

**أعتقد أن المرأة الغريبة التي تجيء إلى بيت الإسرائيلي لا تنادي بالضبط "أخرجن وشاهدن" طوال اليوم؛ فلقد أحضرت معها بالطبع العبادة التي كانت تقيمها في البيت، ومن بين ذلك التماثيل على ما يبدو ...**

أنا أقرأ أنبياء تلك الفترة، حجي وزكريا – الجزء الأول من سفر زكريا، الإصحاحات ١-٨، من تلك الفترة – أو سفر ملاخي، ولا أراهما يتهمان الشعب بعبادة الأوثان. هذه ليست المشكلة. فكما قال الأحبار (حازل) قد تلاشت غريزة عبادة الأوثان على ما يبدو. لكن النساء اللائي يكون الحديث عنهن لسن جميعا غرباء بالمفهوم الشامل. فإن تحدثنا على سبيل المثال عن السامريين أو عن قطاع من السكان عاش في عبر الأردن مثل أولئك الذين جاء منهم طوبيا العموني فهم ليسوا وثنيين بالمفهوم الخالص والشامل فلديهم تنويع لا يستطيع عزرا أن يمنحهم به "صكا" فهم غير وثنيين نهائيا لكن لديهم جوانب وثنية. وأنا أود الإسهاب بعض الشيء عن سكان السامرة. يحكى سفر الملوك أن الجماعات التي حضرت إلى البلاد بعد خلط السكان الذي قام به ملك أشور الذي تحدثنا عنه من قبل؛ قد تهودت رغما عنها من منطلق الخوف. فما معنى ذلك؟

**مكتوب في سفر الملوك. السكان الذين جاءوا إلى البلاد لم يخشوا الرب فأرسل عليهم الأسود التي افترستهم.**

صحيح. افترستهم الأسود، ثم نذكر أنهم أحضروا كاهنا من بيت إيل ليعلمهم شرائع رب البلاد. وبدأو في عبادة الرب لكنهم استمروا إلى جانب ذلك في عباداتهم الوثنية التي جلبوها معهم (الملوك الثاني ١٧: ٢٤-٣٣). لاحظ أن وثائق مهمة للغاية ظهرت في مصر بعد ثلاثمائة سنة يتحدث فيها الكاتب الذي كان

من نسل أولئك الذين نفاهم ملوك أشور إلى السامرة عن المعبودات البابلية، لأن جزءا كبيرا منهم جاء من بابل كما ذكرت. لكن في نفس الوقت يجلس هذا الكاتب في مصر ويشتاق كثيرا إلى بيت إيل وإلى معبد بيت إيل وإلى العجل الذهبي فيه. ويقول: "أود تقبيل عجل بيت إيل". هذا يذكرنا بفقرة من سفر هوشع ١٣: ٢: "זֹבְחֵי אָדָם עֲגָלִים יִשָּׁקוּן -ذابحو الناس يقبلون العجول". أي أنه كانت هناك عادة بين مؤمني بيت إيل يقبلون فيها العجل. وأنا أكرر وأقول إن العجل كان رمز الرب فهو ليس صورة للرب لكنه رمز لوجوده، مثل الكروبيم. أي أن هذا الرجل في مصر يجسد ما نطلق عليه نحن التوفيق بين العبادات، أي أن عقيدته تخلط بين عناصر الوثنية بعناصر العقيدة الإسرائيلية. ويمكنني تفهم مخاوف عزرا من ذلك. فقد جاء على رأس جماعة صغيرة للتطهير الديني، وكان يخشى من سيطرة هؤلاء السكان سواء كانوا يقيمون في السامرة أو عبر الأردن على جماعته والتأثير فيها. لكن عند التمعن في هذه الطائفة وما ورد في الأدب النبوي لتلك الفترة سنجد أن الوثنية لم تبدو مشكلة فنهج الحياة يقول أن شيئا ما قد حدث في بابل هناك.

حدث شيء آخر في بابل وكان رائعا وهو أن هذه الطائفة لم تصبح وثنية وانغمست فيها، لكن العكس فقد كانت لديها القوة الجاذبة التي جعلت الناس من البيئة الغريبة المحيطة من جيرانهم في بابل، يرغبون في مرافقتهم والانضمام إليهم. ونبدأ نسمع في تلك الفترة عن مصطلح "المرافقين" وهم الذين أرادوا مصاحبة الرب والانضمام إلى الشعب اليهودي. فعلى سبيل المثال في نفس القسم من سفر إشعياء نقرأ كلمات النبي عن أبناء الأغراب. وأقرأ في إشعياء ٥٦: ٦-٧: "וּבְנֵי הַנֵּכָר הַנִּלְוִים עַל יהו־ה לְשָׁרְתוֹ, וּלְאַהֲבָה אֶת שֵׁם יהו־ה לִהְיוֹת לוֹ לַעֲבָדִים; כָּל שֹׁמֵר שַׁבָּת מֵחַלְּלוֹ וּמַחֲזִיקִים בִּבְרִיתִי. וַהֲבִיאוֹתִים אֶל הַר קָדְשִׁי וְשִׂמַּחְתִּים בְּבֵית תְּפִלָּתִי, עוֹלֹתֵיהֶם וְזִבְחֵיהֶם לְרָצוֹן עַל מִזְבְּחִי, כִּי בֵיתִי בֵּית תְּפִלָּה יִקָּרֵא לְכָל הָעַמִּים – وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم

الرب ليكونوا له عبيدا، كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه، ويتمسكون بعهدي، آتي بهم إلى جبل قدسي، وأفرحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي، لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب". أي أن الرب يتطرق إليهم بشكل إيجابي رغم عدم قبولهم لوصايا اليهودية بشكل كامل، لكنهم يحافظون على السبت وإلى حد ما "يحافظون على عهدي". وربما كان المقصود هنا هو الختان وذلك غير واضح حيث لم يذكر صراحة. ويمنحهم المكان أيضا، أجل سأحضرهم إلى جبل القدس إلى أورشليم، وسأسعدهم، وستقبل محرقاتهم وذبائحهم على مذبحي لأن بيتي سيسمى بيت الصلاة لكل الشعوب.

**لم تكن هذه الفقرة لتمر اليوم بسهولة مثلما مرت حينها ...**

ذلك يتوقف على الشخص، لكن إشعياء الثاني كان لديه قبول ولم يكن عزرا ونحميا الممثلين الوحيدين لليهودية في تلك الفترة وكذلك إشعياء الثاني. وقال زكريا في نبوئته حيث تنبأ هو أيضا في فترة عودة صهيون في الإصحاح الثاني ١٤-١٥: "רָנִּי וְשִׂמְחִי בַּת צִיּוֹן כִּי הִנְנִי בָא וְשָׁכַנְתִּי בְתוֹכֵךְ נְאֻם יהו־ה – ترنمي وافرحي يا بنت صهيون. لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك. يقول الرب". ثم يواصل قلئلا "فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم، ويكونون لي شعبا". الكثير من الأمم سينضمون ويتصلون وسيصبحون شعب الرب، هو يفتح الباب ولا يخشى التنازل عن هذه الخصوصية "شعب الرب". ستنضم أمم كثيرة، ولم تنضم إليهم شعوب كاملة حقيقة، لكن كان هناك عدد غير قليل أعجبته العادات اليهودية ويوم السبت التي ذكرها إشعياء وهو ما يعد تجديدا عظيما فلم تكن هناك وحدة زمنية للأسبوع في العالم القديم.

يمكنني رسم هذه الصورة لك: جار لعائلة يهودية – حيث عاشوا بجوار مجموعات عرقية أخرى وكان من الممكن أن يكون الجار بابليا أو عمونيا منفيا

- يشاهد الإسرائيليين يتوقفون عن العمل في الحقل في أحد أيام الأسبوع ويمكثون في البيت وتتناول العائلة طعامها معا فاعتبر ذلك أمرا رائعا يسحره.

**وهل لم يكن لديهم مثل هذا التناوب؟ هل راحة اليوم السابع اختراعنا نحن؟**

الأسبوع ليس وحدة زمنية كونية فهذه الفكرة هي فوق الطبيعة وليست مرتبطة بتناوب فصول السنة أو الليل والنهار. كلا، لم يكن هناك يوم راحة أسبوعي. فلم يكن هناك يوم راحة أسبوعي في الحضارة الإنسانية قبل ظهور ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم لكن كانت هناك أعياد أما يوم راحة أسبوعي محدد فذلك تجديد مقرائي. وهو ما أعجب به الكثيرون في العصر التوراتي. بعدها نال إعجاب الناس في اليونان وروما طوال فترة الهيكل الثاني حتى تمرد باركوخبا الذي يعتبر نهاية هذه الحقبة تقريبا. وكانت النتيجة ظهور حركة كبيرة جدا من التهود، ليس تهودا بالمفهوم الكامل لكن تبني للعادات اليهودية. كانت بدايته في الشتات في بابل. فعندما سكن الإسرائيليون أرضهم لم يكن لديهم احتكاك كبير بالأمم الأخرى؛ أما حالة الشتات التي كانت تسكن فيها الطائفة اليهودية بين الطوائف الأجنبية فقد سمحت فجأة بالتعرف على أفكار ديانة بني إسرائيل اليهودية التي كانت لها قوة تأثير وجذب وهو ما أدى إلى ظهور حركة التهود.

**لكن إذا نظرت إلى عزرا ونحميا فيبدو لي أن حزقيال قد أثر عليهما أكثر من انفتاح إشعياء الثاني في الفقرات التي قرأتها الآن عن الأغراب الذين رافقوا الرب لأنهم عند عودتهم إلى الوطن لم تترك كل الكلمات اللبرالية الجميلة التي قالها هؤلاء الأنبياء انطباعا عليهم؛ حيث قاموا بإبعاد كل النساء الغريبة، حيث لا نرغب في انضمامكن إلينا ولا نرغب فيكن.**

هذا صحيح، وصوتهم مسموع لكنهم لم يكونوا الوحيدين. فكما قلت مكث زكريا هنا في البلاد وشاهد هذه الظاهرة من منظور إيجابي للغاية فقد مكث في

أورشليم وكما قرأت من قبل فإنه يتحدث عن الأمم الكثيرة التي صاحبت الرب. ويؤكد في موضع آخر على هذه الرؤية ويصفها بصورة جميلة. وهكذا نقرأ في سفر زكريا الإصاح ٨: ٢٠-٢٣:

"כֹּה אָמַר יהו־ה צְבָאוֹת :עֹד אֲשֶׁר יָבֹאוּ עַמִּים וְיֹשְׁבֵי עָרִים רַבּוֹת וְהָלְכוּ יוֹשְׁבֵי אַחַת אֶל אַחַת לֵאמֹר ,נֵלְכָה הָלוֹךְ לְחַלּוֹת אֶת פְּנֵי יהו־ה ,וּלְבַקֵּשׁ אֶת יהו־ה צְבָאוֹת אֵלְכָה גַּם אָנִי .וּבָאוּ עַמִּים רַבִּים וְגוֹיִם עֲצוּמִים לְבַקֵּשׁ אֶת יהו־ה צְבָאוֹת בִּירוּשָׁלָםִ וּלְחַלּוֹת אֶת פְּנֵי יהו־ה .כֹּה אָמַר יהו־ה צְבָאוֹת ,בַּיָּמִים הָהֵמָּה אֲשֶׁר יַחֲזִיקוּ עֲשָׂרָה אֲנָשִׁים מִכֹּל לְשֹׁנוֹת הַגּוֹיִם וְהֶחֱזִיקוּ בִּכְנַף אִישׁ יְהוּדִי לֵאמֹר נֵלְכָה עִמָּכֶם כִּי שָׁמַעְנוּ אֱלֹהִים עִמָּכֶם – هكذا قال رب الجنود: ستأتي شعوب بعد، وسكان مدن كثيرة، وسكان واحدة يسيرون إلى أخرى قائلين: لنذهب ذهابا لنرتضي وجه الرب ونطلب رب الجنود. أنا أيضا أذهب فتأتي شعوب كثيرة وأمم قوية ليطلبوا رب الجنود في أورشليم. وليرتضوا وجه الرب. وهكذا قال رب الجنود: في تلك الأيام يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأمم يتمسكون بذيل رجل يهودي قائلين: نذهب معكم لأنن سمعنا أن الله معكم".

بذلك كان لزكريا رؤية مختلفة تماما عن التقارب مع الشعوب الأخرى، بخلاف عزرا ونحميا. وليس هو الوحيد فنجده في سفر راعوث والذي تم وضعه في نهاية العصر الفارسي والقصة في السفر هي أيضا قصة انفتاح وقبول الغريب. فهي القصة التي تقدم راعوث على أنها امرأة جديرة بالاحترام رغم اعتناقها اليهودية في المجلس الديني لبيت لحم وكل ماءطب منها – إذا كان كان قدءطب – هو القول شعبك شعبي وإلهك إلهي (راعوث ١: ١٦)، وتم قبولها في المجتمع اليهودي. ليس قبولا فقط لكنها فازت بأن أصبحت أما لنسل خرج منه الملك داود. غير أن موقف عزرا ونحميا كان الانغلاق خشية التأثير الخارجي لكن هناك من أعتقد خلاف ذلك فموقف عزرا ونحميا لم يكن الصوت الوحيد،

فقد كان هناك صوت آخر منفتح ولديه رغبة في القبول والإحساس بأن لدينا مهمة هنا وتم الاستماع إليه بالطبع.

أريد أن أذكر شيئا بخصوص موضوع الرسالة. لقد تحدث دافيد بن غوريون دائما عن النور للأمم. فماذا رأى في تعبير "نور للأمم"؟ وذلك موضوع للنقاش في سياق آخر؛ لكني أود أن أسأل من أين أتى بهذا التعبير وماذا كان معناه الأصلي في العهد القديم؟ لقد تم اقتباس هذا التعبير أيضا من نبوءة إشعياء الثاني الذي قال عن عبد الرب أن يكون نورا للأمم (٤٢: ٦، ٤٩: ٦). ماذا يعني "نور الأمم"؟ مقصده واضح: إنها رسالة دينية تعليمية هدفها إبعاد ظلم الوثنية وتمكين الأمم من رؤية نور الإيمان بالله الواحد. وكثير من نبوءات القسم الثاني من سفر إشعياء موجهة لهذا الغرض.

فنجد التركيز الأكبر في القسم الثاني من سفر إشعياء على العقيدة التوراتية. ولقد تحدثنا في العصر القديم عن ضرورة عبادة الرب بشكل حصري: "لا يكن له آلهة أخرى أمامي" (الخروج ٢٠: ٢). أي لا يقولون بعدم وجود آلهة أخرى لكن محرم عليك عبادة المعبودات الأخرى أمامي، أو معي. وكذلك التحريم الذي تحدثنا عنه كثيرا من عمل التماثيل والصور. ويركز إشعياء الثاني على موضوع المعبودات الآخرى فنسمع عنده صيغ توحيدية خالصة وواضحة جدا. فعلى سبيل المثال في الإصحاح ٤٤ أنه يسخر بشكل تصويري مثير للإعجاب من عبادة الأوثان بعد أن يتجادل بشدة حول الوثنية. وأقرأ من الفقرة ١٤ وما تلاها:

"לִכְרָת לוֹ אֲרָזִים וַיִּקַּח תִּרְזָה וְאַלּוֹן וַיְאַמֶּץ לוֹ בַּעֲצֵי יָעַר; נָטַע אֹרֶן וְגֶשֶׁם יְגַדֵּל. וְהָיָה לְאָדָם לְבָעֵר, וַיִּקַּח מֵהֶם וַיָּחָם אַף יַשִּׂיק וְאָפָה לָחֶם; אַף יִפְעַל אֵל וַיִּשְׁתָּחוּ, עָשָׂהוּ פֶסֶל וַיִּסְגָּד לָמוֹ. חֶצְיוֹ, שָׂרַף בְּמוֹ אֵשׁ, עַל חֶצְיוֹ בָּשָׂר יֹאכֵל, יִצְלֶה צָלִי וְיִשְׂבָּע אַף יָחֹם וְיֹאמַר הֶאָח, חַמּוֹתִי רָאִיתִי אוּר. וּשְׁאֵרִיתוֹ, לְאֵל עָשָׂה לְפִסְלוֹ; יִסְגָּד לוֹ וְיִשְׁתַּחוּ וְיִתְפַּלֵּל אֵלָיו, וְיֹאמַר הַצִּילֵנִי כִּי אֵלִי אָתָּה. לֹא יָדְעוּ וְלֹא יָבִינוּ כִּי טַח

מֵרְאוֹת עֵינֵיהֶם מֵהַשְׂכִּיל לִבֹּתָם .וְלֹא יָשִׁיב אֶל לִבּוֹ וְלֹא דַעַת וְלֹא תְבוּנָה לֵאמֹר ,חֶצְיוֹ שָׂרַפְתִּי בְמוֹ אֵשׁ וְאַף אָפִיתִי עַל גֶּחָלָיו לֶחֶם ,אֶצְלֶה בָשָׂר וְאֹכֵל ;וְיִתְרוֹ לְתוֹעֵבָה אֶעֱשֶׂה ,לְבוּל עֵץ אֶסְגּוֹד – قطع لنفسه أرزا وأخذ سنديانا وبلوطا، واختار لنفسه من أشجار الوعر. غرس سنوبرا والمطر ينميه. فيصير للناس للإيقاد. ويأخذ منه ويتدفأ. يشعل أيضا ويخبز خبزا، ثم يصنع إلها فيسجد! قد صنعه صنما وخر له. نصفه أحرقه بالنار. على نصفه يأكل لحما. يشوي مشويا ويشبع! يتدفأ أيضا ويقول: بخ! قد تدفأت. رأيت نارا. وبقيته قد صنعه إلها، صنما لنفسه! يخر له ويسجد ويصلي إليه ويقول: نجني لأنك أنت إلهي. لا يعرفون ولا يفهمون لأنه قد طمست عيونهم عن الإبصار وقلوبهم عن التعقل. ولا يردد في قلبه وليس له معرفة ولا فهم حتى يقول: نصفه قد أحرقت بالنار، وخبزت أيضا على جمره خبزا، شويت لحما وأكلت أفأصنع بقيته رجسا، ولساق شجرة أخر." أي أنه يقول: ما هذه الوثنية؟ أنت تقطع جذع شجرة ما فتشوي اللحم وتتدفأ على نصفها والنصف الآخر تصنعه تمثالا فإذا به إلها تسجد له. أي ضلال هذا. إذن ما هو دور النبي وما هو دور إسرائيل؟ أن تصبح نورا للأمم أن تنير لهم أبصارهم وتقول لهم: انظروا إن ما تقومون به ليس بالأمر الحكيم. أي أن تفسير أن تصبح نورا للأمم هو أن تظهر لهم العقيدة الصحيحة.

أريد أن أقص عليك حكاية. عندما بدأت في العمل في أطروحة الدكتوراه بدأت أكتب عن التلمود الأورشليمي وبعدها بسنتين توقفت وانتقلت إلى العهد القديم فمشرفي في قسم العهد القديم البروفسور جرينبرج أرسلني للاستماع إلى محاضرة عن الديانة الكنعانية عند البروفسور جرينفيلد الذي كان أكبر متخصص في المجال. وذات يوم سافر جرينفيلد لحضور مؤتمر وطلب من البروفسور حاييم تدمور الذي كان أكبر المتخصصين في بلاد الأشوريين في إسرائيل وهو من أسس ذلك العلم فيها؛ أن يلقي محاضرة بدلا منه.

قرأ تدمور هذا الإصحاح من سفر إشعياء وقال: ماذا! إشعياء لا يفهم شيئا! ففهمه للديانة البابلية سطحي للغاية. ما تلك القطع الخشبية التي يسخر منها إشعياء؟ فهذه الشجره يغسلونها ويقومون بتطهيرها ثم هناك طقوس طويلة ومفصلة ثم يقومون بشكل طقسي بفتح فم التمثال ويدخلون الألوهية فيه. هذه ليست شجرة إنها الألوهية السماوية التي تحل بالتمثال. أجل، زعم تدمر أن النبي لم يفهم عالم الوثنية. وفي حقيقة الأمركان لقويفمان رأي مشابه قبله.

**بناء على ذلك، فإنه إذا جاء شخص من كوكب آخر ونظر إلى الديانتين، فسيقول هاهم الإسرائيليون يصنعون عجلا يرمز إلى الألوهية ويقدمون له القرابين وكذلك يفعل الأشوريون نفس الشيء مع الشجرة ...**

أوافق أنه من أجل التعرف على ثقافة دينية معينة وتقديرها جيدا عليك دراستها، ومن الممكن دراسة كل شيء. وإشعياء الثاني لم يأخذ دورة تعليمية في أسس ديانة بلاد النهرين، وهذا واضح.

**نحن نلاحظ أيضا وجود فرق كبير جدا بين إشعياء الأول الذي يعظ من أجل إعادة ملك بيت داود، وبين إشعياء الثاني الذي لا يذكر داود نهائيا. فهو يتحدث عن ما تحدثنا عنه في عصر القضاة، عن ملكوت السماء.**

صحيح جدا

**ليس لديه أي ملك بشري.**

مهم جدا ما تقوله. وقبل أي شيء، أنا أؤيدك في ذلك؛ فإشعياء الثاني يعود حقا إلى أفكار ملكوت السماء التي كانت سائدة في عصر القضاة وعندما يذكر داود مرة واحدة ووعود الرب له فذلك مهم للغاية لأنه يتوجه إلى كل الإسرائيليين، أي إلى اليهود في بابل ويقول لهم: لكم أنتم أعطي مراحم داود الصادقة: "הַטּוּ אָזְנְכֶם וּלְכוּ אֵלַי שִׁמְעוּ וּתְחִי נַפְשְׁכֶם וְאֶכְרְתָה לָכֶם בְּרִית עוֹלָם חַסְדֵי דָוִד הַנֶּאֱמָנִים – أميلوا آذانكم وهلموا إلي. اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع

لكم عهدا أبديا مراحم داود الصادقة." (إشعياء ٥٥: ٣). وتفسير ذلك أن مراحم داود قد قدمت لجميع الشعب فهو يتنازل تماما عن التطلع إلى ملكوت السماء ويعود إلى فكرة ملكوت السماء، كما كان في عصر القضاة. أي لدينا هنا عودتين لعصر القضاة: الأولى؛ انتقاده للوثنية. والثانية؛ ليس لديه أي تطلع إلى تجديد ملك بيت داود. "مراحم داود الصادقة" – ديمقراطية للجميع. مع هذا لدينا هنا شذوذ في اتجاه آخر لا يناقض هذا الإبطال لملك بيت داود وربما يعضده: فهو يستخدم وصف المسيح المحفوظ في التراث المقرائي لملك بيت داود. لكن لمن ينسب هذه الصفة بشكل مفاجئ جدا؟ لقورش! الإصحاح٤٥: ١: "כֹּה אָמַר יהו־ה לִמְשִׁיחוֹ לְכוֹרֶשׁ אֲשֶׁר הֶחֱזַקְתִּי בִימִינוֹ לְרַד לְפָנָיו גּוֹיִם וּמָתְנֵי מְלָכִים אֲפַתֵּחַ לִפְתֹּחַ לְפָנָיו דְּלָתַיִם וּשְׁעָרִים לֹא יִסָּגֵרוּ – هكذا يقول الرب لمسيحه، لقورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما، وأحقاء ملوك أحل، لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب لا تغلق". والمقصود هنا على ما يبدو هو الطريقة التي نجح بها قورش في احتلال مدينة بابل بدون حرب.

كان نابونيدوس آخر ملوك بابل وهو من الأنصار المتشددين لسين إله القمر، إله حاران. وكانت أمه كاهنة في معبده في حاران، وحاول فرض الإيمان بإله القمر على بابل.

**محل الإله مردوخ.**

أجل، محل الإله مردوخ. فقد ألغى طقوس مردوخ في معبده الرئيس في مدينة بابل وفرض على الكهنة إقامة الطقوس لسين. كما يقوم بشيء آخر غريب للغاية لا يزال هناك جدل حول ملابساته؛ حيث ترك بابل وخرج في رحلة طويلة جدا لشبه الجزيرة العربية ومكث في واحة تيماء لفترة طويلة، حوالي عشر سنوات وخلف ابنه بلشصر حاكما على بابل.

وعندما جاء قورش واقترب من مدينة بابل قام كهنة مردوخ الذين يكرهون نابونيدوس ...

**بتسليمه المفاتيح ...**

بالضبط، سلموه مفاتيح المدينة. وفتحوا له البوابات ودخلها بدون أي مقاومة. وهذا تجسيد للعبارة "لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب لا تغلق". ثم يواصل النبي قائلا: "וְנָתַתִּי לְךָ אוֹצְרוֹת חֹשֶׁךְ, וּמַטְמֻנֵי מִסְתָּרִים, לְמַעַן תֵּדַע כִּי אֲנִי יהו־ה הַקּוֹרֵא בְשִׁמְךָ אֱל־הֵי יִשְׂרָאֵל. לְמַעַן עַבְדִּי יַעֲקֹב וְיִשְׂרָאֵל בְּחִירִי; וָאֶקְרָא לְךָ בִּשְׁמֶךָ, אֲכַנְּךָ וְל־א יְדַעְתָּנִי – وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابيء لكي تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل. لأجل عبدي يعقوب وإسرائيل مختاري، دعوتك باسمك لقبتك وأنت لست تعرفني". لدينا هنا صورة واضحة وقاطعة للتوحيد: "אֲנִי יהו־ה וְאֵין עוֹד זוּלָתִי אֵין אֱל־הִים; אֲאַזֶּרְךָ וְל־א יְדַעְתָּנִי. לְמַעַן יֵדְעוּ מִמִּזְרַח־שֶׁמֶשׁ וּמִמַּעֲרָבָה, כִּי אֶפֶס בִּלְעָדָי; אֲנִי יהו־ה וְאֵין עוֹד. יוֹצֵר אוֹר וּבוֹרֵא חֹשֶׁךְ, עֹשֶׂה שָׁלוֹם וּבוֹרֵא רָע; אֲנִי יהו־ה עֹשֶׂה כָל אֵלֶּה – أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي. نطقتك وأنت لم تعرفني. لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري أنا الرب وليس آخر أنا الرب وليس آخر. مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه". وليس "ל־א יִהְיֶה לְךָ אֱל־הִים אֲחֵרִים עַל פָּנָי – ولا يكن آلهة أخرى أمامي" وكذلك ليس "מִי כָמֹכָה בָּאֵלִם יהו־ה - من مثلك بين المعبودات يا رب" (الخروج ١٥: ١١) فذلك رفض تام لوجود قوة إلهية أخرى في العالم. ومن هذا المنطلق ولأنه هو الإله الوحيد الذي يصنع كل شيء وهو مصدر كل شيء يقول إشعياء إنه يخلق النور وكذلك الظلمة، ويصنع السلام، ويخلق الشر. هو يخلق الشر، ومن غيره؟ هو فقط، لذلك فإذا كان هناك شر، فهو خالقه.

**من المثير أن هذه الفقرة مختلفة بعض الشيء في نص الصلاة "يصنع السلام ويخلق كل شيء"، وليس "يصنع السلام ويخلق الشر..."**

أنت محق، فالأحبار (حازل) لم يحبوا هذه الصيغة، وعندما أدخلوا هذه الفقرة في الصلاة، خففوا منها وقالوا صانع النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق

كل شيء. غير أن النبي إشعياء قال: خالق الشر. وهنا تقبل ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم في حقيقة الأمر الصيغة التي كنت سأقول عنها الأنقى والأدق وهي الرفض التام لوجود قوى إلهية غير الرب.

والسؤال المهم الذي لا نستطيع تقديم إجابة شافية له نظرا لتوجيه الحديث إلى قورش هو: هل يرتبط هذا التأكيد الخاص على صانع النور وخالق الظلمة وصانع السلام وخالق الشر بالحوار الديني مع قورش. وما الهدف من وراء ذلك؟ نحن نعلم أن الديانة الفارسية هي الزرادشتية، ديانة زرادشت، كما نسميها؛ قائمة على التمييز الأساسي بين قوتين إلهيتين: القوة الإيجابية وهي "أهورامزدا" المرتبطة بالنور والخير، وفي مقابلها القوة السلبية، "أهريمان"، المرتبطة بالظلام والشر. وجوهر الديانة الفارسية هو مطالبة المؤمن بالإكثار من النور والخير في العالم وفي ذلك دعم لأهورامزدا في صراعه الكوني ضد أهريمان. وهنا يطرح سؤالان: الأول؛ متى عاش زرادشت مؤسس هذه الديانة؟ والثاني؛ لا نعرف إن كان قورش نفسه مؤمنا بهذه الديانة، لكننا نعلم ذلك بكل تأكيد عن داريوس الذي جاء من بعده. أما عن قورش نفسه فليست لدينا مثل هذه المعلومات. فإن كان مؤمنا حقا بالزرادشتية حينها ستأخذ هذه النبوءة لونا جديدا، لأننا لدينا هنا جدال مباشر معه في محاولة لإقناعه بعدم وجود قوتين متناقضتين لكن واحدة فقط تضم كل هذه المتناقضات فتشمل النور والظلمة والخير والشر.

على أي حال – وأنا أتمسك هنا بما قلته وأتفق معك تماما – نحن بصدد نهضة (رنيسانس) لعصر القضاة عبر رفض الملكية الإسرائيلية في الحرب الشاملة ضد الوثنية في تنقية وتطهير فكرة الإله الواحد. وبهذا المفهوم تكتمل الدائرة عندما يسمح خراب الهيكل ونهاية الملكية ونهاية ملك بيت داود بالعودة إلى ما أسميته عصر ازدهار ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم؛ عصر القضاة.

من الممتع حقا مشاهدة إشعياء الثاني يعود إلى العصر الذهبي للشعب الإسرائيلي، بل ويطوره عبر التركيز على بشارة التوحيد.

الحوار الرابع عشر

# نشأة العهد القديم

**بروفسور! ذكرنا في الحوار الأخير إشعياء الثاني وجدله مع قورش حول سمو الإله فوق الطبيعة فالرب بحسب إشعياء هو الذي خلق النور والظلمة وصنع السلام وخلق الشر. وقلت إن في ذلك رفض تام لوجود أي قوة إلهية أخرى في العالم في مقابل الديانة الزرادشتية التي يحتمل أن كان قورش من معتنقيها؛ أي إننا نجد هنا توحيدا خالصا. ولدي سؤالان: الأول: من هو إشعياء الثاني؟ لقد ذكرت إنه عاش في فترة متأخرة بكثير عن عصر إشعياء الأول وحزقيا، فهل هناك تخمينات حول زمن وجوده؟ ومن هو؟ وهل كان شخصية كهنوتية؟ أم كان نبيا تنبأ بدون اسم؟ السؤال الثاني: من أثّر عليه؟ وممن استمد أفكاره؟ وإن كان عاش كما قلت في فترة أكثر تأخرا بعد إشعياء بن آموص "الأول" فربما يكون قد تأثر بإرميا؟ فهل يمكن محاولة حل هذه الأحجية؟**

جزء من هذه الأحجية لا يمكننا حله؛ فنحن لا نعلم اسمه فهو نبي مجهول تخفى في رداء إشعياء بن آموص وواصل نبوءته. واستمد الكثير من إشعياء بن آموص لكن من المعلوم أنه عاش في فترة أكثر تأخرا. عمل قورش في سنة ٥٣٨ قبل الميلاد وعاش إشعياء الثاني قبل ذلك التاريخ بمائتي سنة؛ لذلك فهو ليس نفس الشخص، وليس نفس الفترة، لكنه استمد أفكارا وتعبيراتٍ غير قليلة من إشعياء بن آموص. قد أشرت إلى إرميا فقد عرف سفر إرميا بالفعل كما أخذ منه أفكارا وتعبيرات وطورها؛ لكن تجديده الرئيس هو العرض الواضح والصريح للوحدانية التوراتية في الرفض المطلق للآلهة الأخرى غير يهوه. وقد عاش في بابل في عهد إعلان قورش؛ فهل عاد إلى أورشليم مع العائدين، أم لا؟

هذا سؤال تتم مناقشته في عالم بحث العهد القديم. وأما ما يخص موضوعنا المهم لنا حقا فهي المقولة الجديدة والواضحة عن الوجود الوحيد ليهوه كخالق كل شيء. خالق النور والظلمة، صانع السلام وخالق الشر. وكما هو مكتوب في الفقرة: "إله واحد خالق كل شيء ولا أحد غيره". وهذه مقولة، تكمل عملية طويلة جدا قمنا باستعراضها لتطور ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم من أسسها الأولى. وسأقوم هنا بإيجاز ما تحدثنا عنه.

لقد بدأنا قصتنا بعام ١٥٠٠ قبل الميلاد تقريبا، في الوقت الذي احتل فيه الفرعون تحتمس الثالث أرض كنعان، ونجد في قوائم حملته جماعة تسمى يعقوبئيل تسكن حوران. كانت هذه بدايتنا. وتفسير الاسم يعقوبئيل هو: الله يحفظ، يحمي، يراقب، يكون قريبا. فهو يحتوي على العنصر «إيل» (الرب)، ولم يكن هذا الاسم معروفا في تلك الفترة في منطقة الحوران وآرام وكنعان. فإيل هو رأس مجمع المعبودات الكنعاني. إذن، كانت هذه على ما يبدو الألوهية الأساسية لتلك الجماعة التي تسمى يعقوبئيل.

احتل تحتمس الثالث ،مد نا في منطقة الحوران وجعلها مصدرا لجمع الجزية لخدمة المعابد المصرية ويبدو أنه لهذا السبب هبطت مجموعة من جماعة يعقوبئيل في حوران إلى الجنوب ووصلت إلى أرض أدوم، وهؤلاء هم أبناء يعقوبئيل في أرض أدوم، الموثقون في قائمة رمسيس الثاني بعد ذلك التاريخ بمائتي سنة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وكما يتضح من تلك القائمة فقد كانوا محاطين بالأدوميين الذين عبدوا الإله "قوس". لكن بلاد أدوم كانت متعددة الديانات والثقافات؛ وإلى جانب الأدوميين الذين عبدوا المعبود "قوس" كان يوجد أيضا المديانيون والقينيون الذين عبدوا الإله "ياهو".

وتسمي الكتابات المصرية هذه المنطقة أدوم التي تقع بجوار سعير "أرض الشاسو ياهو". إذن فقد سكن رجال يعقوبئيل الذين نزلوا إلى الجنوب بالقرب

من "أرض الشاسو ياهو" وقبلوا بشكل ما – إذا أخذنا التعبير التوراتي من مكان آخر – "قانون إله هذه البلاد". واتخذوا إله هذه الأرض وهو "ياهو" إلها لأنفسهم؛ لأنهم جاءوا الآن إلى أرض "ياهو". لدينا هنا تقابل مع العملية التي تحدثنا عنها مع حالة الهكسوس في مصر أولئك الكنعانيون الذين جاءوا إلى مصر وكان بعل إلههم الرئيسي – إله العواصف، فجاءوا إلى مصر وسألوا من هو إله العواصف لديكم؟ ست؟ إذن سنعبد "ست" نحن أيضا. وأنا أصف هنا عملية مشابهة من زاوية معينة. لقد جاءوا من يعقوبئيل في حوران مع "إيل" كإلههم الرئيس ثم التقوا في أرض الشاسو ياهو بالإله "ياهو"، وقالوا: "الآن هو إلهنا" وماذا عن "إيل" فإيل وياهو هما نفس الإله. بالفعل الاسم"إيل" في العهد القديم والاسم "ياهو" أو «يهوه» لفظ الجلالة، يشيران إلى كيان إلهي واحد. فالإله ياهو عند المديانيين له صفة فريدة: فهو الإله الغيور الذي لا يحتمل وجود آلهة أخرى. وتتبنى الجماعة الجنوبية ليعقوبئيل هذه الحزمة اللاهوتية عند وصولها إلى أرض أدوم. لكن عندما تقول "إله غيور" فإلى ماذا يشير ذلك؟ إلى وجود آلهة أخرى؛ فهو مثل الرجل الغيور الذي يقول لامرأته: لا تنظري إلى أي رجل آخر حولك "לֹא יִהְיֶה לְךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים עַל פָּנָי - لا يكون لك إلها آخر أمامي" (الخروج ٢٠: ٢). أي إن المعبودات الأخرى موجودة لكنها ليست لك فلا تعبدها ومحرم عليك عبادتها، ومحرم عليك صنع تمثال وصورة أو ما شابه ذلك . هذه هي المرتبة الأولى من التوحيد الإسرائيلي التي توحالرب وتسمو به فوق كل المعبودات "מִי-כָמֹכָה בָּאֵלִם יְהוָה - من مثلك بين المعبودات يا رب" (الخروج ١٥: ١١).

ننتقل الآن عبر طريق طويل من مئات السنين حتى نصل إلى حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد، إلى عصر إشعياء الثاني، إلى المرتبة الثانية. فالإله ليس غيورا ولا يوجد تحريم على غرار "לֹא יִהְיֶה לְךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים עַל פָּנָי - لا يكن لك آلهة

أخرى أمامي"، لكن لدينا هنا إدراك بعدم وجود آلهة أخرى في العالم. فهو إله واحد لا شريك له.

**لقد تخطيت سيدنا موسى وهذا أمر جلل ...**

تخطيت سيدنا موسى، صحيح. وأختلف هنا مع باحث عظيم أعمل بالصدفة في القسم المسمى على اسمه في الجامعة العبرية وهو يحزقيال قويفمان. فديانة بني إسرائيل في عصر التوراة عند قويفمان تبدأ في الحقيقة مع موسى؛ فموسى هو الذي بشر بني إسرائيل بهذه العقيدة بالإله يهوه. وذلك عند قويفمان أول عمل أصيل للأمة الإسرائيلية.

**أما بالنسبة لك فهي عملية متطورة فلدينا هنا نوع من التطور التدريجي.**

أنا أعتمد على النقوش المصرية، فقبل موسى بمائة عام كان الإله يا هو معروفا في أرض مديان وسعير وعبده القينيون-المديانيون في أرض الشاسو ياهو. ومعنى الاسم "יהוה - يهوه" في تفسير جويطاين الذي آخذ به هو الإله الغيور "اسمه الغيور"، وأن المؤمنين به لا يعبدون الأوثان بل يحطمونها وهو ما قام به المديانيون القينيون كما هو واضح من الاكتشافات الأثرية المختلفة.

في الحقيقة لو أخذت الوصايا الأولى من الوصايا العشر ستجد أن أول ظهور للمباديء الدينية المجسدة فيها كان موجودا قبل موسى وفي خارج حدود إسرائيل. **فقد كانت عبادة الإله الواحد – ياهو - موجودة عند المديانيين القينيين** وكذلك تحريم صنع التماثيل على هيئة البشر.

أريد العودة الآن إلى إشعياء الثاني الذي أكمل وطور العملية التوحيدية والقول إنه على الرغم من أننا غير قادرين على تحديد السنوات التي عاش فيها بدقة إلا أننا نعلم أن ذلك كان يقرب من إعلان كورش تقريبا.

**ونظرا لأن محرري العهد القديم أدخلوه في متن النص، فيبدو أنه كان ذا شأن. وأعتقد أن الأحبار (حازل) لم يدخلوا أي متنبيء آخر في العهد القديم ...**

كلا. بالطبع لا. فنبوءة إشعياء الثاني نبوءة رائعة ذات قوة عظيمة. لكنه لا يكشف لنا أي شيء عن حياته الشخصية فيظهر متخفيا بالفعل في رداء إشعياء الأول. وهناك جدل كبير بالنسبة للإصحاحات الأخيرة من السفر بداية من الإصحاح ٥٦ وحتى ٦٦ وحول ما إذا كانت تخصه. فيقول بعض الباحثين إن بها موضوعاتٍ معينة وطابعا معين، وإن نبيا آخر هو الذي قالها أطلقوا عليه "إشعياء الثالث". يقول قويفمان إن كل الإصحاحت من الإصحاح الأربعين وما بعده هي لذلك النبي، غير أن بعضها كتب عندما كان لايزال في بابل ثم انضم بعدها إلى المنفيين الذين عادوا إلى البلاد؛ لذلك فالجو العام في الإصحاحات الأخيرة مرتبط أكثر بالهيكل. والإصحاح ٥٦ وما بعده تتحدث عن الهيكل: "וְנָתַתִּי לָהֶם בְּבֵיתִי וּבְחוֹמֹתַי יָד וָשֵׁם טוֹב מִבָּנִים וּמִבָּנוֹת ...וַהֲבִיאוֹתִים אֶל הַר קָדְשִׁי ,וְשִׂמַּחְתִּים בְּבֵית תְּפִלָּתִי עוֹלֹתֵיהֶם וְזִבְחֵיהֶם לְרָצוֹן עַל־מִזְבְּחִי – إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نصبا واسما أفضل من البنين والبنات ... آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي" (٥٦: ٥،٧). وكما ذكرنا فهناك باحثون يزعمون أن الإصحاحات الأخيرة من السفر هي لنبي آخر "إشعياء الثالث" وأصدقك القول إنه ليس عندي رأي قاطع في هذا الأمر؛ ولقد تعمقت فيه كثيرا لكني لم أتوصل إلى استنتاج واضح، والأسئلة هنا معقدة جدا.

**يحل الأحبار (حازل) هذه المسألة بسهولة كبيرة. فقد تنبأ وعاش في عصر حزقيا، لكنه تنبأ عن الخراب وعن السبي البابلي.**

لاحظ أن الاختلاف بينه وبين إشعياء الأول ليس فقط في حقيقة أنه يتحدث عن فارس وعن قورش، فالقسم الأول يعرض لواقع أشور، وحتى مفرداته اللغوية مختلفة تماما. وكل قسم له لغته الخاصة، فضلا عن اختلاف التأكيدات والمشكلات والأسئلة في القسم الثاني عن مثيلاتها في القسم الأول. الحقيقة أن أبراهام بن عزرا المفسر اليهودي الذي عاش في العصور الوسطى قد أشار إلى هذه الاختلافات، فقد سبق نقد العهد القديم بمفاهيم كثيرة. وإذا قرأت ما كتبه بن عزرا عن إشعياء ستشعر إنه يشير إلى أن القسم الثاني ليس لنفس النبي، ولا أرى في ذلك أي مساس بأسس العقيدة. والسؤال المهم هو ماذا يُعلِّمنا إشعياء الثاني، وأي أفكار يجددها لنا؟ فهو يختلف مع إشعياء الأول في نقاطٍ كثيرة تحدثنا عن إحداها في اللقاء السابق.

**ملكوت السماء بدلا من ملكوت البشر.**

صحيح. فإشعياء الأول، بن آموص، قد يأس من الملوك الذين حكموا في عصره في أورشليم. فآحاز يخيب رجاءه لأنه لا يثق بالرب لكن يبرم معاهدة حماية مع ملك أشور، لكن إشعياء لا يترك التطلع إلى ظهور ملك عادل من بيت داود ونسله. ويمكنك ملاحظة ذلك في عدة إصحاحات في القسم الأول من سفر إشعياء (٩: ٥-٦، ١١: ١-٥). فإشعياء الثاني لم يتحدث عن عودة ملك داود نهائيا فيقول – وقرأنا هذه الفقرة في حوارنا الأخير – إن مراحم داود الصادقة ستعطى لكل الشعب. ويعود كما شاهدنا إلى ملكوت السماء في عصر القضاة. وذلك موضوع محل خلاف كبير بين إشعياء الأول، بن آموص، وإشعياء الثاني.

أنتقل الآن إلى موضوع آخر، إلى موضوع تطرقنا إليه من قبل وهو تحرير التوراة والذي بدأ في رأيي في عصر إشعياء الثاني، وإذا كنت تذكر فقد تحدثنا في أحد لقاءاتنا عن مصادر التوراة وتحريرها، وقلت حينها، وأنا لا أتراجع عن ما قلت، إن عملية تحرير التوراة كانت تعددية في جوهرها، فماذا قصدت بذلك؟

قصدت أن المحررين والمصادر المختلفة كلها في نظري مهمة ومقدسة، ف"جميعها كلام الرب"، قاموا بجمعها معا، والتعبير عن كل مصدر وعن كل صوت بقدر استطاعتهم. ولا أعتقد أن هذا المجهود نبع من ضغوط من جانب الجماعات التي كانت مرتبطة بهذه المصادر فقط. حتى المصدر الشمالي "E" الذي لم تكن له جماعة ضغط، فقد اختفت الأسباط العشرة كما ذكرنا في بوتقة الانصهار الأشورية كما بينت، فكان له مكان وتمثيل؛ ولم تخش من التوترات والتناقضات الموجودة بين المصادر المختلفة وكذلك في القصص وأمور الشريعة نفسها.

أعتقد أن محرري التوراة الأواخر قد جاءوا من "المدرسة المقدسة". وظهرت هذه المدرسة بحسب علمي في القرن الثامن قبل الميلاد، في عصر إشعياء بن آموص، واستمرت في العمل على مدى مئات السنين بعدها. وفي العصر الفارسي – ولا نعلم التاريخ بالضبط – تم تحرير التوراة في بابل. وكان عزرا الذي وصل أورشليم في حوالي ٤٥٠ قبل الميلاد، هو الذي أحضر التوراة المحررة إليها، وقرأها على الشعب في ذلك المقام الذي وصفه الإصحاح الثامن من سفر نحميا.

**عندما تقول محررة، هل تقصد أسفار التوراة الخمسة؟**

أجل، كل أسفار التوراة الخمسة.

**هل قرأ عزرا أسفار التوراة الخمسة على الشعب كما هي محررة الآن في المكتبة اليهودية؟**

أعتقد أن الكتاب الذي قرأه عزرا لا يختلف كثيرا عن الكتاب الذي بين أيدينا اليوم.

**ربما يمكنك إخباري باختصار عن محرري العهد القديم المختلفين، لأن ذلك أمر يهمني للغاية. من قام بالتحرير؟ وفي أي عصر؟ وأين كان موجودا؟ ذكرنا ذلك بالفعل في لقائنا الثاني لكنك قلت إنك ستتناوله بالتفصيل فيما بعد.**

بكل سرور. لنقم بترتيب الأمور بعض الشيء. إن أول سفر في التوراة قد حظي بشهرة كبيرة هو سفر التثنية فهو السفر الذي عثر عليه في بلاط الملك يوشيا (الملوك الثاني ٢٢: ٨ )، ونشر في عهده في نهاية القرن السابع قبل الميلاد. لكني لا أعتقد أنه كان أول سفر تم وضعه. على العكس، أعتقد أنه كان الأخير من ناحية المصادر. أما المصادر الأخرى فقد ظهرت أو بدأت في الظهور قبله.

**في يهوذا أم في إسرائيل؟**

تحدثنا عن ذلك في لقائنا الثاني؛ فالمصدر "J" هو مصدر يهوذي؛ والمصدر "E" شمالي من مملكة إسرائيل؛ والعنصر الكهنوتي بدايته في المصدر "P" ثم ظهرت في عصر آحاز وحزقيا في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد المدرسة الكهنوتية الجديدة التي هي مدرسة القداسة، المدرسة التي وضعت "سفر القداسة" (اللاويين ١٧-٢٦). وكنا قد تحدثنا عن فكرة القداسة التي تجمع بين الأخلاق والعبادات تحت شعار "تكونون قديسين"، وطرحت فرضية أن هذا التجديد في عالم الكهنوت هو رد على الأزمة الدينية في عصر إشعياء بن آموص وميخا وعاموس الذين فزعوا من وجود انقطاع تام بين الأخلاق والعبادات، ثم انتقدوا بشدة بعد ذلك ارتباط العبادات التدريجي بالاستهزاء بالأخلاق، وجاءت هذه المدرسة وقالت: الأخلاق والعبادات شيء واحد؛ فإذا كنت تريد أن تحاكي قداسة الرب "קְדֹשִׁים תִּהְיוּ כִּי קָדוֹשׁ, אֲנִי - ستكونون قديسين لأني قدوس" (اللاويين ١٩: ٢ )، فليس كافيا أن تقدموا الأضحيات وتحافظوا على السبت والأعياد والوصايا الدينية الأخرى، فبنفس القدر والمنطق عليك أن تكون نزيها في المعاملات التجارية، وعدم الغش في الميزان، وأن تحب الغير، وترعى الضعفاء

في المجتمع، كل تلك الوصايا الأخلاقية: تحب قريبك كنفسك، وتحبه [الغريب] كنفسك، الموجودة في سفر اللاويين الإصحاح ١٩ الذيء يعد الإصحاح المحوري لسفر القداسة والذي يعرض الأوامر الأخلاقية إلى جانب الأوامر المرتبطة بالقرابين والنجاسة والطهارة. يحرم واضعو سفر القداسة الفصل بين الأخلاق والعبادات. فبالأخلاق والعبادات معاء تخلق القداسة. والرجل الذي يصفه عاموس، ولا يرغب في تدنيس يوم السبت بعد غشه في الميزان (انظر عاموس ٨: ٤-٦)، تتناقض أعماله بحسب سفر اللاويين ١٩. وتستمر مدرسة القداسة في العمل إلى جانب مدرسة سفر التثنية – المدرسة التثنوية - بعد ظهورها في عصر يوشيا.

ءقي رجال المدرستين إلى بابل بعد خراب أورشليم واستمروا في عملهم هناك. ولم تكتب أجزاء معينة من سفر التثنية في أورشليم في بلاط الملك يوشيا لكن في بابل في عصر الإمبراطورية البابلية ويحتمل أن تكون أجزاء معينة منها قد كتبت في العصر الفارسي. وكانت بداية مدرسة القداسة في أورشليم في أيام آحاز وحزقيا كما ذكرنا واستمرت في العمل في المنفى وفي العصر الفارسي من بعده.

ومدرسة القداسة مدرسة كهنوتية شعبية في جوهرها؛ فهي غير منغلقة في داخل العالم الكهنوتي لكنها منفتحة على المجتمع وتهتم بما يحدث في الحياة العامة. ولكونها مدرسة كهنوتية شعبية فقد كانت مؤهلة أكثر من أي مدرسة أخرى لتحرير التوراة. لأن الكهنوت العلوي عالم منغلق جدا له لغته الخاصة التي لا يعرفها الشعب. ولأن طقوس القرابين والنجاسة والطهارة لم تكن معروفة للشعب، فمن لا يعرف هذا العالم فهو لا يمتلك الأدوات ليصبح محررا للتوراة. فمن الضروري أن يكون على دراية بالعالم الكهنوتي ليصبح قادرا على تحرير وجمع كل شيء. وإذا كان ينتمي من ناحية أخرى إلى الصفوة الكهنوتية المغلقة فهو يعتبر غريبا جدا على العالم الشعبي، ولا يمكنه تحرير التوراة أيضا.

وفقط رجل مدرسة القداسة الذي على دراية بالعالم الكهنوتي الداخلي ومشارك بشكل كبير مع الشعب هو القادر على أن يكون جسرا بين الأدب الكهنوتي والأدب الشعبي. كان ذلك في الحقيقة مشروع تحرير التوراة وهو كيفية ربط الكتابة الكهنوتية بالكتابة الشعبية.

**ألم يكن ذهاب هذه النخبة الكهنوتية سببا للمضايقة بعد ما أصبح هناك شخص ما يشتغل بأمورهم ويقدم أفكارهم للعامة فجأة؟**

أتصور أن ذلك لم يضايقهم. لكني أعتقد أنهم لم يكونوا نشيطين أدبيا. مع ذلك، أرى أن مجموعة من الصدوقيين قد تداولت أفكارهم في عصر الهيكل الثاني. إذن فكما ترى كان لمدرسة القداسة خلفية كهنوتية وشعبية نجحت بفضلها في جمع كل المصادر معا في عملية التحرير. ومرة أخرى، لا يمكنني التأكيد متى كان ذلك؟ لكن توجد كلمات فارسية في النص المحرر. لذلك يكون هذا المشروع قد تم في العصر الفارسي على ما يبدو. والدليل على ذلك أن عزرا جاء إلى أورشليم ومعه الكتاب؛ أي أن ذلك قد تم قبلها بقليل في الفترة التي سبقت مجيء عزرا إلى أورشليم. ومن الممكن أن يكون عزرا نفسه واحدا من مجموعة المحررين. وهذا محتمل.

**ذكرنا في حينه أن الحديث عن أسفار التوراة الخمسة فقط، فمن قام بتحرير بقية أسفار العهد القديم؟**

صحيح. فالعملية التي وصفتها الآن تتطرق إلى أسفار التوراة الخمسة فقط. أما أقسام العهد القديم الأخرى فقد تم تحريرها بشكل تدريجي. فهناك تحرير لأسفار النبوة. على سبيل المثال: العملية التي تحدثنا عنها في بداية حديثنا اليوم، وكذلك الجمع بين النبوءات، بين النبي المجهول إشعياء الثاني، أو ربما مع نبي مجهول آخر، إشعياء الثالث، كما يعتقد بعض الباحثين. وألصقت هذه النبوءات بإشعياء بن آموص وكونت سفرا واحدا. هذه أيضا عملية تحرير وهو

ليس أول ظهور لعملية اقتباس نبوءات لنبي معروف وإضافة نبوءات نبي مجهول إليها. فهناك حالة أخرى على الأقل واضحة لنا وهي سفر زكريا؛ فإذا نظرت إلى سفر زكريا سترى أن الإصحاحات الثمانية الأولى ترتبط بشكل واضح بعصر عودة صهيون؛ ولدينا تواريخ وهناك أيضا تطرق إلى أحداث معينة في فترة عودة صهيون، ويمكنك ملاحظة أن الأفكار هي أفكار نبي واحد. لدينا أيضا مشاهدات نبوية كثيرة ورؤى تحتاج إلى تفسير، على سبيل المثال: رؤية الشمعدان وأغصان الزيتون، الذي أصبح فيما بعد شعار دولة إسرائيل، وأصلها إحدى المشاهدات النبوية لزكريا (٤: ١-٣). لكن عندما تنتقل من الإصحاح الثامن إلى الإصحاح التاسع وتواصل القراءة حتى نهاية السفر في الإصحاح الرابع عشر، ستجد نفسك في منطقة مختلفة تماما.

ولا توجد مشاهدات نبوية، ولا تواريخ، أو إشارة إلى أحداث من فترة عودة صهيون؛ لكن نبوءات مهمة للغاية وغامضة بما فيها النبوءة الأخيرة في الإصحاح الرابع عشر عن ظهور الرب: "וְעָמְדוּ רַגְלָיו בַּיּוֹם הַהוּא עַל הַר הַזֵּיתִים ... וְנִבְקַע הַר הַזֵּיתִים ...וּמָשׁ חֲצִי הָהָר צָפוֹנָה – وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون ... فينشق جبل الزيتون ... وينتقل نصف الجبل نحو الشمال" (١٤: ٤). وكنا نفكر دائما ماذا سيحدث لحرم الجامعة العبرية في جبل المشارف عندما ينشق جبل الزيتون إلى اثنين وينتقل نصفه إلى الشمال في اتجاه جبل المشارف... تلك نبوءات مهمة ومبهمة، لكن من هو النبي؟ لا نعرف. لدينا هنا أيضا عملية تحرير؛ فشخص ما قام بدمج نبوءات نبي مجهول مع نبوءات نبي معروف وهو زكريا. وبعد تحرير كل سفر وسفر كانت هناك حاجة إلى جمع كل أسفار النبوة. وجمعت نبوءات إرميا، جمعت نبوءات إشعياء، وزكريا، وأنبياء آخرون، جمعت كلها معا.

**أعتقد أن الأحبار (حازل) ترددوا بعض الشيء في ما يضمونه وما لا يضمونه إلى مجموعة أسفار العهد القديم.**

يحكي لنا التلمود في هذا الخصوص، في فصل السبت: أن الحاخامات أرادوا إخفاء سفر حزقيال لوجود أقوال فيه تناقض التوراة. فلدينا رؤيا في سفر حزقيال من الإصحاح ٤٠ وما بعده عن الهيكل المستقبلي الذي ستقدم في إطاره شريعة الهيكل والكهنة والأعياد. وهذه القوانين تناقض قوانين التوراة بشكل واضح. ففي طقوس الأعياد على سبيل المثال: عدد الأضحيات الأخيرة، وكذلك بالنسبة لزواج الكهنة حيث يقول حزقيال: "וְהָאַלְמָנָה אֲשֶׁר תִּהְיֶה אַלְמָנָה מִכֹּהֵן יִקָּחוּ – أو أرملة التي كانت أرملة كاهن" (٤٤: ٢٢). ولقد ذكرت التوراة أن الأرملة محرمة على الكاهن الأكبر: "וְהוּא אִשָּׁה בִבְתוּלֶיהָ יִקָּח – هذا يأخذ امرأة عذراء" (اللاويين ٢١: ١٣). لكن الكاهن العادي يسمح له بالزواج من أرملة لكن يحرم عليه الزواج بمطلقة، وهذه هي الشريعة السائدة في إسرائيل، ولا يهم من كان الزوج الأول. لكن حزقيال يشدد ويقول: "הָאַלְמָנָה אֲשֶׁר תִּהְיֶה אַלְמָנָה מִכֹּהֵן יִקָּחוּ - أرملة التي كانت أرملة كاهن". أي محرم على الكاهن الزواج بأرملة كانت متزوجة بشخص غير كاهن من قبل، فأرملة الكاهن فقط هي التي تحل له. وهذا تناقض، فماذا نصنع؟ لذلك أراد الحاخامات، كما يحكي لنا فصل السبت، إخفاء سفر حزقيال لتناقضه مع التوراة (التلمود البابلي السبت ١٣ ٧٢). إن حزقيال ظاهرة استثنائية لأنه لا يوجد نبي آخر يقدم تشريعات لكن حزقيال فقط.

حزقيال كان خليط استثنائيا؛ فقد كان كاهنا في رداء نبي، أو إذا أردت نبي في عباءة كاهن. الحقيقة أن إرميا أيضا كان كاهنا ونبيا لكنه كان من الكهنة الذين تواجدوا في عناثوث في أرض بنيامين؛ فلم يعودوا الكهنة الذين يعملون في الهيكل لكن كهنة من بيت علي الذي أطيح به من الكهانة قبل مئات السنين (انظر الملوك الأول ٢: ٢٦). أما حزقيال فجاء من الكهانة الأورشليمية التي على دراية تامة بالكهانة الأورشليمية ورؤاها، مع ذلك يعترض على قوانين الكهانة؛ لذلك أرادوا إخفاء سفره.

غير أن التلمود يقول: "أذكر الرجل الطيب، حنانيا بن حزقياهو بن جارون اسمه" وهناك روايات مكتوب فيها "بن جوريون اسمه" الذي ذهب للحج فأصعدوا له ثلاث مائة برميلا من الزيت، ليستطيع العمل ليلا على ما يبدو، ولم يهبط من هناك حتى درس وحل كل التناقضات بين حزقيال والتوراة، وقتها حصل سفر حزقيال على صلاحية الدخول في مجموعة الأنبياء. وقد عاش حنانيا بن حزقيا بن جرون عشية خراب الهيكل. لذلك نستخلص من هذه القصة أن مجموعة الأنبياء تم تحريرها وختامها عشية خراب الهيكل تقريبا. هكذا أصبحت لدينا مجموعة التوراة ومجموعة الأنبياء، أما الكتابات فلم تكن جاهزة بعد. انتقل المركز اليهودي من أورشليم المدمرة إلى "يفنه"، ثم إلى "أوشا" في الجليل ذلك بعد تمرد بار كوخبا. ومازلنا نجد في جيل يفنه وكذلك "أوشا" الحاخامات يتناقشون حول أسفار مختلفة من الكتابات مثل سفر الجامعة، وإذا كانت هذه الأسفار تدنس اليدين؛ أي هل هي مقدسة أم لا؟ بحسب الهلاخا السفر غير المقدس يدنس اليدين. وفي ذلك لغز؛ فلماذا يتم التعبير عن القداسة بتدنيس اليدين.

**تفسير ذلك، إن لم أكن مخطئا، هو أن الكهنة اعتادوا تناول طعام الصدقة الذي يوضع بجوار الكتب المقدسة، وكانت الفئران تأتي لتتناول بقايا الطعام وتسيء إلى أوراق الكتابات المقدسة، وأراد الحاخامات (حازل) منع ذلك.**

أجل هذا تفسير لست واثقا من صحته، ولدينا تفسيرات أخرى ... لكن المهم عندنا هو أن سفر الجامعة لايزال محل جدل عندهم.

**هناك أيضا موضوع سفر أستير الذي يحكي التلمود البابلي أنها طلبت من الحاخامات "ميزات لها تعيش على مر الأجيال"، فأجابوها "أنت تثيرين الغيرة علينا وبين الأمم" (التلمود البابلي، מגילה ז: ע"א).**

صحيح. هناك أيضا شهادة القمران؛ فالسفر الوحيد من بين أسفار العهد القديم الذي لم يكن موجودا في القمران هو سفر أستير. صحيح أن هناك رواية معينة لقصة أستير في سفر آخر، لكن ليس سفر أستير نفسه. غير أن ذلك لا يعد دليلا قاطعا على أن سفر أستير لم يتم قبوله كسفر مقدس عند طائفة القمران فهناك أسفار مقرائية أخرى عرضت غير مكتملة، في صورة واحدة فقط. مع ذلك ربما كان سفر أستير موجودا في المكتبة القمرانية، إلا أنه، وبالصدفة البحتة، لم تتبق نسخة واحدة منه، وهو احتمال يجب وضعه أيضا في الحسبان. على أي حال، سفر أستير به إشكاليات من نواحٍ معينة فلم يذكر فيه اسم الرب رغم دمجه مع مجموع الأسفار المقدسة. لكن ماذا عن نشيد الإنشاد؟ نشيد الإنشاد الذي يبدو كمجموعة أشعار حب وعشق؟

**بالفعل مجموعة أشعار إثارة.**

أشعار إثارة بالفعل. وهنا يتدخل رابي عقيبا ويقول كلماته الشهيرة: "حاشى لله، لم يختلف إنسان أبدا على نشيد الإنشاد ... فكل المكتوبات مقدسة، ونشيد الإنشاد قدس الأقداس" (المشنا، ידים ג: ה). ويعتبر رابي عقيبا أقوال العشق بين الرجل وزوجته في سفر نشيد الإنشاد تشبيها للعلاقات بين الرب وشعبه، ولهذا السبب دخل سفر نشيد الإنشاء ضمن مجموعة الأسفار. هكذا يمكننا رؤية أن إكمال عملية جمع الأسفار في كتاب واحد قد تمت في عصر يفنه وأوشا، وورد أن ذلك كان حتى منتصف القرن الثاني الميلادي تقريبا. وهذه هي نهاية العملية ونحصل على العهد القديم.

انظر! إن قرار ضم سفر معين إلى مجموعة أسفار العهد القديم مرتبط ليس فقط بقضايا المضمون فهناك أيضا "العلاقات العامة" أو بكلمات أخرى: كيف تقدم نفسك أيها المؤلف؟ مثال على ذلك في العصر الهيليني في حوالي سنة ٢٠٠ قبل الميلاد حيث عاش في أورشليم كاهن يدعى يهوشواع بن سيرا، من عائلة

الكهنة، كتب سفر حكمة يحوي أفكارا مهمة ويعتمد على أسلوب أسفار الحكمة في العهد القديم، لكنه يقوم وبشكل مباشر وواضح تماما بتقديم نفسه كمؤلف السفر، وهو ما أصبح وبالا عليه. لماذا؟ لأنه عند تقرير من يدخل مجموعة الأسفار ومن لا؟ فالنبوة بحسب رؤية الحاخامات استمرت حتى العصر الفارسي.

**حجي وزكريا وملاخي هم آخر الأنبياء.**

صحيح. فنهاية عصر النبوة في العصر الفارسي. وورد في المشنا عن تسليم التوراة: "الأنبياء سلموها لرجال الكنيس الكبير" (مشنا אבות א: א). وعمل الكنيس الكبير في العصر الهيليني، وكان أعضاؤه غير أنبياء فلا توجد نبوة في هذا العصر. إذن إذا جاء شخص مجهول كما هو في حالة بن سيرا وقدم نفسه بشكل مباشر وواضح قائلا إنه من العصر الذي جاء بعد الحكم الفارسي، وأعيش تحت الحكم اليوناني، فسيقولون له: إسمع يا سيد بن سيرا! نحن نحترمك ونقدرك، وسنتعلم منك، وعندما سيحتاج التلمود إلى سند لا نجده في العهد القديم سنتوجه إليك ...

**إذن هم يتصلون بن سيرا ...**

بالضبط. سنتصل بك وسنستخدم ما لديك كاقتباس من الكتابات، وسنمنحك لوهلة التقدير في أن تكون داخل مجموعة الأسفار المقدسة حتى يمكننا تعلم شيئا ما أو نعتمد على ما تقوله، لكن اسمع يا حبيبي! بخلاف ذلك ...

**أنت في الخارج ...**

أنت في الخارج. وهذا ليس شيئا شخصيا ضدك، فأنت بكل بساطة لا تعيش في العصر الصحيح.

**هكذا تم جمع مجموعة الأسفار المسماة "الكتب الخارجية". وهي كل ما لم يتم ضمه إلى العهد القديم.**

أجل. هناك أسفار خارجية. لكن إذا ارتديت رداء شخص ما ينتمي إلى العصر المناسب؛ سيصبح من الممكن أن تجد طريقك إلى داخل هذه المجموعة بطريقة ما، حتى وإن كانت الحقيقة إنك متأخر عن سفر بن سيرا بكثير. ومن أقصد بذلك؟ دانيال، سفر دانيال. فالسفر بحسب كل الدلائل،وضع في عصر أحكام أنطيوخوس؛ لأنه يتطرق إلى أحكامه ويحكي عنها. ويصف بالتفصيل في الإصحاح الحادي عشر حروب أنطيوخوس في مصر وصدامه بالأسطول الروماني فيها عندما طرده قائد الأسطول الروماني وقال له ارجع وعد إلى سوريا ولا تحاول احتلال مصر. والغضب والخزي والإهانة التي شعر بها أنطيوخوس بسبب هذه الهزيمة كانت بحسب سفر دانيال سببا على ما يبدو في الأحكام التي فرضها على أورشليم (انظر دانيال ١١: ٢٩-٣١). واضح تماما أن مؤلف السفر كتبه في حوالي عام ١٦٧ قبل الميلاد، عندما فرض أنطيوخوس الأحكام الدينية على اليهود. أي أن مؤلف سفر دانيال عاش بعد بن سيرا بعشرات السنين لكنه تنكر في رداء دانيال المتنبي الذي عاش في عصر الشتات البابلي وهو ما منحه تصريح دخول نادي العهد القديم العظيم. هكذا نكون قد حددنا الخطوط الأساسية لعملية ظهور العهد القديم وهي العملية التي أدت إلى نشأته.

# الختام

**بروفسور! اتضح في الحوار الذي تحدثنا فيه عن الشاسو ياهو وعن أولئك المديانيين الذي اعتنقوا عقيدة الإله الواحد يهوه أننا لسنا الشعب الأول الذي اكتشف وجوده. وإذا كان الأمر كذلك فأنا أتساءل ما قيمة مفهوم "الشعب المختار"؟ فشعب إسرائيل هو شعب آخر في المنطقة الكنعانية، شعب تبلور وبنى لنفسه هوية قومية، لكنه ليس شعبا مختارا بالطبع.**

وأنا أسأل: هل يجب أن يهزنا ويدمر أسس العقيدة التوراتية كشف ظهور لفظ الجلالة والاعتراض على صنع التماثيل والصور عند القينيين والمديانيين في فترة ما قبل نشأة إسرائيل – وهو ليس بالكشف القديم فالحقائق تم كشفها في العقود الأخيرة فقط؟ بل وأكثر من ذلك: هل يقدم لنا العهد القديم نفسه الأدوات من أجل استيعاب المعلومات التي تظهر مع الاكتشافات الأثرية؟ المعلومات التي تأتينا من النقوش التي تم كشفها في مصر عن أرض الشاسو ياهو من ناحية، ومن الاكتشافات التي ظهرت كما ذكرنا في مناجم النحاس في تمنه والنقب، حيث اتضح أن المديانيين – القينيين قد عارضوا صنع التماثيل والصور - من ناحية أخرى.

ما الذي يمكن قوله عن ذلك من العهد القديم نفسه. وهنا أريد أن أذهب إلى سفر في العهد القديم وهو سفر أيوب فالأحبار (حازل) يتجادلون حول مسألة العصر الذي ظهر فيه أيوب، ومن بين هذه الآراء من يقول إن أيوب لم يكن له وجود لكنه مجرد مثال. وأنا لا أريد أن أحسم هذه المسألة لكني أود القول إن الاسم أيوب هو اسم قديم معروف لدينا من الوثائق الأثرية التي سبقت عصر العهد القديم، فهو أيضا اسم أحد حكام شرق الأردن المذكورين في وثائق تل العمارنة في أرشيف أخناتون الذي تحدثنا عنه مرارا. إذن كان هناك مثل هذه الشخصية في هذه المنطقة، وكما يذكر سفر حزقيال في الإصحاح الرابع عشر

ثلاثية – نوح، ودانإل – هكذا الاسم مكتوب دانإل وليس دانيال – وأيوب. ولم نعرف من "دانإل" هذا حتى اكتشاف وثائق أوجاريت التي أخبرت عن دانإل الذي كان قاضيا عادلا وحكت عنه. لذلك يبدو أن هذه الفقرة في سفر حزقيال ١٤: ١٤ والاكتشاف الأثري الذي تحدثت عنه يمكنهما التأكيد أن شخصية أيوب لها وجود في التاريخ القديم، حتى وإن ظهرت القصة في عصر أكثر تأخرا - في عصر الشتات البابلي - كما يعتقد باحثو لغة العهد القديم. إذن حتى وإن كان السفر قد ظهر في هذا العصر فيبدو أن الشخصية نفسها لها جذور قديمة.

**السؤال هو لمن تعود هذه الجذور للشخصية أم للإسم؟ فاسم أبرام ظهر أيضا في بلاد النهرين، وهو ليس دليلا على أن سيدنا إبراهيم قد تجول هناك بحماره بحسب باحثي العهد القديم.**

سأجيب هكذا: مما هو مكتوب في سفر دانيال أستنتج من هذا الاتباط بين نوح ودانإل وأيوب أنه ليس مجرد اسما كان موجودا في عصور قديمة لكنه اسم لشخصية قديمة محددة نسجت القصص حولها. وأما الوقوف على وجود تلك القصص التي عرفها حزقيال، وإلى أي مدى كانت موجودة بالفعل شخصية تاريخية لصديق اسمه أيوب عانى كثيرا - فهذا أمر صعب. لكن المهم في نظري ليس مدى المصداقية التاريخية للشخصية بل ماذا يريد أن يخبرنا راوي سفر أيوب؟ فهو يريد أن يقدم لنا شخصية عاشت بالفعل في عصر قديم. ولقد أشار العديد من الباحثين إلى الخطوط المتشابهة بين وصف أيوب والبيئة المحيطة به ونمط حياته، وبين عصر الآباء. وعلى سبيل المثال استخدام المصطلح "קשיטה – قسيطة" (أيوب ٤٢: ١١)، الذي لا نعرف حتى معناه الدقيق لكنه يستخدم للإشارة إلى إجراء قانوني في البيع والشراء. ويحكي سفر التكوين عن وصول يعقوب إلى شكيم: "וַיִּקֶן אֶת חֶלְקַת הַשָּׂדֶה אֲשֶׁר נָטָה שָׁם אָהֳלוֹ מִיַּד בְּנֵי חֲמוֹר אֲבִי שְׁכֶם בְּמֵאָה קְשִׂיטָה – وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور أبي شكيم بمئة قسيطة" (التكوين ٣٣: ١٩). فعندما يستخدم سفر أيوب

هذه الكلمة، قسيطة، فهو يريد أن يذكر أن زمن القصة هو عصر الآباء تقريبا. أي أن أيوب شخصية عاشت في عصر الآباء. فأين عاش أيوب؟ وأين عاش أصدقاؤه؟

**كان هنا شخص في أرض عوص ...**

أرض عوص. وأين هي أرض عوص؟

**الحقيقة، ليس لي أدنى فكرة ...**

تظهر عوص في التوراة وفي العهد القديم في سياقين: الأول: السياق الآرامي في سفر التكوين الإصحاح ٢٢: ٢٠-٢١ يقول: "וַיְהִי אַחֲרֵי הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה, וַיֻּגַּד לְאַבְרָהָם לֵאמֹר: הִנֵּה יָלְדָה מִלְכָּה גַם הִוא בָּנִים לְנָחוֹר אָחִיךָ. אֶת עוּץ בְּכֹרוֹ וְאֶת בּוּז אָחִיו וְאֶת קְמוּאֵל אֲבִי אֲרָם – وحدث بعد هذه الأمور أن إبراهيم أخبر وقيل له: هوذا ملكة قد ولدت هي أيضا بنين لناحور أخيك. عوصا بكره، وبوزا أخاه وقموئيل أبا أرام". إذن نحن هنا في بيئة آرامية. والسياق الثاني: عندما نتصفح قائمة أبطال أدوم وأبناء سعير الحوري في سفر التكوين ٣٦: حيث نجد الاسم عوص أيضا (٣٦: ٢٨). والسياق الأدومي مذكور أيضا في سفر مراثي إرميا: ابنة أدوم الموجودة في أرض عوص (مراثي إرميا ٤: ٢١). وبذلك هناك علاقة آرامية من ناحية، وأدومية من ناحية أخرى. حتى في أسماء أصدقاء أيوب هناك علاقة أدومية – إليباز من أبناء عيسو (التكوين ٣٦: ٣، ١٥) أما الأسماء الأخرى لأصدقائه فنجد أن لها علاقة بالبيئة الأدومية. يمكننا القول إذن كما زعم بن عزرا وحزقيال قويفمان إن أرض عوص في أدوم. وإذا كنا نريد أن نكون أكثر حذرا وأن نأخذ في الاعتبار كذلك العلاقة الأرامية فيمكننا استخدام مصطلح جغرافي أشمل قد تناولناه من قبل. فقد ورد عن أيوب في افتتاحية السفر إنه كان أكبر من كل بني المشرق لذلك يمكن القول أن أرض عوص لا ترتبط تماما بأرض أدوم لكنها تشير إلى كل منطقة أرض بني المشرق الذين تحدثنا عنهم في حوارات سابقة: حيث رأينا أن أرض بني المشرق تبدأ في الجنوب في منطقة

مديان وتتجه شمالا صوب أدوم وتصل حتى منطقة الحوران، أي حتى الأطراف الجنوبية للأراضي الآرامية.

من هنا يقدم الراوي أيوب كشخص عاش في منطقة بني المشرق سواء في أدوم نفسها أو ما حولها وهو بطل هذه القصة. عاش في عصر الآباء قبل عصر موسى ويوصف هو وأصدقاؤه أيضا في السِفر كمجوعة من الناس الذين يخشون الإله الواحد وليست لديهم آلهة أخرى. فهم يتعاملون مع إله واحد فقط لكن المشكلة الكبرى هي أن محور القصة هو معاناة الصدِيق؛ حيث يصر أيوب على ورعه أمام أصدقائه الذين يحاولون إقناعه بأن إصابته بهذه المصائب البشعة ليست إلا بسبب خطاياه وأنها عقاب له على خطاياه الخفية، ومستحيل أنه لم يخطيء.لكن أيوب لا يقبل ذلك التفسير وقال إنه صدِيق وعدد لهم بالتفصيل مكونات سلوكه الأخلاقي. لقد كان بالفعل شخصية أخلاقية رائعة، شخصية يناسبها أن تكون قدوة للسلوك الأخلاقي، وكذلك من ناحية تمسكه بالحق والعدل وبعده عن الظلم والغش في التجارة، وفي معاملته بالناس وحتى مع عبيده. ويقول على سبيل المثال في الإصحاح ٣١: ١٣: "אִם אֶמְאַס מִשְׁפַּט עַבְדִּי וַאֲמָתִי בְּרִבָם עִמָּדִי. וּמָה אֶעֱשֶׂה כִּי יָקוּם אֵל וְכִי יִפְקֹד, מָה אֲשִׁיבֶנּוּ. הֲלֹא בַבֶּטֶן עֹשֵׂנִי עָשָׂהוּ וַיְכֻנֶנּוּ בָּרֶחֶם אֶחָד – إن كنت رفضت حق عبدي وأمتي في دعواهما علي. فماذا كنت أصنع حين يقوم الله؟ وإذا افتقد فبماذا أجيبه؟ أوليس صانعي في البطن صانعه، وقد صورنا واحد في الرحم". أي أنا وعبيدي خرجنا من بطن بشرية؛ جميعنا من صنع الله لذلك لا يمكنني تجاهل ادعاءات عبدي وأمتي تجاهي. لكن يظهر في هذه القائمة الرائعة ليس فقط الموضوعات الأخلاقية الاجتماعية، رغم أنها الأساس، لكن هناك موضوعات دينية أيضا. ففي نفس الإصحاح ٣١ : ٢٦-٢٨ يقول: "אִם אֶרְאֶה אוֹר כִּי יָהֵל וְיָרֵחַ יָקָר הֹלֵךְ. וַיִּפְתְּ בַּסֵּתֶר לִבִּי וַתִּשַּׁק יָדִי לְפִי. גַּם הוּא עָוֹן פְּלִילִי כִּי כִחַשְׁתִּי לָאֵל מִמָּעַל – إن كنت قد نظرت إلى النور حين ضاء، أو إلى القمر يسير

بالبهاء، وغوى قلبي سرا ولثم يد فمي، فهذا أيضا إثم يعرض للقضاة لأني أكون قد جحدت الله من فوق".

أي أن إرسال اليد في اتجاه القمر وتقبيلها لرؤية ضوء القمر لأمر فظيع. فلم أفعل ذلك أبدا ولو حتى في الخفاء، لماذا؟ لأن هذا الإعجاب بالقمر شيئ موجود عند عابدي الأوثان فيما يبدو، ومعناه خداع الرب الساكن في السماء. أي أن أيوب يشهد على نفسه بأنه مؤمن بالإله الواحد بشكل كامل.

إذن نشاهد هنا في أرض أدوم أو في أرض بني المشرق رجلا – ليس رجلا واحدا فقط لكن مجموعة فأصدقاؤه معه من موحدي الإله الواحد يحذرون من الوقوع في عبادة الأوثان كل ذلك قبل عصر موسى وقبل التجلي على جبل سيناء. فهم أيضا لديهم تجليات؛ فأليفاز يصف في كلامه رؤية نبوءية شاهدها في المنام (٤: ١٢-١٥). وتكون ذروة السفر في تجلي الرب لأيوب من العاصفة. لقد كانت هناك حقا أصوات رعد في التجلي لموسى وإسرائيل على جبل سيناء لكن الرب تجلى قبلها في العاصفة لأيوب الذي ليس من بني إسرائيل وذلك في عصر الآباء في بلاد أدوم.

أجد من سفر أيوب طريقة ما للتعامل مع هذه المعلومات عن القينيين – المديانيين في أرض الشاسو ياهو قبل عصر موسى. لأن هذا هو ما يصفه سفر أيوب في حقيقة الأمر. مجموعة من موحدي الرب يعيشون حياة أخلاقية ويحذرون من الوقوع في عبادة الأوثان. مجموعة موجودة حتى قبل موسى ولديها رؤية ألوهية وتجل إلهي.

ولا أعتقد أن مؤلف سفر أيوب قد عرف الواقع التاريخي القديم لأرض "الشاسو ياهو" لكن المعروف لنا من الاكتشافات الأثرية عن عقيدة الإيمان بياهو وتحريم عبادة الأوثان ورفض صناعة التماثيل قبل عصر موسى وخارج شعب إسرائيل يناسب وصفه كثيرا.

**كلماتك عبارة عن نظرية جميلة. لكني غير مقتنع باستطاعتك تقديم برهان من هذه القصة الرمزية التي كتبت في العصر البابلي أو الفارسي؛ لذلك يبقى سؤالي كما هو. حسنا، آمن أيوب وكذلك آمن بلعام بإله واحد.**

بلعام شخصية محل شك، فلديه توجهات مختلفة وأنا أريد أن أجعل كلامي أكثر تركيزا. أريد أن أقول أيضا لو أن قصة أيوب خيالية تماما وإنه "لم يكن له وجود لكن كان مجرد مثال" (التلمود البابلي בבא בתרא טו ע"ו). فإن مؤلف سفر أيوب لا يرى أي مشكلة في ضرب مثال بمجموعة من موحدي الرب الذين عاشوا في أرض أدوم قبل موسى وقبل نشأة إسرائيل. لذلك توصلت لهذا الاستنتاج بمساعدة علم الآثار، وأنت تقول لي: "بحق السماء، كيف يمكننا التعايش مع هذا؟" وأقول لو أن مؤلف سفر أيوب لم يجد مشكلة في تخيل مثل هذا الوجود ولم يتصور أن هذا يستأصل أسس الديانة. حسنا، يمكنني الهدوء.

**ربما أجبت عن جزء من السؤال، لكن المشكلة مازالت قائمة: فإذا لم تكن التوراة كلاما إلهيا مقدسا تلقاه موسى في سيناء لكن عملا إنسانيا تطور مع الأجيال، فما الذي يعطيها الصلاحية الدينية؟**

إن كان الأمر كذلك فأنا أريد أن أتمسك بما ذكرت: إن التوراة ليست شيئا مقدسا، لماذا؟ لتدخل الإنسان فيها.

**من المحتمل أن يكون الأحبار (حازل) قد أعطوها القداسة في فترة متأخرة؛ حيث جاءت القداسة من أسفل إلى أعلى.**

أقترح عملية متشابكة، فمنذ بداية العهد القديم في الحقيقة ونحن نرى أن الرب يدعو الإنسان إلى التعاون. فهو يغرس الجنان ويدعو الإنسان "ليعملها وليحفظها" (التكوين ٢: ١٥) فالإنسان والرب هنا شريكان في عمل بيئي. ثم بعدها في قصة إبراهيم في الإصحاح ١٨ من سفر التكوين، يحكى أن الرب قرر

تدمير سدوم لأنها مدينة آثمين وأشرار، ورغم ذلك يقول الرب لنفسه: هل أخفي ذلك عن إبراهيم؟ فلا يمكنني عدم إشراكه فيما سأصنعه. يجب أن أحكي له. ثم يحكي له ما هو صانعه. ثم ماذا حدث؟ يدور هذا الحوار المهم بين الرب وإبراهيم؛ حيث يقف إبراهيم ورغم قوله أنا تراب ورماد إلا أنه وقف شاهدا ومنتصبا أمام الرب ينقاشه ويجادله ويتوصلان في نهاية الحوار والنقاش إلى قرار ما. وما هو؟ إذا كان هناك عشرة صديقين في المدينة فإنها ستنجو. ونظرا لعدم وجود عشرة صديقين يدمرها الرب. لكن ماذا قدمت دعوة إبراهيم هذه؟ لدينا هنا سؤال، وهو نفس السؤال الذي ذكرته من قبل في حزقيال ١٤ في الموضع الذي ذكر فيه نوح ودانإل وأيوب حيث كان السؤال: الأرض تخطيء، فهناك أرض مخطئة، وفيها ثلاثة صديقين، فهل لديهم القدرة على إنقاذ الآخرين؟ هذا هو السؤال. وهو نفس السؤال المطروح هنا بالنسبة لسدوم. لدينا هنا تصور مهم: ولقد ذكر حزقيال قويفمان ملاحظة عن ذلك وقال عند رغبة العهد القديم في طرح المسائل الأخلاقية الكبيرة مثل مسألة العقاب الجماعي فإنه يختار ساحة غير إسرائيلية مثل سدوم أو بلدة مخطئة كان فيها ثلاثة صديقين غير إسرائيليين. وهكذا الحال بالنسبة للمسألة الكبرى عن معاناة الصديق: مسألة الشر. هنا أيضا تم اختيار بطل أجنبي، ويدور النقاش ليس على خلفية إسرائيلية. ويقول قويفمان إن هذه الاختيارات لم تكن بمحض الصدفة؛ فالعهد القديم يريد أن يقول إن المسائل الأخلاقية الكبيرة ليست مسألة وطنية خاصة، لكنها عالمية لذلك يجب مناقشتها على خلفية عالمية.

على أي حال، أعود إلى إبراهيم في سدوم. فقد أدت دعوة الرب التي دعا فيها إبراهيم؛ إلى التخفيف من معايير العقاب. فما هو العقاب العادل؟ فليس من العدل المعاقبة بعقاب جماعي، فكما قال إبراهيم للرب: "הַאַף תִּסְפֶּה ,צַדִּיק עִם-רָשָׁע ...הֲשֹׁפֵט כָּל-הָאָרֶץ ,לֹא יַעֲשֶׂה מִשְׁפָּט – أفتهلك البار مع الأثيم ... أديان كل الأرض لا يصنع عدلا" (التكوين ١٨: ٢٣، ٢٥) كيف يمكن ذلك؟ هل

هذا أخلاقي؟ من هنا يأتي السؤال: إلى أي درجة؟ وما حدود ذلك؟ وكم عدد الصيقين الذين سيؤدون إلى إلغاء هذا الحكم الذي فرض على الأشرار؟ غير واضح. نستدل من هذا النقاش على أن وجود عشرة صديقين سيحمي المدينة وينقذها، وأقل من ذلك لا.

**لكن فيما يخص أمر التحريم عند الشعوب الكنعانية السبعة، فإن الرب لا يبحث عن عشرة صديقين. فهل يجب قتل الجميع وتدميرهم والقضاء عليهم؟ لم يطرح هذا السؤال هناك نهائيا.**

في قصة أريحا يخلصون رحاب لأنها عرفت إله إسرائيل.

**أو ربما لأنها ساعدتهم على الاختباء ...**

وفيما يخص المقاطعة: لا تمثل كل قصة في العهد القديم حقيقة تاريخية؛ فالمعلومات الأثرية خاصة في حصور تشير إلى أن هذه المقاطعة لم يكن لها وجود لكنها كانت مثالا. فسكان حصور لم يموتوا على أيدي المحتلين الإسرائيليين لكن تم تشويه تماثيلهم فقط.

لكن ماذا أقصد من وراء ذلك؟ أقصد شيئا أشمل بكثير: أن الرب لا يعمل بمفرده في الفضاء الفارغ؛ فالشريعة تمنح للإنسان عندما يكون متعاونا مع الرب في تشكيلها وتطويرها. وأقترح عدم التعامل مع الشريعة كإلى "إما كذا وإما كذا". فإما إنها شريعة موسى من سيناء أعطاه الرب إياها كلمة كلمة، وإما الذهاب إلى نهاية الاتجاه الآخر والقول: كلا، هذا ليس عملا قديما مثل قوانين حمورابي. وأعتقد بضرورة عدم الذهاب في هذا الاتجاه بهذا الشكل المتشدد أو في الاتجاه الآخر؛ لكن يمكن القول أن لدينا هنا أساسا للتجلي، ولقد منحت الشريعة لبني إسرائيل ليطوروا النواة التي قدمت لهم حتى تصل إلى المنتج النهائي.

والآن بخصوص مسألة القداسة أود أن أحكي قصة. ذكرت من قبل أنني بدأت دراستي في الجامعة العبرية في قسم التلمود. ووصلت حتى مرحلة كتابة أطروحة الدكتوراة وبدأت في الكتابة عن فصل الصوم في التلمود الأورشليمي الذي عملت عليه عامين كاملين. وفي ذلك الوقت ولظروف ما تعرفت فجأة على مجال بحث ونقد العهد القديم، وكان ذلك جديدا تماما بالنسبة لي؛ لأني لم أدرس منه شيئا في دراساتي الجامعية السابقة.

فقرأت وقرأت وتوصلت، على أساس ما تعلمته في قسم التلمود في بحث العلاقة بين المصادر المتقابلة، إلى استنتاج يخالف ما كان معروفا كحقيقة خالصة في مجال بحث العهد القديم. فقد كان رأيي يخالف كل ما أعتقدوه تماما. فكرت في البداية: كيف يمكن أن يكون الجميع مخطئين وأنا وحدي على حق؟ ثم بدأت في الحديث مع باحثي العهد القديم ولاحظت أن حجتي قوية وأن هناك باحثين، ليس الجميع، لكن باحثين جادين جدا مقتنعون برأيي. في النهاية قررت ترك عملي عن التلمود الأورشليمي والتركيز في دراسة التوراة، خاصة العنصر الكهنوتي فيها. وبعد أن قمت بعمل إعادة فصل وتمييز للمصادر الكهنوتية توصلت إلى نتيجة مفادها أن العنصر الكهنوتي الأقدم هو صاحب الرؤية الألوهية الأسمى في العهد القديم كله من الناحية اللاهوتية.

ألقيت محاضرة أول أمس على جمع من رجال الدين المسلمين من الولايات المتحدة جاءوا إلى القدس للدراسة فقرأت معهم أجزاء معينة في العهد القديم. رفع أحدهم يده وقال: ما هذا الذي تكتبونه عن الرب؟ "عين الرب" ...، وتصفونه كجالس أو واقف. ما هذا؟ أهو على هيئة إنسان؟ أتؤمنون حقا بأنه على هيئة إنسان؟ وكان مصدوما من ذلك بشدة.

قلت له: انظر، يوجد في العهد القديم أوصاف وأفكار من كل الأنواع، لكن هناك عنصر واحد فقط في التوراة، وهو العنصر الكهنوتي - توراة الكهنة - لا

يوجد فيه نهائيا مثل هذه التشبيهات. ولن تجد فيه كلاما عن أذن الرب أو عينه، ولا غضبه أو حزنه لن تجد تجسيدا للإله؛ فلا جسد ولا مشاعر بل تنزيه تام للرب عن كافة التشبيهات الإنسانية، وكذلك العناصر الأخرى المعتادين عليها مثل التأكيد على مراقبة الرب والثواب، وهو شيء موجود في عناصر أخرى في العهد القديم وتقوم عليه قصة أيوب، لن تجدها في العنصر الكهنوتي. إن إله توراة الكهنة يشبه إلى حد كبير جدا الإله عند موسى بن ميمون في كتابه دلالة الحائرين. وهذه هي الفلسفة القديمة في العهد القديم الموجودة في العنصر الكهنوتي. وقد كتبت فصلا كاملا عن ذلك في أطروحة الدكتوراه نشرت فيما بعد في كتاب بعنوان "**هيكل الصمت**" في الفصل الثالث منه. وعندما كتبت ذلك أثناء الدكتوراه قلت في نفسي، يسكن هنا في القدس البروفسور يشعياهو ليبوفيتش الذي يدعو طوال حياته إلى الأفكار التي استقاها من موسى بن ميمون، وربما يجب علي مقابلته وتقديم ما كتبت له ليقرأه وأعرف رأيه فيه؟ ذهبت إليه وسلمته الفصل ثم التقينا للحديث بعدها. كان ليبوفيتش أستاذا في الكيمياء وفي تخصصات أخرى في علوم الطبيعية وكانت لديه حجرة صغيرة في مبنى معهد الكيمياء في المبنى الجامعي بـ "جفعات رام". دخلت حجرته وجلسنا، كان متحمسا ومتأثرا جدا بما توصلت إليه. وفي نهاية الحوار سألته: بروفسور ليبفويتش! هل تزعجك هذه الفكرة فأنت يهودي محافظ، وتحرص على القيام بوصايا التوراة؟ هل يزعجك أني أكتب عن المصادر وأهللها؟ هل تعتبر ذلك مساسا بمبادىء الحفاظ على الوصايا، وصلاحياتها، وبضرورة تطبيقها؟ ولأنك سألت يا شموئيل[1]، فقد كانت لديه حركة يتميز بها يفعلها بيده تدل على النفي ففعلها، ولا أذكر الكلمات بالضبط لكن ما قاله هو أن ليس لذلك أي تأثير من ناحية قدسية التوراة، ومن ناحية أوامر تنفيذ الوصايا. لأن تحديد ما هو العهد

---

[1] شموئيل شير محاور البروفسور قنوهل.

القديم وأي نوع من الكتب هو وماذا يضم، وأنه المجموعة المقدسة لنا، إنما هو قرار اتخذه الأحبار (حازل). أي إنهم قرروا بعد أن جلسوا وتناقشوا حول كل سفر وسفر وهناك خلاف بينهم على سبيل المثال حول ما إذا كان سفر الجامعة يدنس اليدين. أي أن السفر الذي يدنس اليدين بمفهومهم الخاص هو سفر مقدس. فهل سفر الجامعة مقدس؟ وهل يعتبر جزءا من مجموعة أسفار العهد القديم، ليعتبر حينها مقدسا؟ أم ليس كتابا مقدسا. من يقرر ما هو العهد القديم؟ إن قرار ما هو كتاب العهد القديم المقدس قرار بشري لحاخامات يفنه وحاخامات أوشا بعد جيل يفنه الذي كان منه رابي عقيبا وتلاميذه. وهم الذين يقررون كذلك الصلاحية التشريعية للوصايا. ثم قال ليبوفيتش، إن ما تتوصل إليه عن العمليات الأدبية التي حدثت في العصر الذي سبق ذلك لا يزيد أو ينقص من قداسة العهد القديم وصلاحيته. أما عن اكتشافك، قال ليبوفيتش، فمثير ومهم جدا بالنسبة لي من الناحية الفكرية. وأنا سعيد جدا بما توصلت إليه لكن قداسة العهد القديم غير مرتبطة نهائيا بمسألة ما قبل تاريخ العهد القديم. والذي حدث في النص قبل تقديسه وبلورته على يد الحاخامات في يفنه وأوشا؛ مسألة تاريخية بحتية مهمة لكن ليس لها أي تأثير على مسألة قداسة العهد القديم وصلاحيته. وكلمات ليبوفيتش التالية أتذكرها بشكل دقيق:

"إن قرار كنيست إسرائيل (مجمع الحاخامات) تقديس أسفار العهد القديم لهو مصدر قداستها".

هكذا قال يشعياهو ليبوفيتش. وأعتقد أن هذه مقوله يشهد عليها أدب الأحبار (حازل).

**أوافقك في كل ما قلت، وأوافق كذلك على رأي ليبوفيتش فأنا أعرفه ولدي كتبه. وبالفعل ردوده الشائعة عن المشكلات التي نناقشها هنا هي أن التاريخ لا يهمني كثيرا، وإن ما يهمني هو المكتوب في الشولحان عاروخ. "يقوم كالأسد**

**في الصباح لعبادة خالقه". وكما قلت لو أن الحاخامات قرروا ذلك فهذه هي شريعتي وتطبيقي. لكن سؤالي هو: قرر الحاخامات ما قرروه بخصوص مكان جغرافي معين، وزمن معين، وعصر معين واستقر ذلك على مدى الأجيال. فهل اليوم ونحن في أرض إسرائيل (فلسطين) وقد تغير الوضع وليس عليك أن تحمل العصا كل مرة وتنتقل إلى مكان آخر، لأن ما أراد الحاخامات القيام به في الحقيقة، في عصرهم، هو الحفاظ على هويتنا وخصوصيتنا في كل مكان نصل إليه. ونحن في بلدنا الآن وقد عدنا إلى هنا؛ هل لا تزال للتشريعات التي حددوها تلك القداسة التي تتحدث عنها؟ فإن كان الحاخامات قد قرروا ذلك في الماضي البعيد، فهل، من ناحيتي، في ذلك قداسة لا يمكن المساس بها؟ فرغم تغير الظروف الجغرافية والسياسية، وإننا لم نعد الشعب الذي عليه أن يلوذ بالفرار بل أصبح لدينا دولتنا وحكومتنا وجيشنا ...**

الحقيقة ىألك تثير لدي سؤالا آخر: هل المنظومة التشريعية منظومة مغلقة ونهائية؟ أم من الممكن إحداث تغييرات عليها مرتبطة بالظروف التاريخية؟ وأنا لست بمشرِع ولا يمكنني الحسم في المسائل التشريعية، لكني أعتقد بالطبع أن الشريعة يجب أن تكون حساسة ومصغية لمشكلات الأجيال وأن تضع في الحسبان الواقع البشري ومشكلات واحتياجات كل جيل يعيش فيه الناس.

وربما أختتم ذلك وأقول شيئا آخر تعلمته من قصة إبراهيم. فنحن نقرأ قصة إبراهيم في سدوم حيث يقف إبراهيم كما ذكرت في فخر ويناقش الرب ويجادله في أدق التفاصيل لإنقاذ أهل سدوم. ثم نقرأ بعدها بعدة إصحاحات في الإصحاح ٢٢ قصة الذبيح. "וְהָאֱלֹהִים נִסָּה אֶת אַבְרָהָם - أن الله امتحن إبراهيم"، فماذا قال له؟ "קַח נָא אֶת בִּנְךָ אֶת יְחִידְךָ אֲשֶׁר אָהַבְתָּ... וְהַעֲלֵהוּ שָׁם לְעֹלָה - خذ ابنك وحيدك الذي تحبه ... وأصعده هناك محرقة". ويتساءل المدراش بأنه كان عليه أن يقول أنت وعدتني "כִּי בְיִצְחָק יִקָּרֵא לְךָ זָרַע - لأنه

بإسحق يدعى لك نسل" (٢١: ١٢) فكيف تأمرني الآن بأن أضحي بإسحق؟ فأنت تناقض العهد بهذه الصورة.

وأنا أقول شيئا آخر: أنت يا إبراهيم الذي وقفت أمام الرب وطلبت بكل ثقة خلاص أهل سدوم من وجهة نظر أخلاقية، فلماذا لا تقول ذلك للرب؟ فهل الأمر الذي تلقيته غير مرفوض أخلاقيا؟ وماذا عن تحريم القتل وسفك الدماء؟ لكن إبراهيم لا ينتفض ضد أمر الذبيح. وهذا أمر مفاجيء. فهو يلتقي الرب هنا على مستوى آخر، لقاء غير مرتبط بجوهر الرب كقاض وكآمر أخلاقي لكنه يركز على وجه آخر من شخصية الألوهية. ومن هذه الناحية يأتي طلب الإخلاص التام الذي يصل لدرجة التضحية بالابن، إسحق. لكن في اللحظة الحاسمة عندما يرفع إبراهيم السكين يتدخل ملاك يهوه وبناديه من السماء ويقول له: "אַל תִּשְׁלַח יָדְךָ אֶל הַנַּעַר וְאַל תַּעַשׂ לוֹ מְאוּמָּה – لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا" (٢٢: ١٢) فكيف يمكننا فهم هذا التغيير في الأمر الإلهي؟ حيث أمره قبل لحظة بتقديم ابنه قربانا، وفي لحظة أخرى يقول له لا تمد يدك إليه. ولو انتبهنا سنرى أننا هنا أمام منطق مزدوج في استخدام أسماء الرب. لقد تحدثنا كثيرا عن لفظ الجلالة، يهوه، وها هنا في قصة الذبيح في سفر التكوين ٢٢ نجد أن كل الأوامر المرتبطة بالقصة حتى لحظة تدخل ملاك الرب، يظهر فيها جميعا الاسم "**إلوهيم**": "וְהָאֱלֹהִים נִסָּה אֶת אַבְרָהָם - أن الله امتحن إبراهيم" (٢٢: ١)، وفي الفقرة الثالثة: "וַיָּקָם וַיֵּלֶךְ אֶל הַמָּקוֹם אֲשֶׁר אָמַר לוֹ הָאֱלֹהִים – فقام وذهب إلى المكان الذي أخبره به الرب" وعندما يسأل إسحق "أين الخروف للمحرقة" يجيبه قائلا: "אֱלֹהִים יִרְאֶה לּוֹ הַשֶּׂה לְעֹלָה בְּנִי - الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني" (22: 8). وكذلك الفقرة التالية، الفقرة التاسعة: "וַיָּבֹאוּ אֶל הַמָּקוֹם אֲשֶׁר אָמַר לוֹ הָאֱלֹהִים וַיִּבֶן שָׁם אַבְרָהָם אֶת הַמִּזְבֵּחַ - فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح". وعندما يأخذ السكين بيده لذبح ابنه، مكتوب في الفقرة ١١: "וַיִּקְרָא אֵלָיו מַלְאַךְ **יהו־ה** מִן הַשָּׁמַיִם - فناداه ملاك الرب

من السماء" بلفظ الجلالة "يهوه". وكذلك في بقية القصة ذكر اللفظ: "אֲשֶׁר יֵאָמֵר הַיּוֹם, בְּהַר **יהו־ה** יֵרָאֶה. וַיִּקְרָא מַלְאַךְ **יהו־ה** אֶל אַבְרָהָם שֵׁנִית מִן הַשָּׁמָיִם – حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يرى. ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء." (٢٢: ١٤-١٥).

ما تفسير هذا التغيير في استخدام أسماء الرب، في البداية "إلوهيم" ثم بعده "يهوه"؟ في رأيي أن الاسم "إلوهيم" يعبر عن الصوت الديني الذي يطلب الإخلاص التام الذي يصل إلى حد التضحية بالابن، على مذبح الالتزام التام والخضوع للرب. ثم يتدخل الصوت الثاني الذي يظهر في هذه القصة عبر الاسم "يهوه" الذي يمثل هنا الانتقاد الأخلاقي، الصوت الذي يقول كلا من المستحيل سفك الدماء – لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا.

في الكيان الديني جوانب تفوق الفهم، والأخلاق تمثل غموض الألوهية وجوانبها واستبعاد القيم الإنسانية عن الألوهية. لكن هناك صوت آخر مثل الذي لدينا في القصة وينطق به ملاك يهوه الذي ينادي من السماء والذي يمثل المعايير الأخلاقية العالمية. وهو أيضا صوت إلهي مرتبط باسم إلهي مهم جدا وهو لفظ الجلالة.

إذن لدينا في هذا الجدل صوتان إلهيان في قصة الذبيح يقولان الشيء وعكسه، والهلاخاه (الشرائع) في هذه القصة بحسب من؟ الهلاخاه في هذه الحالة كالصوت الأخير الذي يقول: "لا تمد يدك إلى الغلام". وأعتقد أن علينا دائما الإنصات إلى الأمر الأخلاقي والانتقاد الأخلاقي. ونحن لسنا في حاجة في هذا الأمر إلى أخلاق خارج العهد القديم فالعهد القديم نفسه يسمعنا الصوت الأخلاقي العالمي المشترك بيننا وبين كل الشعوب بقوة ووضوح، فالأخلاق كما ذكرنا قبل دقائق هي في جوهرها شأن عالمي. فهذا الصوت الأخلاقي يجب أن يعمل كمصحح للدوافع والرغبات التي لها أهمية وتخرج في بعض الأحوال عن

إطار السيطرة. والصوت الأخلاقي لملاك يهوه الذي يتحدث من السماء يجب أن يأتي للتصحيح والمنع عندما تجعلنا رغبة الاستسلام التام للرب نقوم بأعمال غير أخلاقية.

**قصة صغيرة للختام: سألني أحد أبنائي ذات مرة وهو صغير وأذكر السؤال بالضبط: أبي! إن كان المسيح سيأتي غدا فمع من سيشرب قهوته الأولى؟ مع الحريديم؟ مع رجال الكيبوتس في حديقة شموئيل؟، مع الحركة اليهودية التقدمية؟ مع البيت اليهودي؟ فقلت له: لا أعلم، ليس لدي إجابة.**

أعتقد أنه سيقوم بدعوتهم جميعا لشرب القهوة معه. لقد تحدثنا عن العهد القديم ونشأته وإنه مقسم لثلاثة أقسام: التوراة والأنبياء والمكتوبات. وقسم الأنبياء، وهو القسم الثاني ينتهي بسفر ملاخي الذي فيه ثلاثة إصحاحات، والفقرات الأخيرة فيه هي: "הִנֵּה אָנֹכִי שֹׁלֵחַ לָכֶם אֵת אֵלִיָּה הַנָּבִיא לִפְנֵי בּוֹא יוֹם יהו־ה הַגָּדוֹל וְהַנּוֹרָא וְהֵשִׁיב לֵב אָבוֹת עַל בָּנִים וְלֵב בָּנִים עַל אֲבוֹתָם – هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم". أي أن النبي إيليا والمسيح مهمتهما في حقيقة الأمر هي التقريب بين الأجيال وبين الرؤى المختلفة. إذن أنا أتمنى أن يقوم المسيح بدعوتنا جميعا، ويقربهم ويقربنا من بعضنا البعض.

ختاما أود أن أقترح أن المصدرين التوراتيين اللذين تناولناهما الآن: قصة الذبيح، والفقرات الختامية في سفر ملاخي إنما يعكسان عملية مهمة يمكن تسميتها "اعتدال المتشددين". وسأبدأ بإلياهو:

عندما وصل إلياهو إلى جبل حوريب وسأله الرب عن سبب رحلته بدأ إلياهو ووصف نفسه كرجل وحيد غيور على الرب: "קַנֹּא קִנֵּאתִי ליהו־ה אֱלֹהֵי צְבָאוֹת כִּי עָזְבוּ בְרִיתְךָ בְּנֵי יִשְׂרָאֵל ...וָאִוָּתֵר אֲנִי לְבַדִּי – قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ... فبقيت أنا وحدي" (الملوك الأول ١٩: ١٠).

وكما أكدت القصة اليهودية أن إلياهو استمر في غيرته، غيرة فنحاس، حفيد هارون الكاهن (العدد ٢٥: ١٣) وغيرة اللاويين أثناء خطيئة العجل، الغيرة التي جعلتهم يقتلون حتى أبناء عائلاتهم المقربين جدا (الخروج ٣٢: ٢٩، وانظر كذلك التثنية ٣٣: ٩).

وها هنا على عكس هذه الصورة القديمة يقدم النبي ملاخي الذي عاش في العصر الفارسي؛ إلياهو كمن سيجلب الحوار والسلام بين الأجيال.

وتظهر عملية مشابهة في قصة الذبيح. فكما ذكرنا فإن التراث القديم الذي تمتد جذوره في الثقافة المديانية القينية قد رأى الإله "ياهو" كإلهٍ غاضب وغيور "יהו־ה קַנָּא שְׁמוֹ – الرب اسمه غيور" (الخروج ٣٤: ١٤). وفي المقابل ارتبط الاسم "يهوه" في قصة الذبيح بصوت الملاك الذي يأمر "لا تمد يدك إلى الغلام". وهذا هو الصوت الذي يعبر عن الانتقاد الأخلاقي وفي نفس الوقت كما ذكرنا، يقف ضد التشدد الديني النابع من مشاعر حب الأب لابنه ورحمته به.

ويبدو أن العهد القديم يعبِر بهذه الصورة عن التحول الديني المهم الذي يقوم بتحويل التشدد والغيرة في الأخلاق إلى تفاهم ورحمات.

# قائمة المراجع


- מכבשונה של היצירה המקראית ,תל אביב ,תשכ"ו.
- אבן עזרא ,לאיוב א:א ;י 'קויפמן ,תולדות האמונה הישראלית , כרך ב,' ירושלים־תל אביב ,תש"ד.
- אדם זרטל ,עם נולד ,תל אביב. 2005 .
- ה 'גונקל ,אגדות בראשית ,ירושלים תשנ"ח.
- חיים תדמור ,אשור ,בבל ויהודה ,ירושלים תשס"ז.
- י 'ידין ,חצור ,תל אביב, 1975.
- י 'פינקלשטיין" ,שילה ,"האנציקלופדיה החדשה לחפירות ארכיאולוגיות בארץ ישראל ,ירושלים 1536-1542 , 1992 .
- י 'קויפמן ,תולדות האמונה הישראלית כרך ב ,'ירושלים-תל אביב, תש"ד.
- י 'קויפמן ,תולדות האמונה הישראלית ,ירושלים-תל אביב , תש"ך, כרך א.'
- יוליוס ולהויזן ,אקדמות לדברי ימי ישראל ,בתרגום י' ברכיהו , תל אביב ,תרצ"ח.
- ישראל פינקלשטיין וניל אשר סילברמן ,ראשית ישראל ,תל אביב 2003.
- מ 'ויינפלד" ,ערב ,ערב רב ,"אנציקלופדיה מקראית ,כרך י ,' ירושלים תשמ"א.
- נ 'נאמן" ,העבר מכונן את ההווה ,"יריעות ג ,'תשס"ב.

- נ 'נאמן" ,חצור במאות הי"ד והי"ג לפני הספירה בראי התעודות והממצא הארכיאולוגי ,"ארץ ישראל", (תשע"ב).
- צ 'יורה ,המקור האלוהיסטי" :אחידות ומבנה ,"עבודת דוקטור, ירושלים תשס"ג.
- ש ' קוגוט" ,מדרשי השם לייעקב 'ולישראל 'ותפיסת המרת השם בפרשנות היהודית המסורתית ,"בתוך :א 'ד 'אייכלר ,י 'ח ' טיגאי, מ ' כוגן ( עורכים), תהילה למשה ,וינונה לייק ,אינדיאנה , תשנ"ז .
- ש 'אחיטוב ,יהושע ,מקרא לישראל ,תל אביב ,תשנ"ו.
- ש 'ד 'גויטיין" ,משמעותו של שם יהו־ה ,"ספר בירם ,ירושלים, תשט"ז.
- ש 'טלמון" ,המה הקינים הבאים מחמת אבי בית רכב ,"ארץ ישראל ה ,'תשי"ט.

- A Dillmann, *Genesis, Critically and Exegetically Expounded* (translated by W. B. Stevenson) Edinburgh 1897.
- Ben Tor, "The Fall of Canaanite Hazor", in: S. Gitin et al (eds.) *Mediterranean Peoples in Transition*, Jerusalem, 1998.
- Biale, "The God with Breasts", *History of Religions*, 21 (1982).
- D. Kahn, "Who is meddling in Egypt's Affairs?", *Journal of Ancient Egyptian Interconnections*, 2 (2010).

- D. N. Freedman, "the Ebla Tablets and the Abraham Tradition" in: T. G. Madsen (ed.), Reflection on Mormonism, Provo VT 1978.
- E. Blum and K. Weingart, "The Joseph Story: Diaspora Novella or North-Israelite Narrative", ZAW 129 (129).
- Faust, "Early Israel: An Egalitarian Society", *BAR* 39/4 (2013).
- Finkelstein and Thomas Roemer, "Comments on the Historical Background of the Jacob Narrative in Genesis", *ZAW* 126 (2014.
- G. Callender, "The Cripple, the Queen and the Man from the North", *KMT* 17 (2006).
- H. Eilberg-Schwartz, *God's Phallus*, Boston, 1994,
- J. C. Darnell, "A new middle literary text from Wadi El- Hol", *Journal of the American Research Center in Cairo Egypt* 34 ( 1997).
- J. Patrich, *The Formation of Nabatean's Art*, Jerusalem, 1990.
- J. Wellhausen, *Skizzen und Vorarbeiten* 5, Berlin 1988.
- Jan Assmann, *Moses the Egyptian*, Cambridge, Ma, 1997.
- Knohl, "Jacob-el in the Land of Esau and the Roots of Biblical Religion", *VT* 67 (2017).
- M. Greenberg, *Ezekiel 21-37*, Anchor Bible, N. Y. 1997.
- M. Gruber, "The Motherhood of God in Second Isaiah", *RB* 90 (1983).

- Malamat, "The Exodus : Egyptian Analogies", in: E. S. Frerichs and L. H. Lesco (eds.), Exodus - The Egyptian Evidence, Winona Lake, Indiana, 1997.
- N. Na'aman, "The Judahite Temple at Tel Mosa Near Jerusalem", *Tel Aviv* 44 (2017).
- N. Na'aman, "The Kenite Hypothesis in the Light of the Excavations at Horvat Uza", in: G. Bartoloni and M. Briga (eds.), *Not Only History*, Winona Lake Indiana, 2016.
- N. Na'aman, "Yeno'am", *Tel Aviv* 4 (1977).
- Rainy, "Redefining Hebrew – A Transjordanian Language", *Maarav* 14 (2007).
- Rothenberg and H. G. Bachmann*, The Egyptian Mining Temple at Timna*, London 1988; B. Rothenberg, *Timna Valley of the Biblical Copper Mines*, London 1972.
- S. D. Goitein, "YHWH the Passionate", VT 6 (1956).
- See, s. Kleiman, A. Kleiman and E. Ben-Yosef, "Metalworkers' Material Culture in the Early Iron Age Levant", *Tel Aviv* 44 (2017).
- T. Roemer, "Tracking some ‘censored' Moses Tradition", *Hebrew Bible and Ancient Israel* 1 (2012).
- Tebes (ed.) *Unearthing the Wilderness*, Leven, 2014.

- *Theological Dictionary of the Old Testament*, volume 6, Grand Rapids, Michigan, 1990.
- U. Avner, "Egyptian Timna – Reconsidered", un: J. M.
- W. H. C. Propp. Exodus 1-18, Anchor Bible, N. Y., 1999.
- W. M. L. de Wette, *Opuscula Theologica*, Berlin 1830.
- W. Zimmerli, *Ezechiel 2*, Neukirchen-Vluyn, 1979.